سلوك المرأة المسلمة في الإسلام

تأليف

محمد عبد العاطي بحيري

المكتبة التوفيقية

سلوك المرأة المسلمة في الإسلام

تأليف

محمد عبد العاطي بحيري

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

٥٩٠٤١٧٥ ٥٩٢٢٤١٠

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة **لمكتبة التوفيقية (القاهرة-مصر)** ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملا أو مجزءا أو تسجيله على أشرطة كاسيت او إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيا .

Copyright ©
All Rights reserved

Exclusive rights by Al **Tawfikia Bookshop (Cairo-Egypt)** No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

المكتبة التوفيقية

القاهرة - مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسير
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo-Egypt
Add.: In Fornt of the Green Door Of El Hussen
Tel : (٠٠٢٠٢) ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠
Fax : ٦٨٤٧٩٥٧

إشراف
توفيق شعلان

المقدمة

الحمد لله .. يا رب ..

مـــا في الوجود سواك رب يُعبد كـــلا ولا مولى سواك فيقصد

يـــا من له عنت الوجوه بأسرها رهـــبًا وكـــل الكائنات توحد

أنـــت الإله الواحد الفرد الذي كـــل القلـــوب له تقر وتشهد

سبحانك .. كل العباد إلى رحمتك فقير، وفي نعمتك مغمور.. سبحانك هل لنا من إله سواك يجبر كسرنا، ويكشف ضرنا، ويغفر ذنوبنا، ويستجيب دعاءنا، ويفك كربنا، ويغني فقرنا، ويقبل توبتنا .. أنت أنيس المستوحشين، وأنت أنيس الذاكرين، وأنت الله رب العالمين **وأشهد أن لا إله إلا الله**... وحده لا شريك له ..

أدبنا بالقرآن الكريم، وهذب أخلاقنا بسنة صاحب الخلق العظيم، ودعانا إلى مكارم الأخلاق بالموعظة الحسنة، والأسلوب الحكيم.. فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً** ﴾ [الإسراء: ٩].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده الله ورسوله .. نبي الرحمة، ورسول الهدي شفيع المذنبين، وقائد الغر المحجلين، أشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك.. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وعلى التابعين لهم بإحسان، وسلك طريقهم إلى يوم الدين..

وبعـــــد :

أختي المسلمة ...

لقد خلق الله تعالى الخلق، وشرع لهم دستورًا يسلكونه، ويعملون به، ويكون نهجهم القويم، وسلوكهم المستقيم، ليقربهم إليه، ويحاسبهم على تفريطهم ثم ...

غـــدا توفى النفوس ما كسبت ويحصـــد الـــزارعون ما زرعوا

إن أحســـنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أســـاءوا فبئس ما صنعوا

لهذا كتبت تلك الصفحات، التي أردت بها في عصر طغت فيه الماديات، وتشعبت فيه مسالك الهوى، وتاهت السكينة الإيمانية وسط الزحام، وعم الضجيج، وانشغل هذا بداره، وذاك بديناره، عن آخرته ومآله.. أردت إيقاظ الهمم، فمن جد وجد، ومن زرع حصد ..

وهذه الصفحات ترسم للأخت المسلمة طريق الخير، وتفتح لها بابًا إلى ربها، لتسعد في دنياها، وتسعد في أخراها.

فالله سبحانه وتعالى أسأل أن يفتح بهذه الصفحات آذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا. ونسأله سبحانه أن يستعمل بسببها أبدانًا في طاعته، وأقدامًا في خدمته، وألسنة في ذكره..

كما نسأله سبحانه أن يجعلها حجة لنا بين يديه، وأن يوفقنا برحمته وفضله إلى ما يحبه ويرضاه ...

وهو الهادي إلى سواء السبيل

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو أحمد

محمد عبد العاطي بحيري

ميت برة – قويسنا – منوفية

في يوم عرفة (الاثنين) ٩ من ذي الحجة ١٤٢٣ هـ

الموافق ١٠ / ٢ / ٢٠٠٣ م

سلوك المرأة المسلمة

مع

الله - عز وجل -

سلوكيات المرأة المسلمة

مع الله تعالى

أختي المسلمة ...

كيف يكون سلوكك مع الله - عز وجل -؟

أولاً : أن تعبديه حق عبادته:

فمن أجل العبادة خلقت، ومن أجلها أوجدك، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]. وعبادته سبحانه هي حق من أعظم الحقوق، وواجب من أكبر الواجبات عليك وعلى كل من خلقه الله جل وعلا.

ففي حديث البخاري من حديث معاذ بن جبل ﷺ أنه قال:

كنت رديف النبي ﷺ يومًا، فقال لي: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟**

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا**» ثم سار ساعة، ثم قال: «**يا معاذ بن جبل، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «**أن لا يعذبهم**»(١).

وفي رواية أن معاذ قال: أفلا أبشر الناس؟

فقال ﷺ : «**لا تبشرهم فيتكلوا**»

- **فما هي العبادة؟**

العبادة: معناها في اللغة: الذل، يقال: طريق معبد أي مذلل.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

لكن العبادة التي أمرنا بها ربنا جل في علاه تتضمن معنى الذل مع الحب...

وقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ، فقال:

العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كالصلاة والصيام والزكاة والحج وبر الوالدين، والجهاد، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الجيران، والإنابة، والاستعانة به... كل هذا من العبادة(١)..

وقد سئل سعيد بن المسيب –رحمه الله– أتدري ما العبادة؟

قال: إنما العبادة، التفكر في أمر الله، والكف عن محارمه(٢).

من الذي يستحق العبادة؟

أختي المسلمة ....

إن الذي يستحق العبادة وحده إنما هو الله جل في علاه ...

رغم أن البشرية منذ قديم الزمان قد زلت، فمنهم من عبد الشمس من دون الله كقوم سبأ، وقد سجل القرآن الكريم ذلك في سورة النمل على لسان الطائر الموحد، هدهد سليمان – عليه السلام – ، حين جاء مغضبًا ليرفع هذه الشكوى المريرة، لسليمان – عليه السلام – فقال: ﴿ **أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ...** ﴾ [النمل: ٢٢-٢٤].

وقد أنكر عليهم الهدهد هذه العبادة، لأنه عرف أن الذي يستحق العبادة إنما هو الذي يخرج الخبأ في السموات والأرض، فقال: ﴿ **أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ** ﴾ [النمل: ٢٥].

فالشمس عبدت من دون الله، مع أنها في كل يوم تغرب لتسجد تحت عرش الرحمن جل في علاه... ففي مسند الإمام أحمد وغيره من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس فقال: «**يا أبا ذر،**

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية – الجزء العاشر.

(٢) طبقات ابن سعد.

تدري أين تذهب الشمس؟» قلت: الله ورسوله أعلم..

قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها – عز وجل –، فتستأذن في الرجوع، فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فترجع إلى مطلعها، فذلك مستقرها**»[1]. ثم قرأ: ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [يس: ٣٨].

فالشمس تسجد لله، بل ولا تغفل عن عبادة الله جل في علاه لحظة واحدة ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ...**﴾ [الحج: ١٨].

ومن الناس من عبد الكواكب .. ومنهم من عبد التراب والحجارة..

روى أبو نعيم بسنده أن أبا رجاء العطارى ﷺ قال: كنا نعمد إلى الرمل، فنجمعه ونحلب عليه، فنعبده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض، فنعبده زمانًا ثم نلقيه، وكنا نعظم الحجر في الجاهلية ما لا تعظمونه في الإسلام.

وفي رواية: كنا نجمع التراب في الجاهلية، فنجعل وسطه حفرة، فنحلب فيها، ثم نسعى حولها، ونقول: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك[2].

ومن الناس من عبد الأصنام والتماثيل كقوم إبراهيم – عليه السلام –...

ومنهم من عبد البشر كاليهود والنصارى، قال سبحانه: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة: ٣١].

وقد قرأ النبي ﷺ هذه الآية على عدي بن حاتم، فقال:

لا يا رسول الله، ما عبدوهم – أي لم يسجدوا لهم، ولم يركعوا – فقال ﷺ:

«**ألم يحلوا لهم ما حرم الله، ويحرموا عليهم ما أحل الله، فأطاعوهم؟**

قال: بلى. قال: «**فتلك عبادتهم إياهم**»[3].

---

(١) رواه أحمد (٢١٢٤٩) في مسنده بإسناد صححه حمزة الزين (١٥/٥٠١) والحديث في صحيح مسلم.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/٣٠٩) بإسناد صحيح.

(٣) رواه البيهقي والترمذي وغيرهما وحسنه الألباني.

وما زال في عصرنا الحديث أهل الهند يعبدون البقر من دون الله، رغم هذا التحضر ورغم هذه المدنية، ورغم هذه التكنولوجيا الحديثة والتي وصلت بنا إلى أقمار الفضاء ومع ذلك يعبدون البقر من دون الله...

أختي المسلمة...

فالذي يستحق العبادة وحده هو الله رب العالمين... وعليك أختي المسلمة أن تعتقدي أن الله تعالى إله واحد.. منزه عن الشريك والمعين.. والصاحبة والولد.. موجود بذاته من غير افتتاح لوجوده، ولا نهاية لبقائه.. مستغن عن كل ما سواه.. ومفتقر إليه كل ما عداه.. قائم بنفسه.. ليس بجوهر متحيز فيحتاج إلى مكان.. ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء.. ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء.. مقدس عن الجهات والأقطار.. مرئي للمؤمنين بالقلوب.. وفي الآخرة بالأبصار.. أوجد الكل من غير حاجة إليه.. ولا موجب ذلك عليه.. إلا أن علمه قد سبق.. فلذلك خلق من خلق.. لم تتعلق قدرته إلا بما أراد علم الأشياء قبل وجودها.. ثم أوجدها على حد ما علمها.. مريد لجميع الكائنات في الأراضين والسموات.. فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولا خسران، ولا حياة ولا موت.. ولا حصول ولا فوت.. ولا متحرك ولا ساكن.. ولا ظاهر ولا باطن.. إلا وهو مراد للحق جل وعلا..

لا معقب لحكمه.. ولا راد لأمره.. يؤتي الملك من يشاء.. أخرج العالم فريقين، وأوجد لهم منزلتين.. فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي.. وهؤلاء للنار ولا أبالي..

سبحانه.. يسمع دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء... على الصخرة الصماء .. متكلم لا عن صمت تقدم.. ولا عن سكوت متوهم.. بكلام قديم أزلي.. منزه عن الحروف والأصوات.. وعن جميع آلات النطق واللهات.. كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان.. وبصره من غير حدقة ولا أجفان.. وعلمه من غير نظر ولا برهان.. فهو المتصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص، وهو الكبير المتعال... فلتكن هذه عقيدتك أختي المسلمة..

أختي المسلمة ...

ولكي تصح عبادتك لربك لابد أن تكوني مؤمنة به حق الإيمان، فما هو الإيمان؟

الإيمان بالله - عز وجل -

والإيمان بالله – عز وجل –، هو: التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، وعمل بالجوارح والأركان.

فكأن الإيمان الذي يسعد صاحبه مركب من حقائق ثلاثة:

الحقيقة الأولى: التصديق بالجنان: أي بالقلب.

الثانية: الإقرار باللسان: أي بقول لا إله إلا الله **محمد** رسول الله.

الثالثة: العمل بالأركان: أي بأحكام الله تعالى.

وقد جاء تعريف الإيمان في حديث جبريل – عليه السلام – الذي رواه مسلم وغيره من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال:

دخل علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ثم قال: يا محمد، ما الإسلام؟

فقال ﷺ : «**الإسلام، أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلاً**» قال: صدقت، قال عمر: فعجبنا له، يسأله ويصدقه، ثم قال له: وما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالبعث**» قال: صدقت.. فعجبنا له، يسأله ويصدقه، ثم قال: وما الإحسان؟ قال: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**» قال: صدقت.. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه..

ثم قال: متى الساعة؟

قال: **ما المسئول عنها بأعلم من السائل..**

قال: فما أماراتها؟

قال: **أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان** قال: **هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم**[(١)]...

---

(١) رواه مسلم وغيره.

أختي المسلمة ...

وهكذا تبين لك تعريف الإسلام والإيمان، وأن كلاً منهما مركب من أركان :

أركان الإيمان

١- الركن الأول: أن تؤمن بالله:

فتؤمني بالله ربًّا، تؤمني به خالقًا، تؤمني به رازقًا، تؤمني بأنه هو المحيي، وهو المميت، هو الذي يغني، وهو الذي يفقر، هو الذي يشفي، هو الذي يُمرض، هو الذي يهدي، وهو الذي يُضل..

تؤمني بأنه الموجود الذي سبق وجوده جميع الموجودات.. وقد سئل أعرابي:

ما الدليل على وجود الله؟

قال: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام، يدل على المسير، فأرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون شاخصات من لجين ... بأبصار هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... على أن الله ليس له شريك

ورحم الله ابن عطاء السكندري حين قال في بعض مناجاته:

«إلهي.. كيف يُستدل عليك بما هو في وجودك مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك؟

متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التي توصل إليك؟

أختي المسلمة ...

عليك أن تؤمني بأنه سبحانه هو المدبر لما في هذا الكون، وأن كل ما فيه ملك له **﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾** [طه: ٦].

هو الذي يعلم خفايا القلوب، وخلجات الصدور: **﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا**

فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

إيمانك بالله معناه: الإقرار والاعتراف بأن المبدع هو الله، والصانع هو الله .. أختاه.. من عَلَّم الذئب إذا نام أن يناوب بين عينيه، فينام بأحدهما، حتى إذا نعست الأخرى نام وفتح الثانية؟

من علم الطاووس أن يلقى ريشه في الخريف، إذا ألقى الشجر ورقه، فإذا اكتسى الشجر اكتسى أيضًا، فمن علمه ومن كساه؟

من علم العصفورة، إذا سقط فرخها أن تستغيث فلا يسمعها عصفور حولها، إلا ويجيء، فيطير الجميع حول الفرخ، حتى يحركونه، ويحدثون له همة حتى يطير معهم؟ من الذي خلق السماء بغير عمد؟ ومن رفعها؟ وبالكواكب من زينها؟ والأرض من سطحها؟ والكواكب من سيرها؟ والنجوم من نظمها؟ والبحار من أجراها؟ وبالملح الأجاج من سيرها؟ والأنهار من شقها؟ وبالعذب السلسبيل من سيرها؟ واللبن من بين دم وفرث من صفاه؟ والجنين في بطن أمه من يرعاه؟ والنبت في الصحراء من أرباه؟ والهواء عن عيون الناس من أخفاه؟ والطير في جو السماء من أمسكه ورعاه؟ وفي أوكاره من غذاه؟

إن الذي فعل ذلك كله إنما هو الله رب العالمين.

إن الذي صنع ذلك هو، من سواك فخلقك، فعدلك، في أي صورة ما شاء ركبك لقد تحدى العالم كله بآيتين من كتابه جل في علاه:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

سل الواحة الخضراء والماء جاريا ... وهذي الصحاري والجبال الرواسيا
سل الروض مزدانًا سل الزهر والندى ... سل الليل والإصباح والطير شاديا
وسل هذه الأنسام والأرض والسما ... وســـل كل شيء تسمع الحمد ساريا
فلو جنَّ هذا الليل وامتد سرمدًا ... فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيا

٢- الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ من رَّبِّه وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّه وَمَلائكَته وَكُتُبه وَرُسُله ...﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وهل يؤمن الرسول إلا بشيء موجود؟

ما عدد الملائكة؟

الملائكة لا يعلم عددهم إلا من خلقهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١]. لكن جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة ببعض أسمائهم كجبريل – عليه السلام – وميكائيل، وقد كان من دعاء النبي ﷺ : «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»(١).

فقد ذكر الحديث ثلاثة هم: جبريل وهو الموكل بالوحي إلى الأنبياء، وهو حياة القلوب وميكائيل: وهو الموكل بالقطر والنبات والمطر وحياة الأرض.

وإسرافيل: وهو الموكل بالنفخ في الصور، وهو حياة الأجساد بعد الممات.. ولهذا جمع الرسول بينهم في دعائه.

ومنهم (مالك) قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ...﴾ [الزخرف: ٧٧]. وهو الموكل بالنار، ورئيس خزنتها.

وأما (رضوان) فموكل بالجنان، وكذلك منكر ونكير الموكلان بسؤال القبر وملك الموت وهو الموكل بقبض الأرواح... ولم يرد إلينا سوى ذلك...

ممَّ خلقت الملائكة وما عملهم؟

خلقت الملائكة من النور، فهم أجساد نورانية قادرة على التشكل بأشكال حسنة لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يتناسلون، وإنما: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. شأنهم الطاعة ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]. من وصفهم بذكورة، فسق، ومن وصفهم بأنوثة

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

كفر... ومن الملائكة زبانية جهنم وعددهم تسعة عشر، قال تعالى: ﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** ﴾ [المدثر: ٢٦-٣٠]. ومنهم حملة العرش، قال تعالى: ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾ [الحاقة: ١٧]. ومنهم من يكتب الحسنات والسيئات، وهم الحفظة: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ* كِرَاماً كَاتِبِينَ* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

ومنهم من يقوم بحفظ الإنسان، قال تعالى: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [الرعد: ١١].

ومنهم ملائكة سياحون يتتبعون مجالس الذكر، وقد دل على ذلك حديث رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم وغيره: «**ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[(١)].

وفي حديث آخر: «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يلتمسون مجالس الذكر...**».

• • أين تسكن الملائكة؟ وما أوصافهم؟

الملائكة الكرام منهم من يسكن الأرض، ومنهم من يسكن السماء، قال ﷺ: «**إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم**»[(٢)] فهم لا يفترون عن عبادة ربهم.. ويتأذون مما يتأذى منه بنو آدم، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة..

قال ﷺ: «**من أكل من هذه البقلة: الثوم والبصل والكرات، فلا يقربنا في مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»[(٣)].

ومن صفاتهم أنهم يخافون ربهم، قال تعالى: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [النحل: ٥٠]. وهم يحبون ويبغضون كما نحب نحن ونبغض، لكن

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٩٢٤٤) بإسناد صحيح (١٥٨/٩)، ورواه مسلم، وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) السلسلة الصحيحة برقم (٨٥٢) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم والألباني في صحيح الجامع (٦٠٨٩).

بغضهم وحبهم يليق بهم كما دلت عليه السنة المطهرة..

ففي الحديث: «**إذا أحب الله عبدًا، نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبدًا، نادى جبريل: إن الله يبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء...**»[1].

٣- الركن الثالث: الإيمان بالكتب:

أختي المسلمة ... والإيمان بالكتب المنزلة ركن من أركان الإيمان، ولكن ما معنى أن تؤمني بالكتب؟

معناه: التصديق الجازم بما أوحى الله تعالى به من كلامه الخاص إلى من اصطفاه من الرسل عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** ﴾ [البقرة: ٢١٣]

وقد ذكر القرآن الكريم لنا أربعة من الكتب المنزلة:

١- التوراة لموسى ٢- والزبور لداود. ٣- والإنجيل لعيسى -عليهم السلام-.

٤- والقرآن لسيدنا محمد ﷺ .. وذكر أن لإبراهيم وموسى صحفًا، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

والإيمان بهذه الكتب واجب معلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ...** ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ومن جحدت هذه الكتب وأنكرتها كفرت، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً** ﴾ [النساء: ١٣٦].

ومن فرقت بين كتب الله ورسله، فآمنت ببعضها، وكفرت ببعضها لم يعتد بإيمانها..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

٤- الركن الرابع: الإيمان بالرسل:

أختي المسلمة ...

فيجب الاعتقاد بأن الله أرسل رسلاً من البشر إلى البشر، مبشرين بثواب الله تعالى ومنذرين بعقابه، وهناك رسل من الملائكة إلى البشر، قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ** ﴾ [الحج: ٧٥] والرسل والأنبياء كثيرون، منهم من ذكره الله في القرآن الكريم، ومنهم من لم يذكره، قال تعالى: ﴿ **مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾ [غافر: ٧٨]. والمذكور منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون، ففي سورة الأنعام ذكر ثمانية عشر رسولاً ونبيًّا، قال تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

والسبعة الباقون ذكرهم متفرقين وهم: آدم، إدريس، هود، صالح، شعيب، ذو الكفل، وختمهم برسولنا محمد ﷺ ..

أختي المسلمة ...

واعلمي أن الله تبارك وتعالى اختص حبيبه محمدًا ﷺ بأشياء دون إخوانه من الأنبياء تكريمًا وتعظيمًا منها ما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«**أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وترابها طهور، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة، فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»(١).

وفي رواية من حديث أبي هريرة ﷺ: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا**

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، وأحمد في مسنده (٢٢٥٦)، وصحيح الجامع للألباني (١٠٥٦).

ومسجدًا وأرسلت إلى الناس كافة، وختم بي النبيون»[١].

ومن خصائصه ﷺ أنه رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومنها: أن الله اختصه بالكوثر:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ** ﴾ [الكوثر: ١] فما هو الكوثر؟

عن ابن عمر- رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «**الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج**»[٢].

ومنها: إسلام قرينه من الجن:

فعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة**».

قالوا: وإياك يا رسول الله؟

قال: «**وإياى، ولكن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بحق**»[٣].

ومنها: أن أمته خير أمة أخرجت للناس..

٥- الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

وسمي اليوم الآخر بهذا الاسم، إما لأنه متصل بآخر أيام الدنيا، وإما لأن فيه حياة أخرى خلاف التي نعيشها... وله أسماء متعددة جاء ذكرها في القرآن الكريم. إنه يوم ترج فيه الأرض رجًا، وتبس فيه الجبال بسًّا.. إنه يوم شديد هوله، طويل مدته.. يوم تذهل فيه كلُ مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

أختي المسلمة ...

إنه يوم الفصل والقضاء، يومها تقفي في محكمة العدل الإلهية الكبرى ليُقضى بين

---

(١) رواه مسلم (٥٢١).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٦١) وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد (٣٦٤٨) بإسناد صحيح في المسند (٣/٥٢٩).

العباد، فإذا قلت: يا رب، لمَ لم تحضر أو ترسل لي إعلانًا بحضور الجلسة؟ كان الجواب: ألم تقرئي قولي: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] فهذا يوم الدين وأنا مالكه .

فإن قلت: يا رب، من الذي أوصلني هذا الإعلان؟

قال لك: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فإذا قلت: يا رب، أنظرني حتى أحضر الشهود، **قال لك:** ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النور: ٢٤].

فإذا قلت: يا رب، أنظرني حتى أوكل محاميًا يدافع عني..

كان الجواب: ﴿ **اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً** ﴾ [الإسراء: ١٤].

فإذا قلت: يا رب، أتقبل مني كفالة مالية أو شخصية؟

قال لك: ﴿ **يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ* إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

فإذا قلت: يا رب، سأستأنف الحكم، كان الجواب: ﴿ **مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ [ق: ٢٩].

أختي المسلمة ...

فالإيمان باليوم الآخر يوجب أن تؤمني بالبعث بعد الموت، وبأن هناك وقفة أمام الله الواحد الديان.. ولذلك لما علم الله تبارك وتعالى أن من عباده من يجادل فيه بغير علم، ويتبع كل شيطان مريد، عقب في سورة الحج بعد ذكر هول يوم القيامة وشدته، بذكر الأدلة على البعث بعد الموت حتى يقطع الجدال الذي تلوكه ألسنة المكابرين الجاحدين، فقال:

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ**

هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي القُبُورِ﴾ [الحج: ٥-٧].

فقد أنتجت مقدمة هذه الآية خمس نتائج:

الأولى: ذلك بأن الله هو الحق.

الثانية: وأنه يحي الموتى.

الثالثة: وأنه على كل شيء قدير.

الرابعة: وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها.

الخامسة: وأنَّ الله يبعث من في القبور.

٦- الركن السادس: الإيمان بالقضاء والقدر:

أختي المسلمة ...

وإيمانك بالقضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومره، يتضمن الإيمان بأمور ثلاثة:

الأول: أن تؤمني بأن الله سبحانه وتعالى، علم من عباده ما كان وما يكون، وما هو كائن وعلم أحوالهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء قال سبحانه: **﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾** [الطلاق: ١٢].

الثاني: أن تؤمني بأن الله سبحانه وتعالى كتب ما قدره وقضاه عنده في اللوح المحفوظ قال تعالى: **﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾** [الحج: ٧٠].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان، وما هو كائن إلى الأبد**»[1].

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء**»[2].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٢٦٠٤) بإسناد صحيح ورواه الترمذي وصححه.

(٢) رواه مسلم وغيره.

الثالث: أن تؤمني بمشيئته النافذة في خلقه. فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [يس: ٨٢].

أختاه ...

أحسني الظن بالله - عز وجل -

ومما يجب عليك أختي المسلمة، أن تكوني محسنة الظن بخالقك جل في علاه.. فقد أوصاك أستاذ البشرية، وخير من أحسن ظنه بربه قبل موته بشهر فقال: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله**»[2].

وحسبك ترغيبًا في هذا قول الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقد قال عن هذه الآية علي بن أبي طالب ﷺ: إنها أرجى آية في كتاب الله – عز وجل – وقيل: إنّ أرجى آية في كتاب الله تعالى هى قوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ...** ﴾ [النساء: ٤٨].

وقيل: أرجى آية هى قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [النساء: ١١٠].

وفي الأثر: «**عبدي لم تقنط؟ أليس أنا الذي أظهرتك، وبأماني طوقتك.. مالك تتجاهل عليَّ كأنك ما عرفتني، وتتنحى كأنك ما وافقتني..**

عبدي.. إن تبت إلينا قبلناك.. وإن عزمت على قصدنا أدنيناك.. وإن اضطرب دليلك أريناك.. وإن عاديت نفسك في حب ودنا واليناك...» .

يـــا رب إن عظمت ذنوبي كثرة　　　فلقـــد علمت بأن عفوك أعظم

---

(١) رواه مسلم، وأحمد وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٧٩٢).

(٢) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤١٩١).

إن كـــان لا يرجوك إلا محسن فمـــن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك ربي كما أمرت تضرعًا فلئن رددت يدي فمن ذا يرحم
مـــالي إلـــيك وسيلة إلا الرجا وجمـــيل عفـــوك أني مســـلم

اللهم اجعل الإيمان لنا سراجًا.. ولا تجعله لنا استدراجًا.. اجعله لنا سلمًا إلى جنتك ولا تجعله مكرًا إلى مشيئتك.. إنك أنت الغفور الرحيم..

أختي المسلمة ...

جاء في صحيح مسلم أن النبيﷺ قال: إذا كان يوم القيامة يُخرج الله سبحانه من النار رجلين ويقول لهما: كيف وجدتما مقيلكما ومصيركما؟

فيقولان: شر منقلب، وأسوأ مصير، فيقول الله لهما: ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد.

ثم يؤمر بهما أن يعودا إلى النار، فيسارع إليها أحدهما، ويبطئ الثاني، فيقول الله – عز وجل – للذي بادر إلى النار؛ ما حملك على ما صنعت؟

فيقول: يا رب، عصيتك في الدنيا، وأنا أستحي أن أعصيك في الآخرة.

ثم يقول للذي أبطأ: ما الذي حملك على ما صنعت؟

فيقول: يا رب، حملني على هذا حسن ظني بك، وأنت أخرجتني من النار، ولا تعيدني إليها.. فيرحمهما الله، ويأمر بهما إلى الجنة» [1].

أختاه ...

أحسني التوكل بربك

و على قدر حسن ظنك بربك، ورجائك له، يكون توكلك عليه، وقد فسر بعض علمائنا التوكل بحسن الظن بالله – عز وجل –.

ولذلك فإنه لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به..

والتوكل منزلة عظيمة لا يبلغها إلا المخلصون الصادقون، والمخلصات الصادقات قال تعالى للمؤمنين والمؤمنات: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله.. وإسناده صحيح.

وقال: ﴿ **وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقال: ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ...**﴾ [الطلاق: ٣].

والآيات في ذلك كثيرة.. لكن ما هو التوكل؟

أفضل ما قرأت في تعريف التوكل هو تعريف أبو تراب النخشبي، فقد قال في تعريفه للتوكل: هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أُعطى شكر، وإن مُنع صبر.

فقد جعل التوكل مركبًا من خمسة أمور: القيام بحركات العبودية، وتعلق القلب بتدبير الرب، وسكونه إلى قضائه وقدره، وشكره إن أعطى، وصبره إن منع وأجمع القوم على أنَّ التوكل الحقيقي لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

أختي المسلمة ...

من أجل ذلك حثنا رسول الإسلام، وسيد المتوكلين ﷺ فقال: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[(١)].

ولقد جاء في مخاطبة الله لموسى - عليه السلام -.

يا موسى.. ما خافني من خاف الخلق.. وما توكل عليَّ من خاف فوات الرزق.. يا موسى.. وعزتي وجلالي ما توكل عليَّ عبد إلا كفيته.. وبيدي مفاتيح الملك والملكوت وما اعتصم بي عبد.. إلا أدخلته الجنة وكفيته كل مهمة..

ومن اعتصم بغيري.. أسخت الأرض من تحته.. وقطعت الأسباب من فوقه.. ولا أبالي كيف أهلكته...

مريم البتول تعلمك درسًا في التوكل:

أختي المسلمة ...

التوكل الحقيقي هو الاعتماد على الخالق جل في علاه، والأخذ بالأسباب.. ولقد ضربت السيدة مريم عليها من الله السلام أروع الأمثلة في التوكل على الله تعالى

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٢٥٤).

والأخذ بالأسباب ... لقد ناداها ربها وهي في حالة الوضع، وهي أشد الحالات وأصعبها بالنسبة للمرأة فقال لها: ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً** ﴾ [مريم: ٢٥, ٢٦].

إن المرأة في حالة المخاض تكون أشد ما تكون إرهاقًا، فلا تقوى على الحركة.. أضيفي إلى ذلك كيف تهز النخلة؟!

إنها تحتاج إلى من يقوم على خدمتها، ومع ذلك استجابت لنداء الله، وتوكلت على الله، فأعطاها مسبب الأسباب جل في علاه..

توكل على الرحمن في الأمر كله ... ولا ترغبن في العجز يومًا عن الطلب
ألم تـــر أن الله قـــال لمـــريم: ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدلى الجذع من غير هزه ... إليها ولكن كل شيء له سبب

فليكن اعتمادك على من إذا شاء أعطى، وإذا شاء منع، فمن كلام عليٍّ بن أبي طالب ﷺ: «من اعتمد على ماله قل، ومن اعتمد على عقله ضل، ومن اعتمد على جاهه ذل، ومن اعتمد على الله لا قل ولا ضل، ولا ذل».

أختاه ...

لك في رسول الله ﷺ قدوة:

لك في خير من توكل على الله –تعالى- أسوة حسنة، فحين أراد الهجرة من مكة إلى المدينة بحثًا عن أرض طيبة يبذر فيها بذرة التوحيد، لتنمو وتترعرع، وتؤتي أكلها ماذا حدث؟ لقد خطط لهذه الرحلة، وأعد لها عدتها أخذًا بالأسباب.. فجهز الراحلة.. وأعد الزاد.. ودبر أمره حتى كان عبد الله بن أريقط دليله في الصحراء.. وعبد الله بن أبي بكر ناقلاً لأخبار القوم.. وأسماء أخته مجهزة للطعام.. وغير ذلك مما تعرفينه من كتب السيرة.. فلما جاء القوم يبحثون عنه، وقد وقفوا أمام غار ثور يقصوا الأثر أعمى الله عيون المشركين.. وطمس على قلوبهم، حتى قال أبو بكر الصديق ﷺ: يا رسول الله، والله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا.. فردّ عليه

صاحب اليقين بمولاه..: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[١].

أختاه ...

•• كوني مثل هاجر في حسن توكلها:

كوني كأم إسماعيل حين تركها أبو الأنبياء، إبراهيم - عليه السلام - حين تركها في الصحراء الجرداء، التي ليس بها زرع ولا ماء، ولا أنيس ولا جليس، إلا الاعتماد على الله جل في علاه..

وتأملي وهى تقول لإبراهيم: أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، وتكرر عليه هذا السؤال وهو لا يلتفت إليها، حتى قالت: آلله أمرك بهذا؟

قال: نعم.

قالت: إذن لا يضيعنا.. الله أكبر .. إذن لا يضيعنا..

وحقًّا لم يضيعها جل في علاه.. بل جعل هذا المكان تسعى إليه الوفود، وجعله أمنًا وأمانًا وسلامًا لكل من قام فيه..

أختي المسلمة ...

•• استحيي من الله حق الحياء:

فهذه وصية من إمام المتقين، وسيد المرسلين، وشفيع المذنبين، وقائد الغر المحجلين ﷺ إليك ليكون سلوكك مع الله أفضل سلوك، وأقومه ولما أوصى بها قام أحد الأصحاب فسأله:

كيف نستحي من الله حق الحياء؟ فقال ﷺ : «**من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلا، ومن أراد الآخرة، ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»[٢].

وفي الآثار يقول الله - عز وجل -: «**يا ابن آدم، إنك ما استحييت مني، أنسيت الناس عيوبك، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك، ومحوت من أم الكتاب**

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٩٣٥).

زلاتك، وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة»[١].

والحياء شعبة من شعب الإيمان يدل على حياة القلوب.. قال عمر بن الخطاب ﷺ : من قل حياؤه، قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه[٢]..

فإذا ذهب الحياء ماتت القلوب، وحل سخط علام الغيوب..

وقال أبو بكر الصديق ﷺ يخطب الناس:

«يا معشر المسلمين، استحيوا من الله، فوالذي نفسي بيده، إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعًا بثوبي استحياءً من ربي عز وجل»[٣].

• الحياء زينة المرأة:

والحياء تاج على رءوس المؤمنات، وخلق تتجمل به الصالحات..

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : «**الإيمان عريان، وريشة التقوى، ولباسه الحياء**»[٤]. لكن ليس في الحق حياء.. ولا في تعلم الدين حياء.

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت:

إنَّ امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ : كيف أغتسل من المحيض؟

قال: «خذي فرصة ممسكة – أي قطعة من قطن مبلل بالطيب – **فتطهري بها**» .

قالت: كيف أتطهر بها؟ فاستحيا النبي ﷺ فأعرض بوجهه، فجذبتها فأخبرتها بما يُريد النبي ﷺ[٥].

وعن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، هل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟

قال ﷺ : **نعم، إذا رأت الماء.** فغطت أم سلمة وجهها وقالت: يا رسول الله، أو تحتلم المرأة؟ قال: «**نعم تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها؟!**»[٦].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية.

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (٢٠).

(٣) كالسابق.

(٤) المرجع السابق (٨٣).

(٥) رواه البخاري (٣١٥)، ومسلم (٣٣٢) وأحمد وغيرهم.

(٦) البخاري (١٣٠)، ومسلم (٣١٣) وغيرهما.

أختي المسلمة ...

خلق الحياء من أخلاق الأنبياء والمرسلين، كما قال النبي الأمين ﷺ: «**أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح**»[١].

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فلما خرج قالت عائشة:

دخل أبو بكر فلم تعتدل، ثم دخل عمر فلم تعتدل، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[٢].

أختاه ...

راقبي الله - عز وجل - في شئونك كلها

فإن مراقبة الله - عز وجل - من أنفع الأدوية في علاج الغفلة، لأنك بذلك تعلمين أن ربك لا تأخذه سنة ولا نوم، كما أن المراقبة له - عز وجل - علاج نافع في إصلاح النية، لأنك توقنين أنَّ الله مطلع عليك، وأنه يعلم السر وأخفى ولذلك نقول: إن الإنسان لا ينصلح حاله إلا إذا علم يقينًا أنَّ الله مطلع عليه، وأنه لا يخفى عليه من أمره شيء ﴿ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ** ﴾ [الملك: ١٤].

أختي المسلمة ...

يقول بعض الصالحين: خرجت يومًا إلى السوق ومعي جارية حبشية في موضع بناحية السوق، وذهبت في بعض حوائجي، وقلت: لا تبرحي حتى أنصرف إليك. قال: فانصرفت فلم أجدها في الموضع، فانصرفت إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها، فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي...

فقالت: يا مولاى، لا تعجل عليَّ إنك أجلستني في موضع، لم أر فيه ذاكرًا لله - عز وجل -، فخفت أن يخسف بذلك الموضع!

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٣٤٧١) بإسناد حسن (٤١/١٧) ورواه الترمذي والطبراني.

(٢) رواه مسلم وغيره في كتاب الفضائل.

يقول: فعجبت لقولها، وقلت لها: أنت حرة..

فقالت: ساء ما صنعت.. كنت أخدمك فيكون لي أجران، وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما...

أختاه ...

أما لك في حبيبة العدوية قدوة حسنة في مراقبة الله - عز وجل -...

روى عنها - رحمها الله - أنها إذا صلت العتمة، قامت على سطح لها، وشدت عليها درعها وخمارها، ثم تقول مناجية لله:

إلهي.. قد غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك، ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت: إلهي .. هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري أقبلت مني ليلتي، فأهنأ، أم رددتها عليَّ فأعزى؟

وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني.. وعزتك، لو انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك(١).

هل لك قدوة في تلك الفتاة «بنت بائعة اللبن»؟

إنَّ عمر بن الخطاب أصدر قرارًا يمنع فيه غش اللبن بخلطه بالماء، ولكن لا تستطيع عين القانون أن ترى كل مخالف، وأن تقبض على كل خائن وغاش؟!

إنَّ القانون أعجز من هذا، لأن عين الإنسان لها حدود لا تتجاوزها، أما عين الله فلا يعجزها شيء..

الأم تريد أن تخلط اللبن طمعًا في زيادة الربح، لكن البنت المؤمنة الموحدة المراقبة تذكرها بمنع أمير المؤمنين لهذا الأمر، فتقول الأم: وهل أمير المؤمنين يرانا؟

فتقول الابنة بقلب نبع منه الإيمان، ولسان صادق: إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا...

الله أكبر .. مراقبة صادقة.. وخوف من رب العالمين جل في علاه..

وقد رحم الله الإمام أحمد بن حنبل، فقد كان يردد:

إذا مـــا خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (١٩/٤) ط دار الفكر.

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

أختاه ...

اعلمي أن الله مطلع عليك ويراك، فراقبيه وخافي منه، وليكن هذا سلوكك معه حتى ينتهي عمرك.

وقد كان الأندلسي يعظ ابنه فيقول:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها إنّ الذي خلق الظلام يراني

أختي المسلمة ...

ومن سلوكك مع الله - عز وجل - :

احفظي الله يحفظك

وقد كانت هذه وصية النبي ﷺ لك ولإخوانك المؤمنين في شخص عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١).

فيا من تريدين سعادة الدارين: الدنيا والآخرة.. احفظي الله ..

إذا أردت النجاة من الأخطار.. فاحفظي الله..

إذا أردت أن يحفظك الله من كيد الطغاة.. فاحفظي الله ..

إن الله تبارك وتعالى لما أرسل موسى إلى فرعون، الذي كان يدعى الألوهية، قال موسى: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ...**﴾ [طه: ٤٥].

فيرد عليه من هو خير حافظًا وهو أرحم الراحمين، فيقول: ﴿ **لاَ تَخَافَا إِنَّنِي**

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٦٦٩)، وصححه أحمد شاكر (١٩٤/٣)، ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦]. واتفق موسى - عليه السلام – مع فرعون على تحديد يوم، وموعد ليكون لقاء بين موسى والسحرة، فكان الموعد هو يوم الزينة، ولما جاء الموعد، واجتمع الناس، وجاء السحرة، قال لهم موسى: ألقوا، فألقوا حبالهم وعصيهم، وصار يخيل للناظر إليها أنها تتحرك!

حينئذ شعر موسى - عليه السلام – في نفسه بخوف، فإذا بمن يحفظ عباده، ويكلؤهم بالليل والنهار يقول له: **﴿ لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى ﴾** [طه: ٦٨].

يقول طاووس بن كيسان:

دخلت الحرم لأعتمر، قال: فلما أديت العمرة، جلست عند المقام بعد أن صليت ركعتين فالتفت إلى الناس وإلى البيت، فإذا بجلبة الناس والسيوف، والحراب،... فالتفت فإذا هو «الحجاج بن يوسف» الثقفي.. السفاح..

يقول طاووس: فجلست مكاني، وبينما أنا جالس، وإذ برجل من أهل اليمن، فقير زاهد عابد، أقبل فطاف بالبيت، ثم جاء ليصلي ركعتين، فتعلق ثوبه بحربة من حراب جنود الحجاج، فوقعت الحربة على الحجاج، فاستوقفه الحجاج، وقال:

من أنت؟ قال: مسلم.

قال: من أين أنت؟

قال: من اليمن.

قال: كيف أخي عندكم.

قال: تركته سمينًا بدينًا بطينًا.

قال الحجاج: ماسألتك عن صحته، لكن عن عدله؟

قال: تركته غشومًا ظلومًا..

قال: أما تدري أنه أخي؟

قال الرجل: فمن أنت؟

قال: أنا الحجاج بن يوسف.

قال: أتظن أنه يعتز بك أكثر من اعتزازي بالله؟

قال طاووس: فما بقيت في رأسي شعره إلا قامت..

قال: فأفلته الحجاج.. أي تركه.. لماذا؟

لأنه اعتز بمن هو خير حافظًا وهو أرحم الراحمين..

أختاه ...

احفظي الله يحفظك.. ويحفظ ذريتك من بعدك.. فنبى الله موسى - عليه السلام - حين مرَّ هو والخضر على قرية، فاستطعما أهلها، لكنهم أبوا أن يضيفوهما.. فوجد الخضر جدارًا يريد أن ينقض، فأقامه، فقال له موسى:

﴿ **لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً** ﴾ [الكهف: ٧٧]. ثم بين الخضر لموسى الحكمة من وراء ذلك فقال: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ...**﴾ [الكهف: ٨٢]. فصلاح الأب كان سببًا في حفظ ذريته...

وقد كان سعيد بن المسيب - رحمه الله - يطيل في صلاته، من أجل أن يحفظ في أولاده، ويقول: ﴿ **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً** ﴾.

وهذا عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - خامس الخلفاء لما حضرته الوفاة، لم يترك لأولاده شيئًا، وقد طلب منه الحاضرون أن يوصى لهم بمال، فجمعهم وكانوا سبعة ذكور، وسبع إناث، فقال لهم وهو يبكي: يا بني، إني خيرت بين أمرين إما أن تستغنوا وأدخل النار، أو تفتقروا وأدخل الجنة.. يا بني، والله ما ظلمتكم حقًا كان لكم، ولم أكن لأعطيكم شيئًا هو لغيركم، ﴿ **وإن وصىَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

ثم قال لمن حوله: إن ولد عمر بين أحد رجلين: إما رجل صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير ذلك، فلن أترك لهم ما يستعينون به على معصية الله. فحفظ الله أولاده من بعده..

احفظي الله يحفظك في بدنك، ويحفظ عليك جوارحك...

فأسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - كانت تحفظ الله تعالى في دينها ونفسها، فحفظها الله تعالى..

يقول عروة بن الزبير: بلغت أسماء مائة سنة لم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل. وحكى أن سارقًا دخل حجرة رابعة العدوية -رحمها الله - فأخذ شيئًا من متاعها، فلما قصد الخروج لم يجد سبيلاً، فعاد، فوضع المتاع، فوجد الباب واهتدى

إليه، فحمل المتاع، فلم يجد الباب، فعل ذلك ثلاثًا، فنودي: إنا نحفظ بيتها، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين..

احفظي الله يحفظك.. حتى من الحيوانات المؤذية..

فقد رئي إبراهيم بن أدهم –رحمه الله- نائمًا في بستان، وبجواره حية في فمها طاقة من النرجس، تدفع عنه الذباب، والباعوض..

أختاه ...

أخلصي العبادة لله - عز وجل -

ومعنى الإخلاص: أن تقصدي بأعمالك وجه الله تعالى، فلا ترائى به بشرًا، ولا تنافقي به مخلوقًا، لأن الذي يجازيك على عبادتك، ويكافئك على طاعتك ويحاسبك على كل ما تقدمينه من خير، أو شر، إنما هو الله.

فالإخلاص هو أصل العبادة وجوهرها، وأساس العبادة ولبابها.. فالعبادة لا تصلح إلا به، فلا قيمة للعمل مهما كان كثيرًا، ولا وزن لخير مهما كان كبيرًا ما لم يصحبه الإخلاص، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الزمر: ١١، ١٢]. وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾ [البينة: ٥].

وقد أوصاك رسول الإخلاص ﷺ، بل وأوصى الأمة كلها بالإخلاص، فقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ...**»(١).

فالعبادة إن لم تكن خالصة لله - عز وجل -، لم تكن مقبولة، قال تعالى في الحديث القدسي الجليل: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء**»(٢).

ففيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل من العمل شيئًا إلا ما كان خالصًا لوجهه تعالى، فإن لم يكن خالصًا فلا يقبل منه، ولا ثواب له في الآخرة، ومصيره إلى جهنم..

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) رواه مسلم وابن ماجه وغيرهما.

أختاه ...

كيف بك يوم القيامة وأنت تلتمسين ثواب أعمالك، فيقال لك: ألم نعجل لك ثوابك في الدنيا؟ ألم نوسع لك في المجالس؟! ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً** ﴾ [الفرقان: ٢٣].

فمثل من تعمل بالطاعات للرياء والسمعة كمثل امرأة خرجت إلى السوق، وملأت كيسها من الحصا، فكلما نظر إليها الناس، قالوا: ما أملأ كيسها! فلا منفعة لها سوى مقالة الناس..

ولذلك لما قيل لبعض الحكماء: ما غاية الإخلاص؟ قال: ألا تحب محمدة الناس.

وقد قال بعض الحكماء: يحتاج العمل أربعة أشياء حتى يسلم من الرياء.

الأول: العلم قبل بدئه، لأن العمل لا يصلح إلا بالعلم، فإذا كان العمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

الثاني: النية في مبدئه، لأن العمل لا يصلح إلا بالنية..

الثالث: الصبر في وسطه..

الرابع: الإخلاص عند فراغه، لأن العمل لا يقبل بغير إخلاص(١)..

أختي المسلمة ...

احذري الرياء فإنه الشرك الأصغر، فعن محمود بن لبيد أن النبي ﷺ قال: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**».

قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟

قال: «**الرياء، يقول الله تعالى لهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون لهم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم خيرًا**»(٢).

إلهنا... لقد أطعناك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد، ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الشرك، فاغفر لنا ما بينهما.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

---

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص١٣، ١٤).

(٢) رواه أحمد في مسنده والبيهقي في شعبه والبغوي في شرح السنة وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٩٥١).

أختاه ...

اشكري ربك

ومن الأدب السلوكي للمرأة المسلمة مع ربها، أن تشكره على ما أولاها من النعم، فنعمه لا تحصى، وآلاؤه لا تعد...

قال تعالى: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا** ﴾ [النحل: ١٨]. وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ...** ﴾ [النحل: ٥٣].

فسبحانه من إلهٍ منعم عظيم.. خلق الخلق ومع ذلك عبدوا غيره، ورزقهم ويشكرون سواه، خيره إلى العباد نازل، وشرهم إليه صاعد، يتحبب إليهم بنعمه وهو الغني عنهم، ويتبغضون إليه بالمعاصي، وهم أفقر شيء لديه..

تستغيث منهم الكائنات، فالبحار تقول بلسان الحال: يا ربنا، ائذن لنا أن نغرقه، فإن ابن آدم قد أكل نعمتك، ولم يشكر فضلك، وتقول السماء، بلسان الحال: يا رب، ائذن لنا أن نطبق عليه فقد أكل نعمتك ولم يشكر فضلك وتقول الأرض كذلك، والشمس كذلك، ورب العزة يمهله.. ولسان الحال يقول: دعوني وعبدي.. فأنا الذي بيدي خلقته، وعلى أرضي أسكنته وتحت سمائي ظللته، ومن مائي أرويته، ومن رزقي أطعمته، فهو عبدي وأنا ربه...

هل تستطيعين أختي المسلمة أن تقدمي له الشكر ولو على شربة ماء؟!

دخل ابن السماك يومًا، على أمير المؤمنين هارون الرشيد، فوافق أن وجده يرفع الماء إلى فمه ليشرب، فقال: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تنتظر به قليلاً، فلما وضع الماء قال له:

أستحلفك بالله تعالى، لو أنك منعت هذه الشربة من الماء فبكم كنت تشترينها؟

قال: بنصف ملكي.

قال: اشرب هنأك الله.. فلما شرب قال: أستحلفك بالله تعالى، لو أنك منعت خروجها من جوفك بعد هذا، فبكم كنت تشتريها؟

قال: بملكي كله.. قال: يا أمير المؤمنين، إنّ ملكًا تربو عليه شربة ماء، وتفضله بولة واحدة، لخليق ألا ينافس فيه، فبكى هارون الرشيد، حتى ابتلت لحيته...

أختي المسلمة ...

وقد أمر الله بالشكر فقال: ﴿ **وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [النحل: ١١٤].

وقال: ﴿ **وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُون** ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقد وصف الله بالشكر خواص خلقه، وجعله غاية أمره، قال تعالى عن نوح - عليه السلام -: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً** ﴾ [الإسراء: ٣]. وقال عن خليله إبراهيم - عليه السلام -: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لأَنْعُمِهِ ...** ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١].

وقد وعد الله تعالى أهل الشكر بأحسن الجزاء، وجعله سبب المزيد من فضله فقال جل في علاه: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم: ٧].

وسمى نفسه شاكرًا وشكورًا، وسمى الشاكرين بهذين الاسمين، فأعطاهم من وصفه وسماهم باسمه، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً.

أختي المسلمة ...

والشكر يكون باللسان، ويكون بالقلب.. فأما باللسان فيكون بحمده سبحانه قال ﷺ : «**إنَّ الله تعالى ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»(١).

وقال ﷺ : «**ما أنعم الله على عبد من نعمة صغرت أو كبرت، فقال: الحمد لله، إلا كان قد أعطى أفضل مما أخذ**»(٢).

وقال سعيد بن جبير: أول من يدخل الجنة من يحمد الله في السراء والضراء.

وقال ﷺ : «**عجبًا لأمر المؤمن، فإن أمره كله خير، إن أصابه خير فشكر فكان خيرًا له، وإن أصابه شر فصبر فكان خيرًا له**»(٣).

وعن مكحول – رحمه الله تعالى – أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ﴾ [التكاثر: ٨]. فقال: بارد الشراب، وظل المساكن، وشبع البطون،

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٤٤٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٥٦٢).

(٣) رواه مسلم وأحمد وهو في صحيح الجامع للألباني برقم (٣٩٨٠)، والصحيحة برقم (١٤٧).

واعتدال الخلق، ولذة النوم. قال الفقيه السمرقندي:[١]

اعلم أن الحمد والشكر عبادة الأولين والآخرين، وعبادة الملائكة المقربين، وعبادة الأنبياء عليهم السلام، وعبادة أهل الأرض..

فآدم - عليه السلام - لما عطس قال: الحمد لله.

ونوحًا - عليه السلام - لما أغرق الله قومه، وأنجاه ومن معه من المؤمنين أمره أن يحمد الله فقال: ﴿ **فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وإبراهيم - عليه السلام - قال: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وداود وسليمان عليهما السلام.. ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النمل: ١٥].

أختاه ...

استحضري نعم الله، فكم مرة مرضت فشفاك، ونزلت بك نازلة فنجاك، وألم بك الجوع والعطش فأطعمك وسقاك، وابتلاك بالمصائب ليغفر لك الذنوب وقصدك بالبلايا ليمحو الخطايا..

أنعم عليك بالإسلام وملايين البشر في بحار الكفر غارقون.. وأفاض عليك بنعم السمع والبصر والفؤاد، والمحرومون والمحرومات كثيرون.

تبارزينه بالمعاصي ويحبك، وتعصينه ويغفر لك. .وتقطعينه فيصلك وتسيئين فيحسن إليك.. لا يمنعه إساءة لسانك بالكذب أن يحرمك نعمة الكلام.. ولا إساءة الأذن إلى الاستماع إلى المحرم والفحش من القول إلى أن يصيبك بالصمم... ولا إساءة عينيك بالنظر إلى ما حرم الله، إلى أن يحرمك نعمة الإبصار..

أنعم عليك بنعم تعرفينها، ونعم لا تعرفينها، نعم تشعرين بها، وأخرى لا تشعرين بها.. نعم أوشك اعتياد رؤيتها نسيان شكرها، فلا تعرفين ثمنها إلا بفقدها.

---

(١) تنبيه الغافلين (ص٣٥٠).

أختاه ...

اصبري على قضاء الله

ومن السلوك الذي يجب أن تسلكه الأخت المسلمة، لتنال رضا الله - عز وجل - «الصبر على قضاء الله عز وجل».

وإن الابتلاء سنة ماضية، والمؤمنة هى التي تعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وأنه لا راحة إلا بدخول جنة الرحمن - جل وعلا- :

قال تعالى: ﴿ **الـم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت: ١-٣]. لذلك لابد أن تعلمي أن الطريق إلى الجنة يحتاج إلى الصبر والمجاهدة، قال ﷺ : «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**»(١).

والمكاره لابد لها من الصبر، ولقد جمع الله للصابرين أمورًا لم يجمعها لغيرهم، قال تعالى: ﴿ ... **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فالله يُصلى على الصابرين والصابرات، وصلاته سبحانه هى الرضا والقبول وإرادة الخير.. ورحمته سبحانه.. وهدايته ..

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر: ١٠].

ورسولنا ﷺ يقول: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»(٢).

أختي المسلمة ...

وليكن عزاؤك في كل هذا أن سيد الأولين والآخرين ﷺ صبر على الإيذاء، وتلك سنة الله في خلقه، ولذلك يقول: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض، وما عليه خطيئة**»(٣).

---

(١) رواه مسلم والبخاري، وأحمد وغيرهم وهو في صحيح الجامع للألباني برقم (٣١٤٧).

(٢) رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٨٥)، والصحيحة برقم (١٤٦).

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٩٩٢).

وما عليك أختي الفاضلة إلا أن تتسلى بأخبار الصالحين والصالحات، الصابرين منهم والصابرات.. واعلمي أنه إذا سلك بك سبيل البلاء فطيبي نفسًا، وقرى عينًا.. لأنه سبيل الأنبياء والصالحين..

فعن وهب بن منبه قال: كتبت من كتاب رجل من الحواريين: إذا سلك بك سبيل البلاء فقر عينًا، فإنه يُسلك بك سبيل الأنبياء والصالحين، وإذا سلك بك سبيل الرخاء، فابك على نفسك، فقد خولف بك عن سبيلهم..

فعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس - رضي الله عنهما - ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ وقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي..

فقال ﷺ : «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» قالت: أصبر.. فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها (١)..

وتلك امرأة أخرى في عهد الرسول ﷺ تسمى «**زنيرة**» فقد عذبها المشركون عذابًا شديدًا لاعتناقها دين الإسلام، حتى فقدت بصرها من كثرة الإيذاء، ولما ذهب بصرها، قال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى فقالت لهم: والله ما هو كذلك، وما تدري اللات والعزى من يعبدها، ولكن هذا أمر من السماء، والله قادر على أن يرد إليَّ بصري.

فلما صبرت على هذا البلاء .. ردَّ الله عليها بصرها.. فقالت قريش: هذا من سحر محمد ﷺ ، فاشتراها أبو بكر وأعتقها.

ولعلك أختي الفاضلة تذكرين أم سليم - رضي الله عنها - والتي تزوجها أبو طلحة ﷺ وكان مهرها الإسلام..

عن أنس ﷺ قال: اشتكى ابن لأبي طلحة قال: فمات وأبوه أبو طلحة خارج، فلما رأت أم سليم أنه قد مات هيأت نفسها، وجعلت ابنها في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة، قال: كيف الغلام؟

قالت أم سليم: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أن الأمر كذلك، فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج، قالت له: إن قوم

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

بني فلان أعاروا عارية لقوم بني فلان فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟

قال: لا.

قالت: فإن الله أعارنا فلانًا ثم أخذه منا، فاحتسب ابنك، فغضب وانطلق حتى أتى النبي ﷺ، فأخبره بما كان منهما، فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لكما في ليلتكما**».

قال ابن عيينة: قال رجل من الأنصا:، فرأيت له تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن[1].

أرأيت أختي المسلمة، كيف كان صبر تلك الصحابية الجليلة على فقد ولدها؟ وكيف أوصلت ذلك إلى زوجها بطريقة كلها إيمان ورضا بقضاء الله - عز وجل -؟ ثم انظري كيف عوض الله تبارك وتعالى عن هذا الصبر؟

أختاه ...

إن كنت من اللاتي فقدن أزواجهن، فلك أن تتأسى بأم سلمة - رضي الله عنها - وإن لم تكوني كذلك فهي للعبرة والعظة، والدنيا لا تدوم لأحد ...

أم سلمة روت عن سيد الخلق ﷺ حديث: «**لا يصيب أحد مصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، اللهم اخلفني فيها خيرًا منها، إلا أعطاه الله عز وجل**».

قالت أم سلمة: فلما أصبت بأبي سلمة قلت: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه ولم تطب نفسي أن أقول: اللهم اخلفني فيها بخير منها، ثم قلت: مَنْ خير من أبي سلمة.. أليس.. أليس.. ؟

فلما انقضت عدتي أرسل إليَّ أبو بكر ليخطبني، فأبيت، ثم أرسل إليَّ عمر فأبيت - أي رفضت - حتى أرسل إليَّ رسول الله ﷺ، فقلت: مرحبًا برسول الله وتزوجني رسول الله ﷺ [2]..

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

أختي الفاضلة ...

وإن كنت من أصحاب الأمراض، وأسأل الله لي ولك وللمسلمين والمسلمات أن يعافينا من الأمراض ما ظهر منها وما بطن ...

فاصبري واستسلمي لقضاء الله وقدره، واعلمي أن الأولين كانوا يرون أن الابتلاء من الله تعالى كنز عظيم، لكنه لا يُدخر في الخزائن، ولا يُوضع في أكياس الأموال، وإنما يوضع في الأجساد..

وتذكري حديث النبي ﷺ : «**إذا ابتلى الله العبد ببلاء في جسده، قال الله – عز وجل –: اكتبوا له صالح عمله، فإن شفاه غسَّله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه**»[(١)]. وإن كنت ممن فقد لها ولد، فأبشرك بحديث النبي ﷺ : «**إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم وَلد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع**– أي قال: الحمد لله إنا لله، وإنا إليه راجعون – **فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد**»[(٢)].

وأبشرك بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث** - أي الحلم – **إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته**»[(٣)].

أختي المسلمة ...

وإن كنت من اللاتي وجدت ضيقًا في العيش، فاصبري، فإن ذلك امتحان واختبار لك.. وسوف يكون التعويض الأكبر من الرب الأعظم جل في علاه ... فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الأرض، فيغمس في النار غمسة فيخرج أسود محترقًا، فيقال له: هل مرَّ بك نعيم قط إذ كنت فيها؟ فيقول: لا، لم أزل في هذا البلاء منذ خلقني.. ويؤتى بأشد أهل الدنيا بلاء فيغمس في الجنة غمسة، ثم يقال له: هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا، لم أزل في هذا النعيم منذ خلقني**»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد (١٢٤٤٢) في مسنده بإسناد حسن، وصححه الهيثمي وقال: رجاله ثقات وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٥٨).

(٢) رواه الترمذي، وابن حبان، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٥٠)، والصحيحة (١٤٠٨).

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم بنحوه وأحمد في مسنده وابن ماجه.

وقد جاء في بعض الأخبار:

أنّ مؤمنًا وكافرًا في الزمن الأول، انطلقا يصيدان السمك، فأخذ الكافر يذكر آلهته، فامتلأت شبكته حتى أخذ سمكًا كثيرًا، وجعل المؤمن يذكر الله فلا يجيء شيء، ثم أصاب سمكة عند الغروب، واضطربت ووقعت في الماء، فرجع المؤمن وليس معه شيء، ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته، فأسف ملك المؤمن الموكل به، فلما صعد إلى السماء، أراه الله مسكن المؤمن في الجنة، فقال: والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا، وأراه مسكن الكافر في النار، فقال: والله ما يغني عنه ما أصاب من الدنيا بعد أن يصير إلى هذا[1].

يـــا صاحب الهم إنّ الهم منفرج — أبشـــر بقـــرب فإن الفارج الله

إذا بليـــت فثق بالله وارض به — إن الذي يكشف البلوى هو الله

الـــيأس يقطـــع أحيانًا بصاحبه — لا تـــيأس فـــإن الصـــانع الله

الله يحـــدث بعد العسر ميسرة — لا تجـــز عـــن فإن الكافي الله

أختاه ...

توبي إلى الله

فالتوبة من الذنوب بالرجوع إلى علام الغيوب، وغفار الذنوب، مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول إقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين[2]..

والتوبة هي الرجوع إلى الله تعالى، والندم على ما فات، والعزم على عدم العود إلى الذنب...

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ...** ﴾ [التحريم: ٨].

والنصح في التوبة: هو تخليصها من كل غش، ونقص، وفساد.

---

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص١٩٢).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي.

وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن.

أختاه ...

«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[١].

وقال سبحانه في حديثه القدسي الجليل: «يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم»[٢].

وقال في التنزيل: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

فيا لها من رحمة من الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء..

واعلمي أختاه .. أن توبتك إلى الله - عز وجل - محفوفة بتوبتين من الله: توبة قبلها، وتوبة بعدها ...

فالأولى: إذن وتوفيق، والثانية: قبول وإثابة.. قال تعالى عن الثلاثة الذين خُلفوا عن غزوة تبوك: ﴿ ... ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨].

أختاه ...

إنك إن ذكرت ربك في نفسك، ذكرك في نفسه، وإن ذكرتيه في ملأ ذكرك في ملأ خير من ملئك، وإن دنوت منه شبرًا، دنا منك ذراعًا...

كما أخبرك رسولك محمد ﷺ ...

ربك يفرح بتوبتك.. يفرح برجوعك إليه.

قال ﷺ : «لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة - أي صحراء واسعة - فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال - من شدة فرحه برجوعها-: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[٣].

---

(١) رواه مسلم، وأحمد وغيرهم وذكره الألباني في صحيح الجامع (١١٨٧١).

(٢) رواه مسلم عن أبي ذر.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم، والألباني في صحيح الجامع برقم (٥٠٣٠).

بتوبتك يفرح الرب، وتسعد الملائكة، وتغيظين الشيطان، وتبيضين صحيفتك، وتُرفع درجتك، ويُوسع قبرك، ويعلو قدرك.

نعم يغتاظ الشيطان، ألم يقل من حفظه الله من الشيطان: «**إنَّ إبليس قال لربه – عز وجل –: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله – عز وجل –: فبعزتي وجلالي، لا أبرح لهم ما استغفروني**»(١)؟

أختاه ...

يا من أخرت توبتك، واستحليت نومتك.. كيف بك يا أختاه إذا نزل بك الموت وأنت غير تائبة؟

أعقدت مع ملك الموت عقدًا يضمن عدم مجيئه فجأة؟

أطلعت على الغيب فعلمت موعد موتك؟ أم اتخذت عند الرحمن عهدًا أن لا يقبض روحك حتى تتوبي؟

أختي التائبة... حذاري من التسويف، فإنها بضاعة المفلسات.. فالمسوفة كمن أرادت أن تقتلع شجرة، وفي الموعد المحدد، قالت: سوف أؤخرها يومًا، ثم جاء اليوم التالي، فقالت: أؤخرها يومًا آخر، ولا تدري المسكينة أنها كلما أخرت كلما ازداد رسوخ الشجرة وصعب اقتلاعها.. ؟ ناد بالأسحار.. واذرفي الدموع الغزار وقولي:

يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت ... فمـا أطيق لها حصرًا ولا عددًا
ولـيس لي بعذاب النار من قبل ... ولا أطـيق لها صبرًا ولا جلدًا
فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي ... ولا تذقـني حرًّا للجحيم غدًا

وقال **سفيان بن عينية**: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله – عز وجل – أجاب دعاء شر الخلق، إبليس لعنه الله، إذ يقول: ﴿ **رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [الحجر: ٣٦].

١– أكثري من الدعاء، وألحي على ربك، فقد كان النبي ﷺ يعجبه أن يدعو ثلاثًا.

٢– لا تعجلي ولا تقولي: دعوت ولم يُستجب لي، ففي الحديث: «**يُستجاب**

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١١٨٣) بإسناد حسن ورواه الحاكم.

لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي»[١].

٣- ترصدي أوقات الإجابة: كيوم عرفة، ورمضان، ويوم الجمعة، ووقت السحر من ساعات الليل، هذا الوقت الطيب المبارك الذي ينزل فيه الرب جل في علاه إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: «**من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**»[٢].

وقيل: إنَّ يعقوب - عليه السلام - إنما قال: ﴿ **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي** ﴾ [يوسف: ٩٨]. ليدعو لهم في وقت السحر.

وكذلك في السجود، لقول النبي ﷺ : «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء**»[٣]. وكذلك يُستجاب الدعاء وقت نزول الغيث وعند إقامة الصلاة، وعند التقاء الصفوف للقتال في سبيل الله.

٤- لا ترفعي صوتك بالدعاء، لأنك تناجين من يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء..

قالت عائشة - رضي الله عنها - في قول الله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء: ١١٠]. أي بدعائك.

وقد قال النبي ﷺ لأصحابه لما رآهم يرفعون أصواتهم بالتكبير والدعاء: «**يا أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، إن الذي تدعون ليس أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا بصيرًا**»[٤].

٥- افتتحي دعاءك بحمد الله والثناء عليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، ثم صلى على نبيه محمد ﷺ ، يستجب الله لك الدعاء..

فقد سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته، لم يمجد الله تعالى، ولم يُصل عليه ﷺ ، فقال: «**عجل هذا**».

ثم دعاه، فقال له ولغيره: «**إذا دعا أحدكم فليبدأ بتحميد الله - عز وجل -**

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي، وأبو داود .

(٣) رواه مسلم، وأبو داود.

(٤) رواه البخاري، ومسلم.

والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو بما شاء»[١].

٦- طيبي مطعمك تكوني مستجابة الدعوة، لقول النبي الأكرم، والرسول الأعظم ﷺ : «**إنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾** [المؤمنون: ٥١]. **وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾** [البقرة: ١٧٢]. **ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»**[٢].

٧- استقبلي القبلة، وارفعي يديك، يستجب الله دعوتك.

٨- اعظمي رغبتك في الله جل وعلا، يستجب لك ربك، فقد قال النبي ﷺ : «**إذا دعا أحدكم، فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء»**[٣].

(لطيفة):

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟

قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار ولم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان ولم تحاربوه، وعرفتم الموت ولم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتكم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس[٤].

أختاه ...

إذا أردت أن تتوجهي بالدعاء، أو بالشكوى، فتوجهي إلى الله - عز وجل -.

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم، والترمذي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣١٢/٢) القرطبي.

توجهي إلى الله بالدعاء وتضرعي إليه

ومن الأدب السلوكي للمرأة المسلمة مع الله - عز وجل - «**الدعاء والطلب من الله**» لأنه هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وهو الذي يكشف السوء، وهو الذي ينصر المظلوم، ويغيث الملهوف، ويفرج المهموم، ويُيسر العسير ويفرح إذا توجه إليه عبده أو أمته بالدعاء، لكنه سؤال غيره ذل ومهانة:

لا تسألن بني آدم حاجة ... وسلى الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وترى بني آدم حين يُسأل يغضب

بل إنك إن لم تدعي ربك غضب منك، قال ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله يغضب عليه**»(١).

وقد رأى أحد العلماء رجلاً يتردد على أحد الملوك، فقال له: يا هذا تذهب إلى من يَسُد دونك بابه، ويظهر لك فقره، ويخفي عنك غناه، وتترك من يفتح لك بابه، ويظهر لك غناه، ويقول: ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾.

واعلمي أنه سبحانه أقرب إليك من حبل الوريد، وأقرب إليك من روحك قال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة، فقال سبحانه: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [غافر: ٦٠].

ولذلك قال ﷺ: «**إنَّ الله حييٌّ كريم يستحي إذا رفع أحدكم يديه أن يردهما صفرًا خائبتين**»(٢).

ورب العزة سبحانه خزائنه مملوءة لا تنفد، كما قال ﷺ: «**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه**»(٣) أي لم ينقص.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٥٨)، وأحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي وضعفه، ورواه ابن حبان والحاكم وصححه (١/٤٩٧) ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البخاري ومسلم، والترمذي.

أختي المسلمة ...

ولعلك تتساءلين: إني أدعو الله كثيرًا ولا أرى إجابة ؟

والجوب على ذلك من أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ : «**ما من مسلم يدعو** – أو مسلمة تدعو – **بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**»(١).

فلا تيأسي، ولا تضعفي فإنه لابد معطيك..

يقول ابن عطاء الله السكندري:

إن للدعاء أركانًا وأجنحة وأسبابًا وأوقاتًا، فإن وافق أركانه قوى، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح... فأركانه حضور القلب، والرأفة والاستكانة، والخشوع، وأجنحته: الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه: الصلاة على نبينا محمد ﷺ .

إذن تفهمين من هذا أنه لابد من حصول آداب الدعاء حتى يُستجاب للدعاء.

وقال سهل بن عبد الله التستري – رحمه الله – :

شروط الدعاء سبعة: أولها: التضرع، والخوف، والرجاء، والمداومة والخشوع، والعموم، وأكل الحلال(٢)..

وها هي آداب الدعاء مجملة ومختصرة:

١– أن تجزمي بالدعاء(٢)، وتوقني بالإجابة(٣)، وأن يصدق رجاؤك فيه، قال ﷺ : «**لا يقل أحدكم إذا دعا: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة..**»(٣).

وقال ﷺ : «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاءً من قلب غافلٍ لاه**»(٤).

---

(١) رواه الحاكم وصححه (٤٩٣/١) ووافقه الذهبي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١١/٢).

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

(٤) رواه الحاكم (٤٩٣/١) وقال: مستقيم الإسناد ورواه الترمذي وحسنه الألباني بشواهده.

السلوكيات التي ينبغي للمرأة المسلمة أن تسلكها تجاه رسول الله ﷺ

سلوكيات المرأة المسلمة

مع رسول الله ﷺ

أختي المسلمة ...

إنَّ شأن رسول الله ﷺ عند ربه لعظيم، وإنَّ قدره لكريم..

فقد زكاه مولاه في كل شيء.. زكَّاهُ في عقله فقال: ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى** ﴾ [النجم: ٢].

وزكّاه في لسانه فقال: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى** ﴾ [النجم: ٣].

وزكّاه في جليسه، فقال: ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** ﴾ [النجم: ٥].

وزكاه في فؤاده فقال: ﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى** ﴾ [النجم: ١١].

وزكّاه في بصره، فقال: ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى** ﴾ [النجم: ١٧].

وزكّاه في صدره، فقال: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴾ [الشرح: ١].

وزكّاه في طهره، فقال: ﴿ **وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ** ﴾ [الشرح: ٢].

وزكّاه في ذكره، فقال: ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾ [الشرح: ٤].

وزكّاه في حلمه، فقال: ﴿ **بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وزكاه في خلقه، فقال: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

ومن شرفه ﷺ أنّ الله سبحانه لم يخاطبه إلاَّ بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ** ﴾ أو بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ** ﴾ أو بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ** ﴾ أو بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** ﴾ لكنه عندما أراد أن ينادي على أحد أنبيائه أو رسول من رسله كان يناديه باسمه المجرد، قال سبحانه: ﴿ **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ [الأعراف: ١٩].

وقال: ﴿ **يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ** ﴾ [هود: ٤٨]. وقال مناديًا على إبراهيم: ﴿ **يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا** ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤]. وقال مناديًا يحيى: ﴿ **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** ﴾ [مريم: ١٢] وهكذا أختي المسلمة سائر الأنبياء عليهم السلام..

ومن شرفه ﷺ أنّ الله سبحانه جل في علاه أقسم بحياته فقال: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ**

لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢]. وإنَّ حياته ﷺ لجديرة أن يقسم بها مولاه سبحانه وتعالى، لما فيها من البركة العامة والخاصة.

ومن شرفه ﷺ أنه ساد الكل، كما في حديث عبد الله بن سلام ﷺ من قوله ﷺ : «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، بيدي لواء الحمد، تحته آدم فما دونه**»[1].

ومن شرفه ﷺ أن الله سبحانه أخذ الميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين إن بعث فيهم الحبيب محمدًا ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه، فقال سبحانه: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾** [آل عمران: ٨١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»[2].

أختي المسلمة ... وكما قال القائل:

وفضـــل رسول الله ليس له حد — فـــيعزب عـــنه نـــاطق بفـــم

فما هى السلوكيات التي ينبغي على المسلمة فعلها نحو رسول الله ﷺ ؟

أولاً: محبته ﷺ :

إنَّ محبة الحبيب المصطفى ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان، وحينما تستقر شجرة المحبة الصادقة في القلب، فإنها تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، لكن ...

---

(١) رواه البخاري، ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

ما هي حقيقة المحبة؟

أختي المسلمة ...

وحقيقة المحبة أن يميل قلب المسلم إلى رسول الله ﷺ ميلاً يتجلى فيه إيثاره ﷺ على كل محبوب من نفس ووالد وولد والناس أجمعين، وذلك لما خصه الله تعالى من كريم الخصال، وعظيم الشمائل، وما أجراه الله على يديه من صنوف الخير والبركات لأمته، وما امتن الله على العباد ببعثته ورسالته إلى غير ذلك من الأسباب الموجبة لمحبته عقلاً وشرعًا[1].

ففي الصحيحين من حديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[2].

وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ﷺ فقال له عمر: يا رسول الله؛ لأنت أحبُّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك**» فقال عمر: والله لأنت أحب إلي من نفسي.

فقال النبي ﷺ: «**آلآن يا عمر**»[3].

قال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما: المحبة ثلاثة أقسام:

١- محبة إعظام وإجلال: كمحبة الوالد.

٢- ومحبة شفقة ورحمة: كمحبة الولد.

٣- ومحبة مشاكلة واستحسان: كمحبة سائر الناس.. فجمع أصناف المحبة في محبته..

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ**

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع لعبد الرءوف محمد عثمان (ص٤١) بتصرف مكتبة الضياء.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

(٣) رواه البخاري.

الفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]. قال القاضي عياض - رحمه الله -:

فَكَفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظيم خطرها، واستحقاقها له ﷺ - إذا قرَّع الله من كان ماله وولده وأهله أحب إليه من الله ورسوله ﷺ، وأوعدهم بقوله: **﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾** [التوبة: ٢٤]. ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن أضل ولم يهده الله.

إذن أختي المسلمة .. محبة الرسول ﷺ من كمال الإيمان.

لماذا يجب علينا حبه ﷺ؟

أختاه ...

إننا يجب علينا أن نحب حبيبنا رسول الله ﷺ لأنه الرحمة المهداة، والنعمة المسداة.. قال سبحانه: **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾** [الأنبياء: ١٠٧].

نحبه .. لأنه لولاه لنزل العذاب بالأمة.. ولولاه لاستحققنا الخلود في النار

نحبه.. لأنه يخاف علينا.. فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش، وهذه الدواب التي يقعن في النار، يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها**»(١).

ولما تلا قول الله جل في علاه على لسان إبراهيم - عليه السلام -.. **﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** [إبراهيم: ٣٦]. وتلا قوله تعالى على لسان عيسى - عليه السلام -: **﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾** [المائدة: ١١٨]. رفع يديه قائلاً: «**اللهم أمتي أمتي**» .. وبكى..

فقـ الله - عز وجل -: **يا جبريل، اذهب إلى محمد فسله: ما يبكيك؟** فأتاه جبريل فسأله: **ما يبكيك يا رسول الله؟** فأخبره النبي ﷺ، فقال الله تعالى: **يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾**(٢) [الضحى: ٥].

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

(٢) رواه مسلم وغيره.

نحبه لأنه يحبنا، وتلك هى وثائق حبه التي وقعها بالدم.. ففي الطائف عندما ذهب إليهم، ليدعوهم إلى عبادة الله - عز وجل -.. أغروا به سفهاءهم، وعبيدهم فرموه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين ..

وبينما النبي ﷺ - يومًا في حجر الكعبة، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه على عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر الصديق ﷺ حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ ... وقال: ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ** ﴾ [غافر: ٢٨].

وفي يوم آخر، وبينما هو ساجد في صلاته عند الكعبة، يضع أحد الأشقياء سلا الجزور على كتفيه ﷺ وهو ساجد، ولم ينزعها عنه إلا ابنته فاطمة - رضي الله عنها - .

صبر على ذلك كله وأكثر من هذا، لأنه يحبنا .. فبعد هذا البذل والتعب، وبعد هذه التضحيات نهجر سنته، ونقتدي بغيره؟!

لقد ضحى من أجلنا، لا لننفعه في شيء، بل لننفع أنفسنا، فبأي وجه سنلقاه وقد خالفناه؟ بأي عمل نرتجى شفاعته؟! وبأي عمل نأمل مقابلته في الفردوس؟

كيف الوصول إلى محبة الرسول ﷺ؟

أولاً: بالسمع والطاعة له ﷺ :

قال سبحانه: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١]. قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

تالله ما هُزلت فيستامها المفلسون، ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون، لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد؟ فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس، فتأخر البطالون، وقام المحبون ينظرون: أيهم يصلح أن يكون ثمنًا؟

فدارت السلعة بينهم، ووقعت في يد ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [المائدة: ٥٤]. لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يُعطى الناس بدعواهم، لادعى الخليُّ حرقة الشَّجيِّ، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة

البينة بتزكية ﴿ **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ** ﴾ [المائدة: ٥٤]. فتأخر أكثر المحبين، وقام المجاهدون، فقيل لهم: إنّ نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فهلموا إلى بيعة ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ [التوبة: ١١١].

فلما عرفوا عظمة المشترى، وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع؛ عرفوا قدر السلعة، وأنّ لها شأنًا، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي، من غير ثبوت خيار، وقالوا: «**والله، لا نقيلك، ولا نستقيلك**».

فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم: مُذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا، رددناها عليكم أوفر ما كانت، وأضعافها معها، فكانوا.. ﴿ **فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [آل عمران: ١٧٠]. فإذا غرست شجرة المحبة في القلب، وسقيت بماء الإخلاص، ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها.. أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى(١) ...

أختاه ...

إن كنت لرسول الله ﷺ متبعة .. كنت لله محبة، ولقد أحسن من قال:

تعصـى الإله وأنت تظهر حبه ... هـذا لعمري في القياس شنيع

لو كنت صادقًا في حبه لأطعته ... إنّ المحـب لمـن يحـب مطيع

قال القرطبي –رحمه الله– :

كان ثوبان مولى رسول الله ﷺ شديد الحب، قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه، ونحل جسمه، يُعرف في وجهه الحزن، فقال له النبي ﷺ : «**ما غيَّر لونك؟**» قال: يا رسول الله، ما بي ضرٌّ ولا وجع، غير أنى إذا لم أرك اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، لأني عرفت أنك ترفع مع البنين، وأنى إن دخلت الجنة، كنت في منزلة هى أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل لا أراك أبدًا، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ**

(١) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية (٣/ ١٠، ١١) ط/ دار الكتب العربي بيروت.

﴿وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾ [النساء: ٦٩]. فرضي الله عنك يا ثوبان.. ورضي الله عمن أطاع الله ورسوله...

ثانيًا: فداء النبي ﷺ بالمهج والأرواح:

فهذا موقف عظيم من امرأة عظيمة مؤمنة، قد لامس الإيمان شغاف قلبها، حتى لو فقدت الدنيا بكل ما فيها من أهل وعشيرة ومال ومتاع، فإن ذلك لا يهمها ما دام الحبيب ﷺ بخير وعافية..

لما عاد الرسول ﷺ - وأصحابه، مرّوا بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها في غزوة أحد، فلما نُعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله، كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير إليه، حتى إذا رأته قالت: «**كل مصيبة بعدك جلل**»[1]. أي صغيرة وهذا موقف آخر للصحابي الجليل «**خبيب بن عدي**» ﷺ والذي يعلمنا درسًا في الحب الصادق الذي ليس له نظير.. حين هم المشركون أن يصلبوه في مكة، واحتشدوا حوله في شماتة ظاهرة، وشحذ الرماة رماحهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر في جنون ووحشية، فالتفت إليهم خُبيب وقال لهم: دعوني أركع ركعتين، فتركوه، فصلاهما، فلما سلم قال: والله لولا أن تقولوا: إنَّ ما بي جزع من الموت لزدت.. ثم قال: اللهم احصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا.. فاقترب منه أبو سفيان قائلاً له:

أيسرك أن محمدًا هنا في مكانك، ومحمد عندنا تُضرب عنقه؟! فقال: لا والله ما يسرني في أهلي، ومحمد ﷺ في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه»[2].

ثالثًا: دافعي عن سنته وشريعته:

لأن سنة الحبيب محمد ﷺ هى الصراط المستقيم الذي قال عنها عبد الله بن مسعود ﷺ : «**لو تركتم سنة نبيكم لضللتم**»[3].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله -:

وهدي النبي ﷺ هو الصراط المستقيم، وقد أمرنا الله تعالى أن نقول في صلاتنا:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام.

(٢) راجعي القصة كاملة في صحيح البخاري في كتاب المغازي برقم ٤٠٨٦ ومسند الإمام أحمد (٧٩١٥) وابن سعد.

(٣) رواه مسلم (٦٥٤).

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

رابعًا: أكثرى من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ :

لأن الصلاة على رسولنا محمد ﷺ قد أمرنا بها رب العالمين جل في علاه قال تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾** [الأحزاب: ٥٦].

قال الإمام القرطبي: هذه الآية شرف الله بها رسوله ﷺ حياته وموته، وذكر منزلته منه، وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء، أو في أمر زوجاته ونحو ذلك.. والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة: الدعاء والتعظيم لأمره(١).

وقال ابن كثير في تفسيره: المقصود من هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثنى عليه في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين، وأنّ الملائكة تصلى عليه، ثم أمر الله تعالى العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا(٢).

والصلاة على رسول الله ﷺ من أفضل الأعمال، قال ﷺ : «**من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا**»(٣).

وقال: «**من صلى عليَّ أو سأل الله لي الوسيلة حقت له شفاعتي يوم القيامة**»(٤).

أختي المسلمة ...

إن أردت ألا تخطئى طريق الجنة، فأكثري من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، قال ﷺ : «**من ذكرت عنده فلم يُصل عليَّ خطئ طريق الجنة**»(٥). واحذري أن تكوني من أبخل الناس.. قال ﷺ : «**بحسب امرئ في البخل أن أذكر عنده فلا يُصلي عليّ**»(٦).

---

(١) تفسير القرطبي (٨/٥٥٠٠) ط/ دار الغد.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٣٣) ط/ التوفيقية.

(٣) رواه مسلم وأحمد.

(٤) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي

(٥) رواه الجهضمي وقال الألباني: إسناده مرسل جيد.

(٦) رواه ابن حبان، والحاكم، ورواه الترمذي، وقال الألباني: مرسل صحيح.

واحذري أن تجلسي مجلسًا لا تذكرين فيه الله، أو تُصلين فيه على رسول الله ﷺ .. قال ﷺ : «**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله، ولم يصلوا على نبيهم ﷺ إلا كان مجلسهم عليهم تِرة يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء آخذهم**»(١).

ومعنى ترة: أي حسرة وندامة..

أختاه ... وإن أردت أن يستجيب الله دعاءك، فأكثري من الصلاة على رسول الله.. لحديث فضالة بن عُبيد قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله، ولم يصل على النبي ﷺ فقال ﷺ : «**عجل هذا**» ثم دعاه، فقال: «**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو بَعْدُ بما شاء**»(٢).

وإن أردت أن تُعرض صلاتك على رسول الله ﷺ فأكثري من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ليلة الجمعة ويومها، فهو يوم عظيم.. قال النبي الكريم: «**إنَّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة عليَّ**» قالوا: يا رسول الله، كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أَرِمْتَ؟ - أي بليت - قال: «**إنَّ الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(٣).

كيف تُصلين على رسول الله ﷺ ؟

أختي المسلمة ...

إنّ الصلاة على رسولنا محمد ﷺ جائزة بأي صيغة من الصيغ، لكن بالوارد أولى، فقد سُئل ﷺ كما في حديث أبي مسعود الأنصاري: أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟

قال: فسكت حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل**

---

(١) رواه الترمذي، وحسنه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني وصححه ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه (١٠٨٥)، وأبو داود في سننه وصححه الألباني ورواه الحاكم وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي على شرط البخاري.

محمد،كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم»[١].

٢- ومن السلوكيات التي ينبغي للمسلمة أن تسلكها: ألا تخاطبينه كمخاطبة الناس بعضهم لبعض:

قال الله تعالى: ﴿ **لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً** ﴾ [النور: ٦٣].

قال الضحاك: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله - عز وجل - عن ذلك إعظامًا لنبيه ﷺ ، قال: قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله،وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير.

وقال قتادة: أمر الله أن يهاب نبيه، وأن يُبجل، وأن يعظم، وأن يسود[٢]. فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ .

▪ وقف أعرابي على قبر رسول الله ﷺ ، فقال: يا سيدي، يا رسول الله، قلت، فقبلنا، وأمرت، فحفظنا، وبلغت من أمر ربك فسمعنا ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ..** ﴾ [النساء: ٦٤].

وقد ظلمنا أنفسنا، وجئناك، فاستغفر لنا، فما بقيت عين إلا سالت دموعها..

٣- احتكمي إلى شرعه وسنته في كل الأمور:

قال تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [النساء: ٦٥].

وتأسى به في أقوالك وأفعالك، قال سبحانه: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ..** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) رواه مسلم، والترمذي والنسائي، وأبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) تفسير ابن كثير.

٤- إن اختلفت في أمر من الأمور، فارجعي إليه:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

٥- تحلى بأخلاقه ﷺ :

فإذا كنت محبة للرسول ﷺ فتخلقي بأخلاقه ومنها:

١- ترك الفاحش من الأقوال والأفعال.

٢- اخفضي من صوتك، واغضضي منه إذا نطقت، وخاصة في المجتمعات العامة، كالأسواق والمساجد، وغير ذلك مما هو بحضرة الرجال الأجانب.

٣- ادفعي السيئة بالحسنة، بألاّ تؤاخذي المسيء، وتصفحي عن المذنب..

٤- لا تقصري في واجبك، ولا تبخسي حق غيرك.

٥- لا تتأخري عن قضاء حاجة الضعفاء.

٦- لا تقولي إلا الصدق.

٧- ارحمي الإنسان والحيوان.

٨- لا تؤخري الصلاة.

٩- نامي مبكرة، واستيقظي مبكرة للعبادة والاجتهاد في أعمال منزلك.

١٠- احذري البخل، لأن البخل داء عضال.

١١- لا تكثري من الكلام فهو مُسطر عليك في صحيفتك.

١٢- أحبي للناس ما تحبين لنفسك.

١٣- اصبري على إيذاء الآخرين، وسامحي كي يسامحك الله - عز وجل -.

١٤- اقبلي النصيحة من كل إنسان، واحذري ردها.

١٥- تمسكي بسنة الرسول ﷺ حتى تدخلي في قوله ﷺ : «**إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن بما أنتم عليه أجر خمسين منكم**» قالوا: يا رسول الله أو منهم؟ قال: «**بل منكم**»[1].

---

(١) أخرجه ابن نصر في السنة وصححه الألباني بشواهده.

إلهنا.. قَرَّط أسماعنا بحلى كلامك، ولذّذ قلوبنا بحلاوة رضائك، وعطر أفواهنا بطيب ثنائك، واجعل جوارحنا وقلوبنا مستعدة للقائك...

يا سميع.. يا قريب..

إلهنا.. نسألك أن تزين صفحات أيامنا بأنوار العبادة، وأن تختمها بفضلك على النُجْح والسعادة.. يا حنان .. يا منان .. اللهم نبهنا من نومة الغافلين، وأزل عن أبصارنا وأفكارنا غشاوة الغفلة .. يا سميع الدعاء .. يا واسع العطاء .. يا خالق الأرض والسماء .. إنك على ما تشاء قدير..

❁❁❁

سلوكيات المرأة المسلمة

نحو

كتاب الله عز وجل

القرآن الكريم

القرآن الكريم

أختي المسلمة ...

القرآن الكريم هو النور، الذي أنزله الله إلى النور، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور..

قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فالمراد به القرآن.

وقال سبحانه: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥]. فالمراد به هنا الرسول محمد ﷺ ، وقال سبحانه عن نفسه: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥]. وقال عن مهمة القرآن النورانية : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ... ﴾ [إبراهيم: ٢].

فعجبًا لأمر الأمة التي ربها نور، ونبيها نور، وكتابها نور، كيف ترضى لنفسها أن تعيش في الظلمات؟!

إنه الشفاء من الأسقام، والعلل.. قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤]. إنه الدواء والشفاء.. قال سبحانه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

إنه الكتاب الذي أخرج الناس من ظلمات الجهل والغي والفساد إلى نور العلم والاستقامة والصلاح.

إنه الكتاب الذي سطع نور هديه في الأكوان، وظهرت آثار عدله في كل مكان، قال تعالى: ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٨٢]. نزل به الروح الأمين على سيدنا محمد ﷺ فمحا الران عن القلوب، وفُتحت به نوافذ الفطن، وأزال الغشى عن الأبصار وعظمت لعظمته وجوه الفصحاء.. وتطاحنت لسحر بيانه عزة البلغاء، فأذعنوا له صاغرين، وخروا لآيات بلاغته ساجدين، وأيقنوا أنه تنزيل رب العالمين.

أختي المسلمة ...

إذا كان القرآن الكريم بهذه الصفات المباركة، بل إن اللسان يعجز، والقلم يقف

حائرًا.. ماذا يستطيع أن يكتب .. وماذا يستطيع اللسان أن يقول في وصفه؟ إنّ قصارى ما يبلغه اللسان أو القلم أن يشير في هيبة إلى مقام القرآن.. لأنه كلام الرحمن.. فما هو السلوك الذي ينبغي للأخت المسلمة أن تسلكه نحو هذا الكتاب.. الذي فصلت آياته وأبهر الفصحاء كلماته؟

أولاً: قراءته والعمل به

الأخت المسلمة ...

اعلمي أن الناس مع القرآن الكريم أربعة أنواع من حيث القراءة والعمل وقد جاء هذا التقسيم رائعًا في قول النبي المصطفى، والرسول المجتبي، ﷺ حين قال: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثل الأترجة ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، كمثل التمرة لا ريح لها، وطعمها طيب، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن، كمثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر، ولا ريح لها**»[1].

فالعباد متفاوتون في ذلك، فمن الناس من يتأثر بالقرآن ظاهرًا وباطنًا ويتفاعل معه، وهؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات وقد ملأ القرآن قلوبهم ومنهم من لا نصيب له ألبتة وهم المنافقون والمنافقات.. ومنهم من يتأثر ظاهره دون باطنه، وهم أهل الرياء، والعكس..

وقد ضرب النبي ﷺ المثل بما تنبته الأرض، ويخرجه الشجر، فخص ما يخرج من الشجر كالأترج والتمرة بالمؤمن، وبما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق، تنبيهًا على علو شأن المؤمن، وارتفاع علمه، ودوام ذلك، وتوقيفًا على ضعة شأن المنافق، وإحباط عمله.

أختي المسلمة .. إذا كان ذلك كذلك ..

(١) رواه البخاري، ومسلم وابن ماجه، والنسائي، وأبو داود واللفظ له.

فما ثواب قراءة القرآن ؟

أختاه ...

١- إنَّ قراءة القرآن تشفع لصاحبها يوم القيامة، كما في حديث النبي ﷺ : «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه. قال: فيشفعان للعبد**»(١).

٢- إنك إذا قرأتِ القرآن، ارتفعت درجتكِ في جنة الرحمن يوم القيامة ففي الحديث: «**يُقال لصاحبِ القرآن: اقرأ وارق، ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**»(٢).

قال الخطابي: جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، فيقال للقارئ: ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن، استولى على أقصى درج الجنان في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه، كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة»(٣).

٣- إذا أردت أن يلبسكِ الله حلة الكرامة يوم القيامة، فاقرئي القرآن فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يجئ القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب، حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب، زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق، وتُزاد بكل آية حسنة**»(٤).

أرأيت أختي المسلمة .. لقد وضح الحديث أن هنا فائدتين، بل ثلاث: الأولى: حلة الكرامة، والثانية: الرضا من الله تعالى.. وتلك درجة كبرى، ومنزلة عظمى.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦٦٢٦)، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨٨٢).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، وأبو داود، والترمذي وصححه والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري (٢/٣٥٠) ومعالم السنن للخطابي.

(٤) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ورواه الترمذي (٢٩١٥) وقال: حسن صحيح والدارمي رقم (٣٣١١).

رضـــاك خير من الدنيا وما فيها يا مالك النفس قاصيها ودانيها
فلـــيس للـــروح آمال تحققها سوى رضاك فذا أقصى أمانيها
فـــنظرة منك يا سؤلي ويا أملي خـــير إليّ مـــن الدنيا وما فيها

والثالثة: زيادة كل آية حسنة.. فيا له من فضل عظيم، ومنة كبرى ..

٤- إن أردت أن تكوني من خير الناس وأفضلهم، وأكثرهم ثوابًا وبركة فعليك بقراءة القرآن، والعمل به.. قال ﷺ : «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[١]. وفي رواية: «**أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**»[٢].

٥- إن أردت أن تُملأ صحيفتك بالحسنات، وتمحي منها السيئات، فأكثري من قراءة القرآن. قالَ النبي الأمين ﷺ : «**من قرأ حرفًا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الم﴾ حرف ولكنْ ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[٣].

٦- إن أردت أن تكوني من الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر، فاقرئى القرآن: فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر، ولا ينالهم الحساب** - أي لا يصيبهم العقاب- **هم على كثيب من مسك حتى يُفرغ من حساب الخلائق: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله، وأمَّ به قومًا، وهم به راضون، وداع** - أي مؤذن- **يدعو إلى الصلوات ابتغاء وجه الله، وعبد أحسن فيما بينه وبين ربه، وفيما بينه وبين مواليه**»[٤].

٧- وإن أردت أن يُكتب لك قنوت ليلة كاملة، فعليك بقراءة مائة آية ففي المسند من حديث تميم الداري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ بمائة آية في ليلة، كتب له قنوت. أي قيام ليلة**»[٥].

---

(١) رواه الترمذي والبخاري ومسلم.
(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح (٢٩٠٨).
(٣) رواه الترمذي (٢٩١٠) وقال: حسن صحيح غريب.
(٤) رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد لا بأس به قاله المنذري في الترغيب (٢/٣٥١).
(٥) رواه أحمد في مسنده (١٦٨٩٥) بإسناد صححه حمزة الزين (١٣/٢١١)، ورواه الدارمي (٣٤٥٠) والنسائي في الكبرى (١٠٥٥٣).

٨- إن أردت أنْ تكوني من أهل الله وخاصته، فاقرئي القرآن، واعملي به.. قال ﷺ : «**أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته**»(١).

٩- إن أردت أن يُلبس الله والديك تاجًا من النور، فعليك بقراءة القرآن فعن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ القرآن وتعلم وعمل به، ألبس والداه يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن**»(٢).

١٠- إن أردت أن يحفظك الله من كيد السحرة الأشرار، فعليك بسورة البقرة قال ﷺ : «**اقرءوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو غيايتان - أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقروءا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة**»(٣). قال معاوية بن سلام: بلغني أن البطلة: السحرة.

١١- إن أردت أنْ يفر الشيطان من بيتك، فاقرئي سورة البقرة، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الشيطان يفرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة**»(٤).

ثانيًا: اتبعي منهجه ودستوره

أختي المسلمة ...

ينبغي على كل مسلم ومسلمة اتباع منهج القرآن الكريم، ومن يتبع هذا المنهج القويم يسعد في دنياه، وفي أخراه، لكن من يخالفه يكون من الأشقياء.. من جعله أمامه، قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره، ساقه إلى النار، والعياذ بالله.. قال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا**

(١) رواه النسائي وابن ماجه، والحاكم وإسناده صحيح.
(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. قاله المنذري في الترغيب (٢/٣٥٥).
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم، والنسائي، والترمذي.

فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

أختاه ...

اعلمي وفقنا الله وإياك أنه ما دام القرآن بيننا فهو القوة الوحيدة التي نحارب بها أعداءنا.. وهم مقتنعون بذلك...

يقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقًا:

[ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق الأوسط](١)؟

وقال الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مائة سنة على استعمار الجزائر: إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرءون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم».

ويقول المبشر وليم جيفورد بالكراف: [متى توارى القرآن، ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدًا عن محمد وكتابه].

ويقول المبشر تاكلي: يجب أن نستخدم القرآن، وهو أقصى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تمامًا، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد فيه ليس صحيحًا.

أختي المسلمة ...

وهذه المعاني قد أثارت حادثة طريفة جرت في فرنسا، وهى أن فرنسا من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر، قامت بتجربة عملية، قامت فانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية وألبستهن الثياب الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تمامًا.

وبعد أحد عشر عامًا من الجهود، هيأت لهن حفلة تخرج رائعة، دُعى إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون.. ولما ابتدأت الحفلة، فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلبساهن الإسلامي الجزائري.

---

(١) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام.. أبيدوا أهله (ص٢٩، ٤٥)تأليف عبد الودود يوسف ط/ دار أم القرى للطباعة نقلا من: جذور البلاء (ص٢٠١).

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية، وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عامًا؟!!

أجاب **لاكوست – وزير المستعمرات الفرنسي**: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا[١]؟!!

أختاه ...

قرآنك .. قرآنك .. استمسكي به .. علميه أبناءك .. علميه فتياتك .. علميه زوجك إن لم يكن متبعًا له .. اسلكي نهجه .. تدبري آياته ...

ثالثًا: تعاهدي القرآن واستذكريه

أختي المسلمة ...

اعلمي أن التي ليس في قلبها شيء من القرآن، فهي كالبيت الخرب فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»[٢].

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما مثل صاحب القرآن، كمثل الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**»[٣].

فإذا حفظت أجزاءً من القرآن الكريم، فاحرصي على ترتيلها، وقراءتها، وتعهدها بالحفظ.. قال ﷺ : «**تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده، لهو أشد تفلتًا من الإبل في عُقُلها**»[٤].

أختي المسلمة ...

ولقراءة القرآن الكريم آداب وسلوكيات أخرى نحو هذه القراءة... فما هي تلك الآداب؟

---

(١) من المرجع السابق (ص٤٦، ٤٧) نقلاً عن جريدة الأيام عدد (٧٧٨٠) الصادر بتاريخ ١٩٦٢م.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

(٤) رواه مسلم.

لقد أجملها الإمام القرطبي فقال:

«لا يمسه القارئ إلا طاهر، وأن يستاك ويتخلل، فيطيب فاه، وأن يلبس كما يلبس للدخول على الأمير، لأنه مناج، وأن يستقبل القبلة، وأن يتمضمض كلما تنخع – أي خرجت منه نخامة أو نخاعة – وإذا تثاءب يمسك عن القراءة، لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه، والتثاؤب من الشيطان، وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويقرأ: باسم الله الرحمن الرحيم، وإذا أخذ في القراءة لم يقطعها من غير ضرورة، وأن يخلو بقراءته، وأن يقرأ على تؤدة وترسل، وترتيل، وأن يستعمل ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به، و أن يقف على آية الوعد، فيرغب إلى الله تعالى، ويسأله من فضله، وأن يقف على آية الوعيد، فيستجير بالله منه، وأن يتأمل في أمثاله فيمتثلها، وأن يلتمس غرائبه، وأن يؤدي لكل حرف حقه.. إذا انتهت قراءته يصدق ربه – أي يقول: صدق الله العظيم، ويشهد بالبلاغ لرسوله.. وإذا وضع الصحيفة لا يتركه منشورًا – أي مفتوحًا – ولا يضع فوقه شيئًا من الكتب حتى يكون عاليًا، وأن يضعه على شيء عالٍ بين يديه، ولا يضعه على الأرض، وألا يمحوه من اللوح بالبصاق، بل يغسل بالماء.. وأن لا يخلي يومًا من أيامه عن النظر في المصحف مرة، وأن يُعطي عينيه حظها منه، وألا يتأول عندما يعرض له شيء من أمور الدنيا، كأن يقول إذا جاء أحد: ﴿ **جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى** ﴾ [طه: ٤٠]. أو يقول لمن معه: ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ** ﴾ [الحاقة: ٢٤]. وألا يتلوه منكوسًا كمعلمي الصبيان، وألا يتقعر في قراءته، وألا يقرأه بألحان الغناء، كلحون أهل الفسق، ولا بترجيع النصارى، ولا نوح الرهبانية، وألا يجهر بعض الناس على بعض، وألا يُقرأ في الأسواق، ولا في مواطن اللغو، ومجمع السفهاء، وألا يتوسد المصحف، وألا يعتمد عليه، ولا يرمى به لصاحبه، إذا أراد أن يناوله، وألا يصغر المصحف، وألا يخلط فيه ما ليس منه، وألا يكتبه على الأرض، ولا على حائط..»[(١)].

أختي المسلمة ...

تلك هي الآداب التي ينبغي لك سلوكها عند قراءة القرآن وها هي بعض الأمور مفصلة في صور السؤال والجواب:

---

(١) تفسير القرطبي في المقدمة.

١- هل يجوز لصاحبة الحدث الأصغر أن تقرأ القرآن؟

نعم يجوز قراءة القرآن لمن بها حدث أصغر بإجماع المسلمين، لكن الأولى والمستحب الطهارة.. والمستحاضة في الزمن المحكوم بأنه طهر.. حكمها حكم المحدث.

٢- هل يجوز للجنب أو الحائض أن تقرأ القرآن على سبيل التسبيح؟

لا يجوز للحائض ولا للجنب قراءة القرآن.. بل يحرم عليهما القراءة سواء كان آية أو أقل، ويجوز لهما إجراء القرآن على قلبهما من غير تلفظ، ويجوز لهما النظر في المصحف، كما ذكره النووي - رحمه الله - .

وأجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتكبير، والصلاة على رسول الله ﷺ ، وغير ذلك من الأذكار للجنب والحائض..

قال النووي: قال أصحابنا: وكذا إنْ قال لإنسان: (خذ الكتاب بقوة) وقصد به غير القرآن فهو جائز... وكذا ما أشبهه ... ويجوز لهما أن يقولا عند المصيبة: ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ [البقرة: ١٥٦]. إذا لم يقصد القرآن.. ويجوز أن يقول عند الركوب: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ** ﴾ [الزخرف: ١٣]. وعند الدعاء: ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ٢٠١]. إذا لم يقصد القرآن..

٣- هل يجوز قراءة القرآن في الفراش أو مضطجعًا؟

خير المجالس ما استقبل به القبلة، ويستحب لمن أرادت أن تقرأ القرآن أن تكون جالسة متخشعة بسكينة ووقار .. فهذا هو الأكمل والأولى، لكن لو قرأت قائمة أو مضطجعة، أو في الفراش.. أو غير ذلك من الأحوال جاز، ولها أجر، ولكن دون الأول، وقد ثبت في الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «**كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض، يقرأ القرآن**»[(١)].

- وينبغي تدبر القرآن والخشوع عند قراءته، أو سماعه:

قال تعالى: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** ﴾ [النساء: ٨٢]. وقال سبحانه: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [ص: ٢٩].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

وقال إبراهيم الخواص – رحمه الله –: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر ... وخلاء البطن .. وقيام الليل.. والتضرع عند السحر.. ومجالسة الصالحين.

– ويستحب ترديد الآية للتدبر:

فعن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قام النبي ﷺ بآية يرددها حتى أصبح، والآية هي قوله تعالى: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ** ﴾[1] [المائدة: ١١٨].

وكان تميم الداري ﷺ يقوم الليل، فإذا به يقرأ: ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...** ﴾ [الجاثية: ٢١]. وما زال يكررها حتى أصبح.

وعن عبادة بن حمزة قال: دخلت على أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها – وهي تقرأ: ﴿ **فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ** ﴾ [الطور: ٢٧]. فوقفت عندها، فجعلت تعيدها وتدعو.. فطال عليَّ ذلك.. فذهبت إلى السوق، فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي تكررها وتدعو.

٦– البكاء عند قراءة القرآن:

قال تعالى: ﴿ **وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً** ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

٧– إذا مررتِ بآية عذاب أو رحمة فماذا تقولين؟

يستحب إذا مررت بآية عذاب أن تستعيذي بالله من الشر ومن العذاب، أو تقولي: اللهم إني أسألك العافية .. أو أسألك المعافاة من كل مكروه .. أو نحو ذلك وإذا مررت بآية تنزيهٍ لله تعالى نَزهيه، فتقولين: سبحانه وتعالى أو تبارك وتعالى.. أو جلت عظمة ربنا..

فعن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنهما – قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلى بها في ركعة، فمضى، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، فقلت: يركع، فصلَّى بها، ثم افتتح النساء فقرأها يقرأ ترتيلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل.. وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ[2].

---

(١) رواه النسائي، وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم، وأحمد وغيرهما.

٨- تحسين الصوت بالقرآن:

وقد مدح النبي ﷺ أبا موسى الأشعري ﷺ لحسن قراءته وتحسين صوته فقال: «**لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن أن يجهر به**»(٢).

٩- يستحب السجود عند قراءة آية سجدة أو سماعها:

والسجدات في آيات القرآن الكريم خمس عشرة سجدة، والسجود ترغيم للشيطان لأن ابن آدم إذا سجد، اعتزل الشيطان يبكى، ويقول: يا ويلى.. يا ويلى أُمِرت بالسجود فلم أسجد فلى النار، وأمر ابن آدم بالسجود فله الجنة ..

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، وذهاب همومنا وأحزاننا، اللهم ذكرنا منه ما نُسينا، واجعله شافعًا لنا يوم لقائك.

اللهم داوِ به أمراضنا.. وفرج به كروبنا.. واجعلنا نتلوه على الوجه الذي يرضيك عنا.. يا رب العالمين.

❁❁❁

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه الترمذي، وحسنه.

سلوك المرأة المسلمة
مع نفسها

سلوك المرأة المسلمة مع نفسها

أختي المسلمة ...

اعلمي وفقنا الله وإياك، وجميع المسلمين والمسلمات أنه يجب عليك أن تعلمي أنك مربوبة، ولا نجاة لك إلا بتقوى الله - عز وجل -، ولا هلاك عليك بعدها ثم تفكري: لأي شيء خلقك الله - عز وجل - ولَم خرجت إلى هذه الدار الفانية، فتعلمي أنك لم تُخلقي عبثًا قال تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. وقال: ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴾ [القيامة: ٣٦].

وإنما خرجت إلى هذه الدار لأجل البلوى والاختبار، هل تطيعين ربك، فتنتقلين إلى دار النعيم الأبدي السرمدي؟ أم تعصين ربك فتنتقلين إلى العذاب الأبدي... إلى جهنم والعياذ بالله..؟

إذا فهمت ذلك، علمت أنه لا نجاة لك إلا بطاعة ربك، وأن الدليل على طاعتك لله: العلم ثم العمل بأمره ونهيه، ولن تجدي ذلك إلا في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ، لأنّ الطاعة سبيل النجاة والعلم هو الدليل على السبيل.. قال تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ...** ﴾ [محمد: ١٩].

ثم تأملي ما أمامك من الشدائد، والكربات، والعقبات والأهوال التي أوضحها الله تعالى في كتابه، وبينها رسوله ﷺ ، قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٨١]. وقال سبحانه: ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا** ﴾ [الكهف: ٤٩]. وقال - عز وجل -: ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً** ﴾ [آل عمران: ٣٠].

فإذا علمت أنك ستناقشين في الحساب عن مثاقيل الذر في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، أحوج ما تكونين إلى الحسنات، وغفران السيئات، تحققت أنه لا

ينجيك من هذه الأخطار إلا اعتمادك على الله ومعونته على محاسبة نفسك، ومراقبتها، ومطالبتها في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسبت نفسها قبل أن تحاسب، خف في القيامة حسابها، وحضر عند السؤال جوابها، وحَسُن في الآخرة منقلبها ومآبها.

حاسبي نفسك قبل أن تحاسبي

قال ابن القيم – رحمه الله –:

هلاك القلب من إهمال محاسبتها، ومن موافقتها، واتباع هواها، وفي الحديث.. قال ﷺ : «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني**»[1] ودان نفسه أي حاسبها.. ولله درك يا عمر بن الخطاب.. يا فاروق الإسلام عندما تنصح وتوجه وتقول: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتزينوا للعرض الأكبر**»[2].

﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [الحاقة: ١٨].

وذُكِر عن الحسن البصري – رحمه الله – أنه قال: لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قُدمًا لا يحاسب نفسه» وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾ [الكهف: ٢٨]. أضاع نفسه، وغَبُن، ومع ذلك تراه حافظًا لماله، مضيعًا لدينه.

وقال الحسن أيضًا:

إنَّ العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته وقال ميمون بن مهران: لا يكون العبد تقيًا، حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك..

ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوّان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك.

وقال ميمون: إنَّ التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان قاض، ومن شريك

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (ص٣٨) رقم (١٧٠)، وأحمد في مسنده (١٧٠٥٩)، وحسنه حمزة الزين (٢٧٢/١٣)، ورواه الحاكم وصححه (٢٥١/٤)، ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في الصحيحية بمجموع طرقه.

(٢) رواه أحمد في الزهد بإسناد صحيح.

شحيح. وذكر الإمام أحمد في الزهد عن وهب بن منبه قال:

مكتوب في حكمة داود - عليه السلام -: «**حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدونه عن نفسه، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة عونًا على تلك الساعات، وإجمامًا للقلوب**»(١).

ما هي فوائد محاسبة النفس؟

أختي المسلمة ...

ولمحاسبة نفسك لنفسك فوائد عظيمة منها:

١- تخفيف الحساب يوم القيامة:

فاعلمي أنك إذا حاسبت نفسك في الدنيا، خف في القيامة حسابك، وحضر عند السؤال جوابك.. لأن الوقوف بين يدي الله - عز وجل - طويل.. والحساب عسير.. والخطب جليل.. ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِه مَسْرُوراً** ﴾ [الانشقاق: ٧-٩]. ومع ذلك قال سيد الخلق ﷺ لعائشة: - رضي الله عنها - : «**يا عائشة، ليس ذلك هو الحساب، وإنما ذلك هو العرض، فمن نوقش الحساب عُذب**»(٢).

قال الحسن البصري: المؤمن قوام على نفسه لله، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة.

٢- الاطلاع على عيوبها:

أختي المسلمة ...

إنك إذا لم تحاسبي نفسك، لا تكادين تعرفين عيوبها، وإذا لم تعرفي عيوب النفس، فكيف تعالجينها؟ وكيف تقفين على أحوالها؟ وكيف تعرفين دواءها؟ لأنك

---

(١) رواه أحمد في الزهد بإسناد صحيح.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٤٠٨٢) بإسناد صحيح، والبخاري (١٠٣) فتح، ومسلم (٢٨٧٦) نووي، والترمذي (٣٣٢٧) وقال: حسن صحيح.

إذا وقفت على أحوال نفسك، وعرفت داءها ودواءها إذا حصل ذلك، مقتِ نفسك في جنب الله..

ولهذا كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يمقتون أنفسهم في جنب الله..

يقول أبو الدرداء ﷺ: «لا يفقه الرجل كل الفقه، حتى يمقت الناس في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه، فيكون لها أشد مقتًا منك للناس».

• لكن ما هى عيوب النفس؟

عيوب النفس كثيرة تكاد أن لا تحصر، قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - :

سبحان الله! في النفس كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتو عاد، وطغيان ثمود، وجرأة النمرود، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقحة هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبي جهل.

وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد وفسق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع، غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك(١)..

وقد ذكر الإمام أبو عبد الرحمن السُّلمى عيوبًا للنفس منها:

١- الغفلة والتواني، والإصرار والتسويف، وتقريب الأمل، وتبعيد الأجل.

٢- اشتغالها بعيوب الناس عما بها من العيوب.

٣- الاشتغال بتزيين الظواهر، والتخشع من غير خشوع.

٤- فقدان لذة الطاعة، وذلك من سقم القلب.

٥- الكسل، وهو ميراث الشبع، فإن النفس إذا شبعت قويت، فإذا قويت، أخذت بخطمها، وغلبت القلب بوصلها إلى حظها.

٦- الرضا عند المدح، والغضب عند الذم.

٧- كثرة الكلام، والخوض فيما لا يعنيها.

٨- كثرة التمني والطمع.

---

(١) الفوائد لابن القيم الجوزية (ص٨٦) ط/ دار الحياة - بيروت.

٩- حرصها على عمارة الدنيا.

١٠- كثرة الذنوب والمخالفات إلى أن يقس القلب.

١١- الأمن من مكر الشيطان.

١٢- اتباعها الهوى.

١٣- تضييع الأوقات[١].

١٤- الغضب.

١٥- الكذب... وغير ذلك من العيوب التي يجب عليك الوقوف عليها.

٣- ومن فوائد محاسبة النفس: تضعف الأعمال السيئة وتوقفها:

وإذا ضعفت أعمالك السيئة، زادت أعمالك الصالحة.. قال الحسن البصري - رحمه الله-: «حادثوا هذه القلوب، فإنها سريعة الذنوب، واقرعوا هذه الأنفس فإنها طلعة وإنها تنازع إلى شر غاية، وإنكم إن تعاونوها، لا تُبقى لكم من أعمالكم شيئًا، فتصبروا وتشددوا، فإنما هى أيام قلائل، وإنما أنتم ركب وقوف، يوشك أن يُدعى الرجل منكم فيجيب، ولا يلتفت، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم».

٤- ومنها: تخلص النفس من العجب والرياء والغرور:

أختي المسلمة ...

إنَّ النفس إذا تخلصت من هذه الأمراض، فقد نجت من خطر الهلاك، لأنها من أخطر المهالك، قال ﷺ : «**ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات: فأما المهلكات: فهوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهى أشدهن.. وأما المنجيات: فتقوى الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى**»[٢].

٥- أنّ المحاسبة تفتح للإنسان باب الذل والانكسار والخضوع لله:

أختاه ...

إنك إذا وقفت مع نفسك فحاسبتيها، فحصل لها ذلاً وانكسارًا، وخضوعًا لله رب العالمين، حصل لك خوف منه سبحانه جل في علاه، وتلك درجة من درجات المؤمنين الصادقين..

---

(١) من كتاب عيوب النفس لأبي عبد الرحمن السلمي بتحقيق الشيخ مجدي فتحي السيد ط/ دار الصحابة.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/٣٤٣)، والبيهقي في الشعب والبزار وحسنه الألباني في الصحيحة بمجموع طرقه برقم (١٨٠٢).

قال ابن القيم في المدارج: منزلة الخوف، هى من أجل منازل الطريق، وأنفعها للقلب، وهى فرض على كل أحد[(١)].

قال أبو سليمان الداراني – رحمه الله – : ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب.

وقال أبو حفص النيسابوري: الخوف سوط الله، يُقوِّم به الشاردين عن بابه، وهو سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحدٍ إذا خفته هربت منه إلا الله – عز وجل –، فإنك إذا خفته، هربت إليه.

وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف، ضلوا الطريق.

أختي المسلمة ...

وينبغي لك إذا حاسبت نفسك فرأيتيها قد قارفت معصية أن تتوبى إلى الله توبة نصوحًا، وتتبعي السيئة بالحسنة.. قال ﷺ : «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» وإن توانيت عن بعض الفضائل، أو فاتتك نسيانًا، فينبغي أن تستدركي جبر ما نقص بالنوافل..

٦– ومحاسبة النفس تدعو صاحبها أن ينظر في حق الله تعالى:

وحق الله تعالى هو العبادة الخالصة له سبحانه، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة: ٥].

٧– ومحاسبة النفس توجب للإنسان أن يمقت نفسه، ويعلم أن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ورحمته..

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – عند أستاذه –الإمام ابن تيمية–: بعث إليَّ في آخر عمره، قاعدة في التفسير بخطه، وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه:

أنـــا الفقـــير إلى رب البريات ... أنـــا المسكين في مجموع حالاتي
أنـــا الظلوم لنفسي وهى ظالمتي ... والخـــير إن يأتينا من عنده يأتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس لي دفع المضرّات

(١) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية (١/٥٠٧، ٥٠٨)، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت.

ولـــيس لي دونـــه مولى يدبرني ... ولا شـــفيعٌ إذا حاطت خطيئاتي
إلا بـــإذن مـــن الرحمن خالقنا ... إلى الشفيع كما قد جاء في الآيات
ولســـت أملك شيئًا دونه أبدًا ... ولا شـــريك أنا في بعض ذرات
ولا ظهير له، كي يستعين بـــه ... كمـــا يكون لأرباب الولايات
والفقر لي وصف ذات لازمٌ أبدا ... كمـــا الغنى أبدًا وصف له ذاتي
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم ... وكـــلهم عـــنده عـــبد له آتى
فمـــن بغى مطلبًا من غير خالقه ... فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي
والحمـــد لله ملء الكون أجمعه ... ما كان منه وما من بعده قد ياتي[1]

محاسبة نفس

أختي المسلمة:

قال إبراهيم التيمي –رحمه الله– : مثلت نفسي في الجنة، آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار، آكل من ذقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها، وأغلالها، فقلت لنفسي: أي نفسي، أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أردَّ إلى الدنيا، فأعمل صالحًا.

قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي[2].

أختي المسلمة ...

حاسبي نفسك قبل أن تحاسبي .. فإنك قد أُمرت بذلك في خير كتاب أخرج للناس قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الحشر: ١٨]. وقد أقسم الله – عز وجل – بالنفس اللوامة.. وهي التي تلوم صاحبها، فقال جل شأنه: ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾ [القيامة: ١، ٢]. وكانت هذه أحوال الصحابة رضوان

(١) مدارج السالكين (١/٥٢٠، ٥٢١).

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي وحلية الأولياء لأبي نعيم (٤/٢١١) والإحياء.

الله عليهم والتابعين من بعدهم، فعمر بن الخطاب ﷺ يروى عنه أنس بن مالك فيقول: دخلت على عمر بن الخطاب ﷺ يومًا وهو يحاسب نفسه، فكان يقول: «**عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، بخ، والله لتتقين الله يا ابن الخطاب، أو ليعذبنك**»[(١)].

وهذا عبد الرحمن بن هرمز الأعرج – رحمه الله – وكان من التابعين – وكان يعاتب نفسه ويوبخها ويقول لها: إنَّ المنادى ينادي يوم القيامة: يا أهل خطيئة كذا، قوموا، فتقوم يا أعرج معهم .. ثم ينادي: يا أهل خطيئة كذا، قوموا، فتقوم يا أعرج معهم.. ثم ينادي... فأراك يا أعرج تقوم مع كل طائفة.. وقال محمد بن المنكدر – رحمه الله – :

إني خلفت «زياد بن أبي زياد» مولى ابن عياش، وهو يخاصم نفسه في المسجد، ويقول: اجلسي، أين تريدين؟ أين تذهبين؟ أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟!.. انظري إلى ما فيه.. تريدين أن تبصري دار فلان، ودار فلان؟ قال: وكان يقول لنفسه:

ومالك من الطعام يا نفسي إلا هذا الخبز والزيت، ومالك من الثياب إلا هذان الثوبان.. ومالك من النساء إلا هذه العجوز، أفتحبين أن تموتي؟ فقال بلسان الحال: أنا أصبر على هذا العيش.

• اللهم إنا نسألك نفسًا بك مطمئنة .. تؤمن بلقائك.. وترضى بقضائك .. وتقنع بعطائك ..

• اللهم إنا نعوذ بك من نفس لا تشبع، ومن عين لا تدمع، ومن علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع.

• اللهم إنا نسألك خوف العالمين بك.. وعلم الخائفين لك.. وتوكل الموقنين بك ويقين المتوكلين عليك.. وإنابة المخبتين إليك.. وصبر الشاكرين لك.. وشكر الصابرين لك.. واغفر لنا يا رب العالمين.

❋❋❋

---

(١) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٣١).

سلوكيات المرأة المسلمة

مع

والديها

مكانة الوالدين

أختي المسلمة ...

أبواك هما سبب وجودك في هذه الدنيا، من أجل ذلك أمرنا ربنا تبارك وتعالى بالإحسان إليهما وجعله مقرونًا بعبادته في مواضع متعددة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ [الأنعام: ١٥١]. ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ولذلك قيل: ثلاث آيات مقرونة بثلاث، لا يقبل الله واحدة منهن بغير قرينتها:

أولاها: قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

فمن صلى و لم يؤت الزكاة، لم تقبل منه الصلاة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]. فمن أطاع الله و لم يطع الرسول لم يقبل منه.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤]. فمن شكر الله و لم يشكر لوالديه، لم يقبل منه[١].

فإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على مدى اهتمام الشارع الحكيم بهما، لأنهما أصحاب الفضل الأكبر بعده سبحانه وتعالى، لأنهما سبب وجوده في هذه الدنيا، ولأنهما تحملا من الكد والتعب، والعناء، والنصب، ما لا يمكن أن يتحمله أحد.

أختاه ...

والأمر بالإحسان إلى الوالدين ليس فقط من خصوصيات الأمة المحمدية، لكنه أمر إلهيٌّ رباني منذ القدم، وفرضه على جميع الأمم المتقدمة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ [البقرة: ٨٣]. وقد أثنى سبحانه على بعض أنبيائه، لبرهم بآبائهم وأمهاتهم قال سبحانه عن يحيى – عليه السلام –:

(١) تنبيه الغافلين (ص٩٠)، والزواجر لابن حجر الهيثمي (٢/٥٥) والكبائر للذهبي (ص٤٠).

﴿ وَبَراً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِياً ﴾ [مريم: ١٤]. لأنه قد برهما في وقت كبرهما وضعفهما، وقال عن عيسى - عليه السلام -: ﴿ وَبَراً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِياً ﴾ [مريم: ٣٢].

والبر بالوالدين: هو الإحسان إليهما، والقيام بحقوقهما، والالتزام بطاعتهما وفعل كل ما يرضيهما، والتودد إليهما، والرفق بهما، وأن ترحمي ضعفهما، وتقومي باحترامهما وتوقيرهما، فلا ترفعي عليهما صوتًا، ولا تقللي من شأنهما ولا تحدقي ببصرك نحوهما غيظًا وسخرية، ولا تثقلي كاهلهما بما تحتاجين من مصروفات، وحاولي تيسير أمورهما، وقضاء حوائجهما...

وهذا البر بهما واجب لهما حتى ولو كانا كافرين، لكن في طاعة الله - عز وجل -، أما المعصية فلا، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق...

ألم تقرئي قول الله تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾ [لقمان: ١٥].

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله -:

والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال، إن كانا فقيرين، وإلانة القول لهما، والدعاء إلى الإسلام برفق..

ألم تأت قتيلة بنت عبد العزى - أم أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - يومًا إليها، فذهبت أسماء إلى رسول الله ﷺ تسأله: يا رسول الله، إنَّ أمي قدمت إليَّ وهي راغبة، أفأصل أمي؟

فقال ﷺ: «**نعم صلي أمك**»(١).

ثواب وفضل بر الوالدين

أختي المسلمة ...

إنَّ بر الوالدين له فضل كبير، وثواب عظيم، فهيا بنا لنتعرف عليه:

١- بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى:

. فإن أردت أن تتقربي إلى الله - عز وجل - بأحب الأعمال إليه، وأكثرها ثوابًا

---

(١) رواه البخاري، وأحمد.

فعليك ببر الوالدين، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟

قال: «**الصلاة لوقتها**» قلت: ثم أي؟

قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟

قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(١).

فقد قدم أستاذ البشرية ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله، في الثواب مع أن الجهاد فيه مشقة عظيمة..

٢- أنَّ البر سبب من أسباب الفوز بالجنة:

فعن عمر بن مرة الجهني أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت رمضان، فقال النبي ﷺ : «**من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا، ونصب أصبعيه، ما لم يعق والديه**»(٢).

٣- أنّ بر الوالدين من أسباب زيادة الرزق، وطول العمر:

فعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يزيد في العمر إلا البر**»(٣).

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من سره أن يُمد له في عمره، ويزاد له في رزقه، فليبر والديه، وليصل رحمه**»(٤).

أختي المسلمة ...

اعلمي أنَّ الزيادة في العمر تكون على وجهين:

أحدهما: سعة الحال والزيادة في الرزق، وعافية البدن، وتنعيم البال.. فقد جاء في بعض الآثار: أن الله تعالى أعلم موسى - عليه السلام - أنه سيميت عدوه، ثم رآه بعد ذلك، يسقى الحوض، فقال: يا رب، وعدتني أن تميته، فقال: قد فعلت ذلك، فإني أفقرته..

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وأبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في البر والصلة.

(٢) رواه أحمد والطبراني وذكره الهيثمي في المجمع (٤٦/١)، وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح...

(٣) رواه أحمد في مسنده وابن ماجه وحسنه البوصيري، ورواه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ورواه ابن حبان وابن الجوزي في البر والصلة.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٣٧٤٥)، بإسناد صححه حمزة الزين (٢٧٩/١١).

والثاني: أنّ الله تعالى يكتب أجل عبده مائة سنة، ويجعل بيته وتركيبه وهيئته لتعمير ثمانين سنة، فإذا وصل رحمه، زاد الله في ذلك التركيب، وفي تلك البنية، ووصل ذلك النقص، فعاش عشرين أخرى حتى يبلغ مائة.

وقيل: معنى الزيادة في العمر نفي الآفات عنهم، والزيادة في أفهامهم وعقولهم وبصائرهم، وليس زيادة في أرزاقهم، ولا في آجالهم، لأن الله تعالى فرغ من ذلك كله، فقال: ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الزخرف: ٣٢]. والأول أرجح(١)..

٤- بر الوالدين سبب لمغفرة الذنوب:

فعن جابر بن سمرة ﷺ قال: صعد النبي ﷺ المنبر، فقال: **آمين .. آمين .. آمين .. ثم قال: أتاني جبريل - عليه السلام - فقال: يا محمد، من أدرك أحد أبويه، فمات، فدخل النار، فأبعده الله، فقل: آمين، فقلت: آمين.**

فقال: يا محمد، من أدرك شهر رمضان، ولم يُغفر له، فأبعده الله، فقل: آمين، فقلت: آمين.. قال: ومن ذُكرت عنده فلم يُصل عليك، فمات، فلم يغفر له، فأدخل النار، فأبعده الله، فقل: آمين.. فقلت: آمين(٢).

أرأيت أختي المسلمة كيف كان بر الوالدين سببًا من أسباب مغفرة الذنوب؟!

٥- بر الوالدين سبب لتفريج الكروب، وإزالة الهموم:

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما ثلاثة نفر يتماشون، أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم الغار صخرة كبيرة، أطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله - عز وجل - صالحة، فادعوا الله بها، لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرعى، فإذا رحت عليهم، فحلبت لهم بدأت بوالداى أسقيهما قبل أولادي، وقد نأى بي الشجر، فما أتيت أمست، فوجدهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ**

---

(١) بر الوالدين للطرطوشي (ص١٨٠، ١٨١).

(٢) رواه الطبراني بإسناد حسن وذكره المنذري في الترغيب والألباني في صحيح الجامع.

بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة، نرى منها السماء، ففرج الله - عز وجل - لهم حتى رأوا منها السماء»[(١)].. الحديث..

٦- أنّ في البر رضا الله - عز وجل -:

ولا شك أختي المسلمة أن أمنيتك رضا الله - عز وجل -...

رضاك يا رب خير من الدنيا وما فيها ... يا مالك النفس قاصيها ودانيها
فليس للروح آمال تحققها سوى ... رضاك فذا أقصى أمانيها
فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي ... أحب إليّ من الدنيا وما فيها

وقد أرشدنا سيد الخلق ﷺ أن رضا رب العزة جل في علاه في رضا الوالدين، فقال: «**رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين**»[(٢)].

أختي المسلمة ...

وللأم خصوصية في البر قد جاءت به آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ [لقمان: ١٤].

وجاءت به كذلك السنة النبوية المطهرة، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟

قال: «**أمك**» قال: ثم من؟

قال: «**أمك**» قال: ثم من؟

قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»[(٣)].

والسر في ذلك مهمات ثلاثة وهي: الحمل، والرضاع، ورعاية الطفولة فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي! منذ أن كنت نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم صرت جنينًا، لم تتركيها لتستريح، بل كنت تتحركين من ناحية إلى ناحية..

---

(١) الحديث بأكمله في صحيح البخاري، ومسلم، و ابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٥٠٧)، والصحيحة برقم (٥١٦).

(٣) رواه الترمذي (١٨٩٧) وقال: حسن، ورواه الحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي والبخاري في الأدب المفرد والبيهقي في الشعب.

وكم قاست من آلام الوحم، حتى نما وزنك، وزاد حجمك، كل ذلك على سبيل راحتها، فلم تدعيها تهنأ بطعام ولا شراب، ولا بنوم، حتى إذا ما حل وقت خروجك، واقتربت ساعة ولادتك، فماذا يكون حالها؟

إنه وقت شديد عسير، لا أنت براغبة في البقاء، ولا أنت براغبة في الخروج إلى دار الفناء، وهنا الشدة التي لا تطاق، لأنه ربما لا تخرجي إلا قيصريًّا، فيمزق الطبيب لحمها، أو يبقر بطنها، ويظل الألم حتى تخرجين إلى هذه الدنيا ...

أختي المسلمة ...

فماذا يساوى كل ذلك عندك؟ وهل تستطيعين أن تؤدي شكر ذلك؟ لقد شهد عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - رجلاً يمانيًّا، يطوف بالبيت الحرام، وهو يحمل أمه على ظهره، ويطوف بها، وهو يقول:

إني لهـــا بعيرهـــا المذلـــل   إن اذعـــرت ركابها لم أذعر

الله ربي ذو الجـــلال الأكـــبر.

ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟

قال: لا، ولا بزفرة واحدة(١).

كيف يكون سلوكك مع والديك؟

أختي المسلمة ...

يرسم لك الفضيل بن عياض وغيره من السلف الطريق لسلوك أفضل مع الوالدين فيقول: «ألا تقوم إلى خدمتهما عن كسل».

وقيل: ألا ترفعي صوتك عليهما، ولا تنظري إليهما شزرًا، ولا يرين منك مخالفة في ظاهر أو باطن، وأن تترحمي عليهما ما عاشا، وتدعين لهما إذا ماتا».

ويقول الإمام ابن الجوزي:

«... وتقديم أمرهما على فعل النافلة، واجتناب ما نهيا عنه، والإنفاق عليهما، والتوخي لشهواتهما، والمبالغة في خدمتهما، واستعمال الأدب والهيبة لهما، فلا يرفع

(١) الأدب المفرد للبخاري وإسناده صحيح.

الولد صوته على صوتهما، ولا يحدق إليهما، ولا يدعوهما باسمهما، ويمشي وراءهما، ويصبر على ما يكرهه مما يصدر عنهما»[١].

١- لا تمشي أمام أحد منهما:

وقد روى البخاري في الأدب المفرد أن أبا هريرة ﷺ أبصر رجلين، فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي، فقال: لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه ولا تجلس قبله[٢].

وفي رواية عن الطبراني، أن أبا هريرة ﷺ قال له:

أخطأت الحق، ولم توافق السنة، لا تمش بين يدي أبيك، ولكن امش عن يمينه أو خلفه، ولا تدع أحدًا يقطع بينك وبينه، ولا تأخذ عرقًا نظر إليه أبوك فلعله قد اشتهاه، ولا تنظر إلى أبيك شزرًا، ولا تقعد حتى يقعد، ولا تنم حتى ينام[٣].

٢- أن لا تسبق يدك أيدهما في الطعام:

وقد كان أحد الصالحين لا يأكل مع أمه طعامًا في طبق واحد، فلما سئل في ذلك قال: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما تريد، فأكون قد عققتها[٤].

وعن الأشجعي قال:

استسقت أم مسعر ماء في بعض الليل، فذهب، فجاء بشربة، فوجدها قد ذهب بها النوم، فبات بالشربة عند رأسها حتى أصبح[٥].

٣- ألا تنظري إليهما شزرًا:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ أبرَّ من كان في هذه الأمة بأمهما: عثمان بن عفان، وحارثة بن النعمان فأما عثمان فإنه قال: ما قدرتُ أن أتأمل أمي منذ أسلمت...

وأما حارثة، فإنه كان يُفلي رأس أمه، ويطعمها بيده، ولم يستفهمها كلامًا قط تأمر به حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج، ماذا قالت أمي[٦]؟

---

(١) البر والصلة لابن الجوزي.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/١١١) وهناد بن السري في الزهد برقم (٩٧٦) وعبد الرزاق في مصنفه (١١/١٣٨)، وابن الجوزي في البر والصلة برقم (٢٧).

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع (٨/١٥١)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وقد رواه ابن الجوزي.

(٤) ذكره ابن الجوزي في البر والصلة رقم (٩٠) والرجل هو عليُّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

(٥) رواه البيهقي في الشعب (٦/٢٠٧)، وابن الجوزي في البر والصلة برقم (٩٥).

(٦) ذكره ابن الجوزي في البر والصلة برقم (٨٥).

٤- القيام لهما احترامًا وإجلالا:

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا، ولا هديًا برسول الله ﷺ من فاطمة بنت رسول الله - رضي الله عنها - كانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[١].

٥- السلام عليهما والدعاء لهما:

وإن كان السلام واجبًا لكل مسلم وحقًا من حقوقه إلا أنه للأبوين أوجب الدعاء لهما في حياتهما وبعد موتهما...

فعن أبي مُرة: أنّ أبا هريرة ﷺ كان إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمه، فقال لها:

«السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته» فتقول: وعليك السلام يا بني ورحمة الله وبركاته..

فيقول: رحمك الله، كما ربيتني صغيرًا..

فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرًا، وإن أراد أن يدخل صنع مثله[٢].

٦- ألا ترفعي صوتك على صوتهما:

فعن حفصة قالت: كان محمد إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تخشعًا لها.

وعن ابن عون قال: دخل رجل على محمد بن سيرين وهو عند أمه فقال: ما شأن محمد، أيشتكي شيئًا.

فقالوا: لا ولكنه هكذا يكون إذا كان عند أمه[٣].

وهذا ابن عون - رحمه الله - تنادي عليه أمه، فيجيبها بصوت عال على صوتها، فيشعر بالذنب نحوها، فيعتق رقبتين.

٧- الاستئذان عند الدخول عليهما:

قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ

---

(١) صحيح الترمذي للألباني (٣٨٧١) وصحيح أبي داود برقم (٥٢١٧).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في البر والصلة (٨٦) وابن المبارك (٣٠)، والبخاري في الأدب المفرد.

(٣) أخرجه ابن المبارك في البر والصلة (١٤)، وابن الجوزي (٩١).

من قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٩]. وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وسأله: أأستأذن على أمي؟

قال: نعم قال: إنها لا تجد من يخدمها غيري؟

قال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال: لا

قال: فاستأذن عليها.

٨- القيام بخدمتهما[1]:

فقد كان ابن الحنفية ﷺ يغسل رأس أمه بالخطمى ويمشطها ويقبلها ويخضبها[2].

وقد كان الزبير بن هشام بارًّا بأبيه، فكان يرقى إلى السطح في الحر فيؤتى بالماء البارد، فإذا ذاقه، فوجد برده لم يشربه، وأرسله إلى أبيه.

وعن أبي أمامة ﷺ أنّ أبا هريرة ﷺ كان يلي حمل أمه إلى المرفق، وينزلها عنه، وكانت مكفوفة كبيرة.

٩- الإنفاق عليهما إن احتاجا:

فعن مورق العجلي قال: قال رسول الله ﷺ : هل تعلمون نفقة أفضل من نفقة في سبيل الله؟

قالوا: الله ورسوله أعلم

قال: نفقة الولد على الوالدين أفضل.

أختي المسلمة ...

هذا كله حال وجودهما في الدنيا، لكن ما هو الطريق الذي تسلكين في بر والديك بعد موتهما؟

إنّ بر الوالدين موصول بعد موتهما.. وهذا فضل الله تعالى .. وفرصة أخرى لمن أرادت أن تبر والديها...

فعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي ﷺ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ، إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقى من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتهما؟

قال: «نعم الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة

---

(١) رواه مالك في الموطأ وإسناده صحيح مرسل.

(٢) الأدب المفرد للبخاري بإسناد صحيح.

الرحم التي لا توصل إلا بهما. وإكرام صديقهما»[١].

وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً من الأعراب لقيه بطرق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه.. قال ابن دينار:

فقلنا له: أصلحك الله، فإنهم أعراب، وهم يرضون باليسير.

فقال عبد الله بن عمر: إنَّ أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أبر البر صلة الولد أهل وُدِّ أبيه**»[٢].

سلوكيات لا يرضاها الإسلام

أختي المسلمة ...

وهناك سلوكيات لا يرضاها الإسلام، بل وينفر منها، لأنها تؤدي إلى العقوق للوالدين، ومن هذه السلوكيات:

١- سب آباء أو أمهات الغير:

فمن تسببت في شتم والديها كان عليها وزر كبير، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ : «**إنّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» .

قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟

قال: «**يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه**»[٣].

ونرى أن السائل استبعد أن يلعن أحدٌ أبويه، لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك فبين النبي ﷺ في الجواب، أنه وإن لم يتعاط السب بنفسه في الأغلب الأكثر لكن قد يقع منه التسبب فيه، وهو مما يمكن وقوعه كثيرًا..

قال ابن بطال:

هذا الحديث أصل في سد الذرائع... ويؤخذ منه: أنّ من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل، وإن لم يقصد إلى ما يحرم..

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه الألباني (٨٠٠)، ورواه ابن حبان في صحيحه، وأبو داود في سننه وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وفيه دليل على عظم الأبوين[1]..

٢- إياك أن تدعي إلى غير أبيك:

لقول النبي ﷺ: «**من ادعى لغير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلا**»[2].

وفي رواية، عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت سعدًا يقول: سمعت أذناى، ووعى قلبي من محمد ﷺ: أنه من ادَّعى إلى غير أبيه، فالجنة عليه حرام، قال: فلقيت أبا بكرة، فحدثته، فقال: وأنا سمعته أذناى، ووعاه قلبي من محمد ﷺ [3].

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر**»[4].

٣- احذري أن تسلكي طريق العقوق:

والعقوق: مخالفة الوالدين فيما يأمران به من المباح، وسوء الأدب في القول والفعل.

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: بكاء الوالدين من العقوق[5].

فإذا تسببت في أي شيء جعل والديك يبكيان، أو بكى أحدهما فقد أسأت الأدب معهما...

وكذلك إذا أحددت النظر إليهما أو إلى أحدهما...

فعن عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - قال: ما برَّ والديه من أحد النظر إليهما[6].

أختي المسلمة ...

أتعلمين ما إثم عقوق الوالدين؟

إنه من أكبر الكبائر، حتى عدَّ الرسول ﷺ العقوق بعد الإشراك بالله فقال:

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٤١٨/١٠).

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وابن الجوزي في البر والصلة.

(٤) رواه البخاري، ومسلم.

(٥) البر والصلة لابن الجوزي.

(٦) البر والصلة لابن الجوزي.

الكبائر ثلاثة: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس، فقال: وشهادة الزور، وشهادة الزور، وشهادة الزور... حتى قلنا: ليته سكت[١]..

وفي رواية: «إنّ من أكبر الكبائر: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس»[٢].

أتعلمين أن عاق والديه لن يدخل الجنة...؟

قال ﷺ : «لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر»[٣].

بل إنّ الله - عز وجل - لا ينظر إلى عاق والديه نظر رحمة، قال ﷺ : «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى»

وعن أبي مالك ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «من أدرك والديه أو أحدهما، ثم دخل النار من بعد ذلك، فأبعده الله وأسحقه»[٤].

وقد ذكر ابن الجوزي في البر والصلة وابن أبي الدنيا أنه كان رجل إذا كلمته أمه نهق في وجهها ثلاثًا، ثم قال لها: إنما أنت حمار، فمات، فكان كل يوم بعد العصر يخرج رأسه من قبره رأس حمار إلى صدره، فينهق ثلاثًا، ثم يعود إلى قبره[٥].

٤- العقوق دين والجزاء من جنس العمل:

أختاه ... اعلمي أنّ البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، فاعملي ما شئت كما تديني تداني...

حدثنا العلماء أنّ رجلاً كان له والد قد كبرت سنه، وضعف عقله، وهزل جسده، فتأفف من خدمته، والقيام بشأنه، فأخذه وخرج إلى الصحراء في مكان بعيد ليذبحه، فلما وصل الابن إلى صخرة أنزله هناك، فقال الأب: يا بني، ماذا تريد أن تفعل بي؟

قال الابن: أريد أن أذبحك..

قال الأب: إن أبيت إلا ذبحي، فاذبحني عند الصخرة التالية، فلقد كنت قبلك عاقًا لوالدي، وذبحته عند تلك الصخرة، ولك يا بني مثلها.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه أحمد في مسنده والدارمي (١١٢/٢)، والبخاري في التاريخ وإسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والبغوي في شرح السنة وصحح إسناده حمزة الزين في المسند.

(٥) البر والصلة (ص١٠٨) رقم (١٣٨).

أختي المسلمة ...

ألم أقل لك إن الجزاء من جنس العمل؟ ألم أقل لك إنه دين؟ ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾ [الفجر: ١٤]..

وقد ذكروا أنَّ رجلاً قد كبر في السن، وكان ولده يقوم على خدمته، وفي يوم من الأيام إذ بالرجل المسن - وقد كان يحمل طبقًا من الزجاج - قد ارتعشت يداه، فوقع الطبق على الأرض وتحطم، فاقترحت الزوجة أن يُقدم الطعام لهذا الرجل المسن (والد زوجها) في إناء خشبي، فوافق الزوج، وصارت تقدم له الطعام في هذا الإناء، لكن الابن الصغير لاحظ ذلك، فسأل والده: لماذا يأكل جدي في هذا الإناء بالذات؟

قال له: لأن الإناء الزجاجي يقع من يده لكبر سنه..

قال الابن: إذن أحتفظ بهذا الإناء لك حتى إذا صرت مثل جدي قدمت لك فيه الطعام ففطن الأب وعلم أن ما يفعله بوالده، سيفعله ولده به، فعاد إلى بر أبيه.

أختي المسلمة ...

وهذا هو الشاعر «**جرير بن عطية**» وكان من أعق الناس بأبيه، وكان ابنه بلال كذلك، فراجع ابنه في الكلام، فقال له ابنه بلال: الكاذب بيني وبينك، فاعل بأمه، فأقبلت أمه عليه، وقالت: يا عدو الله، تقول هذا لأبيك!

فقال جرير: دعيه فكأنما سمعها مني وأنا أقولها لأبي[1].

أختاه ...

الويل كل الويل لمن عقت والديها، والخزى كل الخزى لمن ماتا غضبانين عليها هل جزاء المحسن إلا الإحسان إليه .. اتبعى الآن تفريطك في حقهما أنينًا وزفيرًا وقولى: ﴿ **رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً** ﴾ [الإسراء: ٢٤].

كم آثراك بالشهوات على النفس، ولو غبت ساعة صاروا في حبس، حياتهما عندك بقايا شمس.. لقد راعياك طويلاً، فارعيهما قصيرًا، وقولى: ﴿ **رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً** ﴾.

كم ليلة سهرا معك إلى الفجر، يداريانك مداراة العشق في الهجر، فإن مرضت أجريا دمعًا لم يجر.. تالله لم يرضيا لتربيتك غير الكف والحجر سريرًا.. يعالجان

---

(١) الجزاء من جنس العمل د/ سيد العفاني.

أنجاسك، ويحبان بقاءك، ولو لقيت منهما أذى شكوت شقاءك أتحسنين الإساءة في مقابلة الإحسان؟ أم تعارضين حسن فضلهما بقبح العصيان؟!..

اللهم اجعلنا بارين بآبائنا وأمهاتنا .. وبارك لنا في ذرياتنا، وقنا عذاب النار.. والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير، إنك على ما تشاء قدير.

❁❁❁

سلوكيات المرأة المسلمة

نحو

زوجها

سلوك المرأة المسلمة مع زوجها

المرأة المسلمة الذكية هى التي تسعد نفسها بنفسها، ولن تسعد المرأة المسلمة إلا إذا سلكت طريق السلامة والنجاة، وليس هناك طريق أسهل ولا أحسن من الطريق الذي دلنا عليه رسول الله ﷺ حين قال:

«**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله، وسنتي**»[(١)].

وقد أرشد رسولنا ﷺ الأخت المسلمة إلى السلوك الطيب، وأول هذه السلوكيات التي تسمو بها إلى السعادة الدنيوية والأخروية هى:

١- أطيعي زوجك:

لأن طاعتها لزوجها تجلب لها الهناء والرضا، والمخالفة له، تولد الشحناء والبغضاء، وكلما ازدادت المرأة طاعة لزوجها، ازدادت حبًّا من زوجها، وورث هذا الحب والصفاء أولادهما، لكن إذا نبذت طاعته حل بها الشقاء والبلاء وكانت من أخبث النساء، ولنتأمل قول سيد الأنبياء ﷺ عندما سئل: «**أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها، ولا في ماله بما يكره**»[(٢)].

وقد روى أن أسماء بنت يزيد الأنصاري - رضي الله عنها - أتت إلى النبي ﷺ ، وهو مع أصحابه فقالت: يا رسول الله، إني وافدة النساء إليك، وأن الله قد بعثك بالحق للرجال والنساء.. فآمنا بك، واتبعناك، وإنا - معشر النساء - محصورات، قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم، وأنتم - معشر الرجال - فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهادة الجنائز، وأفضل من ذلك! الجهاد في سبيل الله، وإنَّ الرجل إذا خرج حاجًّا أو مرابطًا، أو معتمرًا، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الخير والأجر يا رسول الله؟

فالتفت النبي ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ثم قال: **هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذا عن أمر دينها؟**

---

(١) رواه الحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٩٣٧)، والصحيحة برقم (١٧٦١).

(٢) رواه الحاكم (٢/٦١)، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا!

فالتفت النبي ﷺ ثم قال لها: «**انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء، أن طاعتكن لأزواجكن يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله**»(١).

ولما قيل لخالد بن صفوان: أي الزوجات أفضل؟

قال: «التي تطيع بعلها – أي زوجها – وتلزم بيتها، وإذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت، ابتسمت، وإن صنعت شيئًا، جودت، وإنْ قالت، صدقت، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود، التي كل أمرها محمود».

تأملي ثواب المطيعات

ولو لم يكن في ثواب الطاعة إلا حديث خير البريات، عليه أفضل الصلوات، وأتم التسليمات الذي قال فيه: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي أبواب الجنة من أي أبوابها شئت**»(٢).

قال الغزالي في الإحياء:(٣)

فعليها – أي الزوجة – طاعة الزوج مطلقًا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه.

وطاعة الزوج مطلوبة في كل الشرائع، فقد جاء بالمادة ٤١٤ من الأحكام العبرية: «متى خرجت الزوجة من بيت أهلها، ودخلت بيت زوجها، صار له عليها حق الطاعة التامة، والامتثال الكامل، فعليها ألا تخالفه في شيء مما يطلبه منها، بل تذعن له كما تذعن الجارية لسيدها»(٤).

وفي السنة المطهرة: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»(٥).

---

(١) رواه الطبراني، والبزار وغيرهما بإسناد حسن.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، وأحمد في مسنده (١٦٦١)، وابن حبان، والألباني في صحيح الجامع برقم (٦٦٠).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٧٦) ط/ دار مصر للطباعة.

(٤) نقلاً من كتاب المرأة في التصور الإسلامي لعبد المتعال الجبري.

(٥) رواه الترمذي بإسناد حسن.

أتريدين أن تتعرفي على المرأة السوء؟

جاء في حكمة داود – عليه السلام – «**إنَّ المرأة السوء مثل شرك الصياد، لا ينجو منها إلا من رضي الله عنه**» .

وقيل: المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده وقيل لأعرابي –كان ذا تجربة للنساء–: صف لنا شر النساء؟ فقال: شرهن السريعة الوثبة، كأن لسانها حربة، تضحك من غير عجب، وتبكي من غير سبب، وتدعو على زوجها بالجرب، أنف في السماء، واست في الماء، عرقوبها حديد، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، وتدفن الحسنات، وتفشي السيئات، تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان، ليس في قلبها عليه رأفة، ولا عليها منه مخافة، إنْ دخل خرجت، وإنْ خرج دخلت، وإنْ ضحك بكت، وإن بكى ضحكت، كثيرة الدعاء، قليلة الارعواء، تأكل لمًّا، وتُوسعُ ذمًّا، ضيقة الباع، مهتوكة القناع... إذا حدثت تشير بالأصابع، وتبكي في المجامع، بادية من حجابها، نبَّاحة عند بابها، تبكي وهي ظالمة،وتشهد وهي غائبة، قد ولي لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور، ابتلاها الله بالويل والثبور، وعظائم الأمور[1].

٢– لا تخرجي من البيت إلا بإذنه:

فإن فعلت تردَّت في المعصية، واستوجبت العقوبة..

قال الإمام ابن تيمية – رحمه الله – كما في مجموع الفتاوى (٢٨١/٣٢): لا يحل للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذنه، ولا يحل لأحد أن يأخذها إليه، ويحبسها عن زوجها، سواء كان ذلك لكونها مُرضعًا، أو لكونها قابلةً، أو غير ذلك من الصناعات، وإذا خرجت من بيت زوجها بغير إذنه كانت ناشزة، عاصية لله ورسوله، ومستحقة للعقوبة».

بل قال شيخ الإسلام: «إذا خرجت من داره بغير إذنه، فلا نفقة لها، ولا كسوة» ويجوز للمرأة أن تشهد الصلاة في المسجد، ولا ينبغي للرجل أن يمنعها، إلا إذا خرجت متعطرة متبرجة، قال ﷺ : «**إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها**»[2]. ولو منعها لم يأثم على المختار من أقوال المحققين، وقد قال الإمام البيهقي: وبه قال عامة العلماء.

---

(١) المستطرف للأبشيهي (ص٥٥٢) ط دار التوفيقية.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وابن حبان، والطبراني.

وأما حديث: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[١] فليس الأمر فيه على الوجوب إذ لو كان كذلك لما كان للاستئذان معنى.

ومع جواز خروج المرأة إلى بيوت الله، فإن صلاتها في بيتها أفضل من شهودها لصلاة الجماعة، قال ﷺ : «**صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها**»[٢].

٣- لا تأذني لأحد في بيته إلا بإذنه:

قال ﷺ : «**لا يحل لامرأة أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحدًا، ولا تخشنُ بصدره، ولا تعتزل فراشه، ولا تضرُّ به، وإن كان هو أظلم منها، حتى ترضيه، فإن هو رضي وقبل منها فبها ونعمت، قبل الله عذرها، وأفلح وجهها ولا إثم عليها، وإن هو أبى أن يرضى عنها فقد أبلغت عذرها**»[٣].

٤- لا تصومي تطوعًا إلا بإذنه:

لحديث: «**لا يحل لامرأة أن تصوم، وزوجها شاهد إلا بإذنه، غير رمضان، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه**» وفي رواية لمسلم: «**لا تصم المرأة ...**»[٤].

ففي الحديث: أن حق الزوج آكد على المرأة من التطوع بالخير، لأن حقه واجب، والقيام بالواجب مقدم على القيام بالتطوع[٥].

قال الإمام النووي: وسببه، أن الزوج له حق الاستمتاع بها في كل الأيام، وحقه فيه واجب على الفور، فلا يفوته بتطوع، ولا بواجب على التراخي.

٥- ألا تمنع نفسها منه:

لحديث: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**» وفي رواية: «**حتى ترجع**»[٦] أو «**حتى ترضى**» ولحديث:

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وأبو داود.

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني (٥٧٠)، ورواه الحاكم، والبيهقي.

(٣) رواه البيهقي في السنن والحاكم وهو حسن بشواهده.

(٤) رواه البخاري ومسلم، وأحمد وغيرهم.

(٥) آداب الزفاف للألباني.

(٦) رواه البخاري ومسلم وأحمد، وأبو داود.

«والذي نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها، ولو سألها نفسها، وهى على قتبٍ – أي على ظهر بعير – لم تمنعه نفسها»[١].

٦- التزين للزوج:

فالمرأة الذكية هى التي تتجمل وتتزين لزوجها، فإن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ ، فقالت: يا رسول الله، إنَّ المرأة إذا لم تتزين لزوجها صلفت عنده[٢]. أي ثقلت وكره النظر إليها، وقد صح أن السيدة عائشة – رضي الله عنها – كانت تفعل ذلك، فقد دخل عليها النبي ﷺ فرأى لها فتخات من ورق – أي من فضة – فقال: «ما هذا يا عائشة؟!» صنعتهن أتزين لك يا رسول الله[٣].

٧- أحسني عشرته:

وحسنُ العشرة من الأمور التي حض الشارع الحكيم الزوجة عليها، لقوله ﷺ : «إنَّ أكمل المؤمنين إيمانًا، أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائكم» وفي رواية: «لأهلي، وأنا خيركم لأهلي»[٤].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان النبي ﷺ يقول لي: إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبى.

قلت: من أين تعرف ذلك؟

قال: أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم.

قلت: أجل يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك[٥].

٨- أن تحترم مشاعره:

فلا تفرحي إن كان ترحًا، ولا تغتمي إذا كان فرحًا، بل افرحي لفرحه، واحزني لحزنه، تسُد المحبة والمودة، فهو جنتك ونارك.

وعن حصين بن محصن ﷺ أن عمة له أتت النبي ﷺ فقال لها: «أذات زوج

---

(١) رواه ابن ماجه وأحمد، وابن حبان وصححه الألباني في آداب الزفاف (ص٢٨٤).

(٢) رواه أحمد، والنسائي وإسناده صحيح.

(٣) رواه أبو داود، والحاكم، والبيهقي بإسناد صحيح.

(٤) رواه الترمذي (٢٦١٢)، وأحمد في مسنده (١٠٠٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢٣٢).

(٥) رواه البخاري، ومسلم وغيرهما.

أنت؟» قالت: نعم.. قال: فأين أنت منه؟

قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه.

قال: **فكيف أنت له؟ فإنه جنتك ونارك؟!**(١) ومعنى: لا آلو: أي لا أقصر في حق من حقوقه..

وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجهًا، وكان هو من أقبح الناس وجهًا، فقال لها: أنا وإياك في الجنة إن شاء الله.

فقالت له: وكيف ذلك؟

قال: لأني أُعطيت مثلك فشكرت، وأُعطيت مثلي فصبرتِ، والصابر والشاكر كلاهما في الجنة.

٩- ترك المطالبة بما وراء الحاجة:

قال الغزالي في الإحياء:

وأهم حقوق الزوج على زوجته أمران: أحدهما: الصيانة والستر، والآخر: ترك المطالبة بما وراء الحاجة، والتعفف عن كسبه، إذا كان حرامًا.

وقد همَّ رجل من السلف بالسفر، فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته: لا تدعيه يسافر، ولم يدع لك نفقة، فقالت لهم: زوجي مُذ عرفته، عرفته أكالاً وما عرفته رزاقًا، ولي ربٌّ رزاق، يذهب الأكال، ويبقى الرزاق. وقال المرحوم على فكري(٢):

«يجب ألا تطلب الزوجة من زوجها ما لا تمس الحاجة إليه، من مأكل أو ملبس، أو غيرهما.. قال تعالى: ﴿ **وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. فلا يسوغ لها أن تطلب إلا ما يكون في طاقته».

ورحم الله نساء السلف الصالحات، فقد كان من أدبهن، إذا خرج الرجل من منزله إلى عمله، تقول له امرأته أو ابنته: «**اتق الله فينا، ولا تأكل حرامًا، فإنا نصبر على الجوع، ولا نصبر على النار**».

---

(١) رواه أحمد، والبيهقي، والحاكم (٢/٢٨٩)، وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

(٢) سعادة الزوجين (٢/٩٨) بتصرف.

١٠- ألا تفرطي في ماله:

بل ينغي عليك أن تحفظي عليه ماله، قال ﷺ: «**إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها - غير مفسدة - كان لها أجرها بما أنفقت، وللزوج أجره بما كسب**»(١). وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لامرأة أن تطعم من بيت زوجها إلا بإذنه...**»(٢).

١١- اخدميه في بيته:

وخدمة الزوجة لزوجها واجبة، لأن الزوجة إذا لم تقم بالخدمة فسيضطر هو إلى خدمتها في بيتها، وهذا يجعلها هي القوامة عليه، وهو عكس قوله تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾ [النساء: ٣٤]. كما أن قيام الرجل بالخدمة يؤدي إلى انشغال الرجل بالخدمة عن السعي وراء الرزق، وغير ذلك من المصالح، وتبقى المرأة عطلاً عن أي عمل يجب عليها القيام به، ولا يخفى فساد هذا في الشريعة التي سوت بين الزوجين في الحقوق، بل وفضلت الرجل عليها درجة، ولهذا لم يُزل الرسول ﷺ شكوى ابنته فاطمة - رضي الله عنها - حين «أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق - أي عبيد - فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة - رضي الله عنها - فلما جاء، أخبرته عائشة - قال عليٌّ ﷺ: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال: «**على مكانكما**» فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني، فقال: «**ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما**، أو آويتما إلى فراشكما، **فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**»(٣). فلو كانت الخدمة غير واجبة لقال النبي ﷺ لعليٍّ ﷺ لا خدمة على فاطمة، وإنما الخدمة عليك...

١٢- تربية الأبناء:

فمن واجب الزوجة تربية أبنائها، وهذا مستنبط من قوله تعالى: ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ** ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وقال

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي، وأبو داود والطيالسي بإسناد حسن.

(٣) رواه البخاري.

ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأب راع وهو مسئول عن رعيته، والزوجة راعية وهي مسئولة عن رعيتها**»[١].

ولا رعية للزوجة إلا أبناؤها، وما في البيت من مال.

والتربية تكون مشتركة بين الرجل والمرأة، والأم المسلمة هي التي اجتمع لها من وسائل التربية ما لم يجتمع لأخرى ممن سواها.

وقد مدح النبي ﷺ المرأة التي ترعى أولادها، فقال: «**خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش: أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده**»[٢]. ففي هذا الحديث فضيلة نساء قريش، وفضل هذه الخصال، وهي الحنوة على الأولاد، وحسن تربيتهم، والقيام عليهم.

١٣- أحسني معاملة أهله:

فالمرأة الصالحة هي التي تعين زوجها على بر والديه، وصلة رحمه، ليبارك الله تعالى لها ولزوجها في أرزاقهما وأعمارهما.

اعلمي أيتها الأخت المسلمة أن الجزاء من جنس العمل، وأنك إذا قدمت الخير اليوم ستجدينه في أبنائك غدًا، فاحترمي مشاعر أبويه، وخاصة أمه، وتأملي بفكرك وعقلك أن هذه الأم (حماتك) هي التي حملت، ثم ولدت، ثم أرضعت، وأطعمت، وسهرت الليالي الطوال، لكي تربي ابنها (زوجك) حتى صار صبيًا ثم شابًا، وهي التي علمت، وهي التي هذبت، وهي التي كابدت الكثير والكثير.. حتى صار رجلاً يعمل لأجلك، ولأجل مستقبلك، فلا تحرميها من البر والخير، الذي كانت هي السبب الأساسي فيه.

أختاه ...

أنزلي أم زوجك مقام أمك، بل أكثر، وناديها دائمًا بلفظ الأمومة يكن ذلك سبب سعادتك، وسر هنائك.

١٤- إياك ومواطن الشبهات:

احذري أن تظني بزوجك ظن السوء، ما دمت لم تتحققي، حتى لا تتحول حياتك

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٧٦٣٧) وإسناده صحيح.

بعد هذا الظن إلى جحيم لا يطاق، والمرأة العاقلة هى التي تتجنب مواضع التهم ومواطن الشبهات، ولا تعطى لشياطين الإنس الفرصة في الوقيعة أو الدسيسة، ولعلك تدركين حكمة النبي ﷺ - عندما كان يقف مع زوجته صفية بنت حيي، فمرَّ به رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال لهما النبي ﷺ : «**على رسلكما، إنها صفية بنت حُيي**» فقالا: سبحان الله يا رسول الله ! فقال: «**إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا**»[1].

١٥- أحسني استقبال الزوج:

لأن زوجك يرجع من عمله مرهقًا يحتاج إلى الهدوء والراحة، يحتاج إلى البسمة والكلمة الطيبة، لا تكوني مثل اللاتي يستقبلن أزواجهن بالشكوى والتبرم، والوجه العابس، لأن الزوج ساعتها يتمنى لو يرجع إلى حيث أتى.

لا تكوني من اللاتي يستقبلن أزواجهن بثياب المطبخ المعقمة برائحة البصل، والمنقوشة بعصير الطماطم، والغريب أن مثل هؤلاء إذا أردن الخروج يتزين في أبهى الحلل، وتأملي أنموذجًا رائعًا للصحابية الجليلة السيدة أم سليم - رضي الله عنها - وكيف أحسنت استقبال زوجها رغم هذا الظرف الطارئ الذي مر بها فعن أنس بن مالك ﷺ قال: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت له: ما مثلك يا أبا طلحة يُردُّ، ولكني امرأة مسلمة، وأنت رجل كافر، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذلك مهري، ولا أسألك غيره، فأسلم، فكانت له ، فدخل بها، فحملت، فولدت غلامًا صبيحًا أي جميلاً وكان أبو طلحة يحبه حبًا شديدًا، فعاش حتى تحرَّك، فمرض فحزن عليه حزنًا شديدًا حتى تضعضع (أي ضعف).

قال: فمات الصبي وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات قامت فغسلته وكفنته وحنَّطته، وسجَّت عليه ثوبًا.. وقالت: لا يكون أحد يخبر أبا طلحة إذا رجع حتى أكون أنا الذي أخبره.

فجاء أبو طلحة كالاً - أي مُتعبًا - وهو صائم، فقال: كيف حال الغلام؟ فقالت: بخير، قد هدأت نفسه، فحمد الله وسُرَّ بذلك، فقربت له عشاءه، فتعشى، ثم مست شيئًا من طيب، فتعرضت له حتى وقع بها - أي جامعها - فلما أصبح

---

(١) رواه مسلم (٢١٧٥)، وأحمد (٢٦٧٤١).

اغتسل، ولما أراد أن يخرج قالت له: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن جارًا لك أعارك عارية، فاستمتعت بها، ثم أراد وأخذها منك، أكنت رادَّها عليه؟ فقال: أي والله، إني كنت لرادها عليه.

قالت: طيبة بها نفسك؟ قال: طيبة بها نفسي..

فقالت: فإن الله قد أعارك ابنا، ومتعك به ما شاء، ثم قبضه إليه، فاصبر واحتسب، فاسترجع وصبر، ثم خرج فصلى مع رسول الله ﷺ، وأخبره بما كان منهما، فقال رسول الله ﷺ: «**لعل الله أن يُبارك لكما في ليلتكما**» قال سُفيان بن عُيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت له تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن الكريم(١).

ففي هذه القصة المباركة التسلية عن المصائب، وتزيُّن المرأة لزوجها، وتعرضها لطلب الجماع منه، واجتهادها في عمل مصلحة..

فقد كانت أم سليم أنموذجًا رائعًا لحسن استقبال الزوج، رغم ما ألم بها من حزن على موت ولدها..

١٦- لا تكوني لحوحة:

فالمرأة اللحوحة امرأة ثقيلة مذمومة، لأنها تكرر طلباتها وربما لم تكن في إمكان الزوج، فتحزنه وتسيئه، وتجعله يتضجر ويتضايق، وربما استدان لكي يأتي لها بما طلبت.

لكن المرأة المسلمة الواعية هي التي تراعي ظروف زوجها، وتعرف إمكانياته فلا تطلب إن كان معسرًا، وإن طلبت وهو موسر، تكون رقيقة في أسلوبها، ولا تلح ولا تصر على ما ترغب فيه.

١٧- لا تتخلي عن زوجك بل كوني معه في الشدة:

المرأة المسلمة الواعية هي التي تقف بجوار زوجها حتى يحقق أهدافه، فهي تعاونه بكلمة طيبة، أو بابتسامة مشجعة، أو غير ذلك..

فرضي الله عن السيدة خديجة - رضي الله عنها - حين جاء النبي ﷺ من غار حراء، وهو يقول: «**زملوني .. زملوني**» فقالت له - رضي الله عنها -: «**والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق**»(٢).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وابن حبان وغيرهم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

لقد هونت عليه، وهدأت من روعه، ووقفت بجانبه، وما أعرضت عنه، وما شغلها شيء عنه، بل وقفت موقفًا سيبقى خالدًا، إلى يوم القيامة، تتعلم منه النساء على مر الأيام.

قال الحافظ ابن حجر عقب هذا الحديث:

فيه: استحباب تأنيس من نزل به أمر، بذكر تيسيره عليه، وتهوينه لديه، وأن من نزل به أمرٌ، استُحب له أن يُطلع عليه من يثق بنصيحته، وصحة رأيه.

لهذا عرف النبي ﷺ لها قدرها، واعترف بفضلها، فقال عنها: «**آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد**»(١).

١٨- احذري الشجار والنزاع:

فالمرأة المسلمة هي التي تنزه لسانها عن الفحش، وبذاءة اللسان، قال ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذئ**»(٢). فليس من العقل أن تعير المرأة زوجها بغيره من الناس، ولذلك امتدح النبي ﷺ الزوجة التي لا تنازع، ولا تتشاجر مع زوجها، فقال ﷺ: «**خير النساء التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره**»(٣).

١٩- تجنبي طلب الطلاق لأمر من الأمور:

يحرم على المرأة إذا حدث بينها وبين زوجها نزاع أو شجار أن تطلب منه الطلاق.. والكثير منهن يقلن لأزواجهن: إن كنت رجلاً فطلقني.. أو إن كان عندك شيء من الكرامة فطلقني.. أو ما شاكل ذلك وهذا حرام بنص قول النبي ﷺ: «**أيما امرأة طلبت من زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة**»(٤).

٢٠- احذري أن تصفي امرأة لزوجك:

والمرأة الصالحة الذكية هي التي تتجنب وصف مفاتن امرأة أخرى لزوجها، وفي

---

(١) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٨٣٩) بإسناد صحيح وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٣٨١).

(٣) رواه الحاكم (٦١/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي في المجمع.

(٤) رواه ابن ماجه (٢٠٥٥)، والترمذي (١١٨٧)، وصحيح سنن أبي داود للألباني (٢٢٢٦).

الحديث: «**لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها – تصفها – لزوجها كأنه ينظر إليها**»[١].

قال **الحافظ ابن حجر**: والحكمة في هذا النهي خشية أن يُعجب الزوج الوصف المذكور فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة، أو الافتتان بالموصوفة.

وكما لا يجوز أن تصف الزوجة محاسن أو مفاتن امرأة أخرى لزوجها، فكذلك لا يجوز للزوج أن يصف مفاتن زوجته لرجل آخر مهما كان شأنه، فقد كان لمعبد السليطي امرأة فائقة الجمال تسمى (حميدة) وكان معبد زوجها قد أرسله الحجاج ابن يوسف الثقفي في الجيش الذي ذهب إلى خراسان، فكان زوجها معبد يحدث جلساءه بجمالها، ويظهر لهم الشوق إليها، حتى أنه قد همَّ أن يرجع ويهرب من الجيش، فوقعت محبتها في قلب أحد السامعين لوصفها وكان يسمى حوط بن سنان من بني عُتيك، فقال لمعبد: أنا أحب أن ألحق بالبصرة فقال معبد: فإني أكتب إليك كتابًا إلى (حميدة) أي زوجته، فلما قدم عليها أتاها بكتاب زوجها معبد، وقال: لا أدفعه إلا إليها، فخرجت إليه، فكلمها، وأوقع في قلبها شيئًا مما في قلبه من محبتها، ولم يزل يختلف إليها ويخادعها حتى هربت إليه، وكانت عنده حولاً كاملاً، فدل عليها أهلها وقد حملت منه، فأُتي بها فرجمت وماتت.

٢١- حدي من الغيرة:

والغيرة نوعان: محبوبة يحبها الله، ومذمومة يكرهها الله تعالى.

فالمحبوبة تكون عند قيام الظن والتهمة، والثانية: أن تغار من غير ريبة، بل بمجرد سوء الظن، وهذه الغيرة تفسد العلاقة بين الزوج وزوجته قال ﷺ: «**إنّ من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله، فالغيرة التي يحبها الله: الغيرة في الريبة، والغيرة التي يكرهها الله: الغيرة في غير ريبة**»[٢].

وقد كان نساء النبي ﷺ يغرن بعضهن من بعض، ففي حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: **ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت على خديجة** – رضي الله عنها – **لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها وثنائه عليها**[٣].

---

(١) رواه البخاري، وأحمد في مسنده (٣٦٠٩)، والألباني في صحيح الجامع برقم (٧١٩٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٣٦٣٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٢٦٥٩)، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البخاري (٥٢٢٩)، وأحمد في مسنده (٢٤١٩١).

وهذا حدث لعائشة مع صفية فيما روته عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما رأيت صانعة طعامًا مثل صفية، أهدت إلى النبي ﷺ إناء فيه طعام، فما ملكت نفسي أن كسرته، فقلت: يا رسول الله، ما كفارته؟

فقال: «**إناء كإناء، وطعام كطعام**»(١).

فالمرأة الصالحة هي التي ترفق في غيرتها على زوجها، وتعتدل في كل أمورها، لأن الاعتدال في كل الأمور من كمال الدين والعقل، قال ﷺ لعائشة - رضي الله عنها-: «**يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرًا، أدخل عليهم الرفق**»(٢). ولذلك يقال: الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده..

المرأة الذكية هي التي تقف مع نفسها وقفة صادقة، فتسأل نفسها وتقول لها: إن زوجي لم يطلب امرأة في الدنيا غيري، وسعى إليَّ وعمل من أجلي، وعاش لي، ولتجعل العاقلة من غيرتها على زوجها سببًا في تقربه إليها، فلا تجعله ينظر إلى أجمل منها، فتتجمل له، وتتعرض له بحسن الحيل، والتلطف والتودد إليه.. وهناك غيرة يحبها الشارع الحكيم.. وهي عندما تغار على زوجها عند ارتكابه لمحرم من المحرمات كالزنا مثلاً أو شرب الخمر، أو نحو ذلك..

٢٢- احذري أن تصفي رجلاً بحضور زوجك:

احذري أختي المسلمة أن تشعلي غيرة زوجك عليك، بأن تمتدحي رجلاً أمامه، أو تصفي أجنبيًّا في حضوره، أو تبدي إعجابك برجل في ملبسه أو حديثه، أو قوته، أو حسن رأيه وعقله.

وأشد من ذلك حديثك عن زوجك السابق - إن كنت تزوجت قبله - حتى ولو كان قد توفاه الله، فالرجل يكره ذلك عادة... لأن الرجل يعتقد أنه في نفسك أفضل رجل، وأحسن الناس...

٢٣- اشكري زوجك على ما يقدمه لك:

فقد أرشدك سيد البشر ﷺ إلى هذا الطريق الطيب، فقال ﷺ : «**إنَّ الله لا ينظر**

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم (٢٥٠٣٣) بإسناد صححه حمزة الزين (١٧/٥٢٨)، ورواه أبو داود في سننه وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (٣٥٦٨).

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح.

إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغنى عنه»

٢٤- احذري الثرثرة[١]:

فالمرأة المسلمة المثالية هي التي تعرف متى تتكلم ومتى تصمت، تعرف مواضع الكلام، ومواضع الصمت وتعرف أن اللسان نعمة عظيمة من نعم الله عليها، فإنه عضو صغير جَرمهُ، عظيم طاعته وجُرمه، ففي الحديث: «**لا يكب الناس في النار على مناخيرهم إلا حصائد ألسنتهم**»[٢] وفي الحديث: «**ألا أنبئكم بشراركم؟ الثرثارون والمتشدقون**»[٣].

❁❁❁

---

(١) رواه البزار بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح (٣٠٩/٤)، ورواه الحاكم (١٩٠/١)، وصححه وأقره الذهبي.

(٢) رواه أحمد في مسنده، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم وصححه (٤١٣/٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

سلوك المرأة المسلمة

في

الخطبة والزواج

سلوك المرأة المسلمة في الخطبة والزواج

الزواج وعمارة الكون

الأسرة في الإسلام هى أهم دعامة من دعائم المجتمع، لأنها الحلقة الأولى من حلقات بنائه، ولا يمكن أن يكون هناك تشابك وتلاحم بين أفراد المجتمع، إلا إذا تلاحمت حلقاته من الأسر على أسس منهجية قويمة..

فإذا كان ذلك كذلك سارت الحياة الإنسانية في مسارها الصحيح، الذي يضمن لها الأمن والاستقرار، والسعادة والراحة.

ومن هنا سنّ الله - عز وجل — الزواج لعمارة هذا الكون، وجعله آية من آياته قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم: ٢١].

فالزواج لازم لكل مسلم قادر يخشى العنت على نفسه، ومن وجد ما يتزوج به فليفعل خشية الفتنة..

قال ﷺ : **«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»**[(١)].

ولا ينبغي للمسلم أن يسير وراء الوساوس الشيطانية، التي تسول له أنه غير قادر على الزواج مع فساد أهل الزمان، وتَعَقُّد الأمور وقلة المال، فقد قال الرسول ﷺ : **«ثلاثة حق على الله عونهم: المكاتب يريد الأداء، والناكح يبغي العفاف، والمجاهد في سبيل الله»**[(٢)].

وقد جعله النبي ﷺ سنة من سنن الإسلام فقال ﷺ **فيما رواه عنه أنس بن مالك** ﷺ **عندما جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا عنها كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما**

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم وهو في صحيح الجامع برقم (٧٩٧٥) والمشكاة (٣٠٨٠).

(٢) رواه الترمذي (١٦٥٥)، وأحمد في مسنده (٩٥٩٧)، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي.

تقدم من ذنبه وما تأخر؟! فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا ولا أرقد وقال الآخر: وأنا أصوم ولا أفطر.. وقال الآخر. وأنا لا أتزوج النساء فلما جاء النبي ﷺ وعلم بذلك قال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أمَّا وأني أخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء. فمن رغب عن أمتي فليس مني**»(١).

إنّ بقاء الجنس البشري في هذه الدنيا على الوجه الأكمل لا يتم إلا عن طريق الزواج حتى لا تختلط الأنساب، ويختص الزوج بالزوجة، حتى تتولد العاطفة بينهما، وينشأ أولادهما في جو تسوده المودة والرحمة، وتتكون الأسرة القوية التي ينبني عليها المجتمع الإسلامي، بخلاف ما إذا كان اجتماع الذكر بالأنثى بأي طريق غير الزواج، فإنه وإن كان فيه حفظ الجنس البشري بالتناسل، إلا أن فيه ضياع الأنساب التي لا يمكن المحافظة عليها إلا بالزواج.

الزواج هو العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة

إذن فأساس العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام هو الزواج، وكل علاقة سوى ذلك حرام تستوجب العقاب من الله – عز وجل –.. قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

وقد زال الرق الشرعي، فلم تبق علاقة منظمة إلا الزواج، وهو الرابطة التي تنقل العلاقة بين رجل وامرأة من التحريم إلى الحل الشرعي.

والزواج الذي له هذه المرتبة في الشرع الإسلامي: هو عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة، وتعاونهما مدى الحياة، ويحدد بمقتضى أحكام الشارع ما لكليهما من حقوق، وما عليه من واجبات(٢).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

(٢) تنظيم الأسرة للإمام محمد أبو زهرة (ص٦٣) ط دار الفكر.

ما هى أسس اختيارك لزوجك؟

ولما كانت رابطة الزواج من أهم الروابط في حياة الإنسان وأقدسها، لتكوين الأسرة القوية، ومن مجموعها يتكون المجتمع، ومن المجتمع تنشأ الدولة، لذلك اهتم الإسلام بهذه الرابطة، فجعل أسسًا لاختيار الأزواج ومن ذلك:

١- الكفاءة في الدين:

قال ﷺ : «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[١].

فيراعى عند اختيار الزوج أو الزوجة أن تكون بينهما كفاءة، والإسلام لا يطلب الكفاءة في الحسب والنسب والجاه والمال، ولكنه اهتم بالكفاءة في الدين قبل كل شيء..

قال القرطبي: وقد جاء موسى - عليه السلام - إلى نبي الله شعيب غريبًا طريدًا وحيدًا جائعًا عريانًا، فأنكحه ابنته، لما تحقق من دينه، ورأى من حاله، وأعرض عما سوى ذلك[٢].

أختي المسلمة ...

وإذا فقدت الكفاءة في الدين فلن تعوضها كفاءة أخرى، لأن الدين عوض عن كل شيء..

فالإسلام لا يعنى بالمظاهر والشكليات بقدر ما يراعى جوهر الإنسان، وطيب معدنه، ونقاء قلبه، وصلاح عقيدته.

مرَّ رجلٌ من الأغنياء على رسول الله ﷺ ، فقال: «**ما تقولون في هذا ؟**» فقالوا: حريٌّ أن ينكح، وإن شفع أن يُشفَّع، وإنْ قال أن يستمع، ثم سكت رسول الله ﷺ فمرَّ رجل من فقراء المسلمين، فقال رسول الله ﷺ : «**ما تقولون في هذا؟**» قالوا: حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شُفع أن لا يُشفَّع، وإن قال أن لا يستمع.. فقال رسول الله ﷺ : «**هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**»[٣].

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وصحيح الجامع للألباني (٣٠٠٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٣/١٤٨).

(٣) رواه البخاري، وابن ماجه.

٢- الكفاءة في النسب:

فالدين أولاً ثم النسب ثانيًا، فرسولنا ﷺ لما خطب زينب بنت جحش - رضي الله عنها - وكانت بنت عمته، فظنت أن الخطبة لنفسه ﷺ ، فلما علمت أنه خطبها لزيد بن حارثة ﷺ كرهت وامتنعت وأبت، فنزل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قال القرطبي في تفسيره: في هذه الآية دليل بل نص في أن الكفاءة لا تعتبر في الأحساب، وإنما تعتبر في الأديان، وذلك أن الموالى تزوجت في قريش، تزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وتزوج المقداد بن الأسود ضباعة بنت الزبير، وزوّج أبو حذيفة سالمًا من فاطمة بنت الوليد بن عتبة، وتزوج بلال بن رباح أخت عبد الرحمن ابن عوف.

٣- الكفاءة في المال:

ديننا الحنيف لا يقيم وزنًا للكفاءة في المال بقدر ما نقيم نحن في عصرنا هذا، فقد انصرف الناس الآن إلى أصحاب الأموال والعقارات والسيارات والعمارات، وتركوا الدين .. وصدق فيهم قول من قال:

إنّ الدراهم في المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجمالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحة ... وهي السلاح لمن أراد قتالا

وصدق فيهم قول القائل:

رأيت الناس قد ذهبوا ... إلى من عنده ذهبُ

ومن ليس عنده ذهب ... فعنه الناس قد ذهبوا

رأيت الناس منفضة ... إلى من عنده فضة

ومن ليس عنده فضة ... فعنه الناس منفضة

رأيت الناس قد مالوا ... إلى من عنده مالُ

ومن ليس عنده مال ... فعنه الناس قد مالوا

فمدام الرجل متدينًا، متخلقًا بالأخلاق الفاضلة، فلا عيب في قلة حاله، أو فقره،

وكذلك المرأة.. قال تعالى: ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٣٢]. ففي الآية المباركة حث على تزويج أهل الصلاح والتقوى دون النظر إلى فقرهم أو غناهم.

صرخة إلى أولياء الأمور

وأول صرخة في آذان أولياء الأمور الذين صاروا ينظرون إلى الحياة نظرة مادية بحتة، فيرهقون الأزواج بالتغالي في المهور، والجهاز، ومتطلبات الزوجة أصرخ فيهم بقول النبي الأعظم ﷺ : «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[1].

تخيروا لبناتكن من تتوسمون فيه الصلاح والتقى فإنه إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يهنها.. قال رجل للحسن البصري –رحمه الله– : قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها؟ قال: ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

وقال الشعبي – رحمه الله–: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها.

والصرخة الثانية.. هي قول السيد المعصوم ﷺ : «من يمن المرأة تسهيل أمرها، وقلة صداقها»[2] ويؤيده قول عمر بن الخطاب ﷺ : «ألا لا تغلوا صُدق النساء، فإنه لو كان مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله – عز وجل –، كان أولاكم به النبي ﷺ . ما أصدق النبي ﷺ على امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية، وإنّ الرجل ليغلي بصدقة امرأته حتى يكون لها عداوة في نفسه..»[3].

أختي المسلمة ...

أما ما اشتهر على لسان كثير من الناس، أنّ امرأة اعترضت على عمر ﷺ في مسألة المهر، فقال: «**أصابت امرأة وأخطأ عمر**».

فهذا لم يصح عنه ﷺ

---

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، والطبراني في الأوسط والحاكم وإسناده حسن.

(٢) رواه أبو داود، والحاكم، و البيهقي، وابن حبان والبزار وإسناده صحيح.

(٣) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ورواه ابن ماجه وابن حبان والألباني في صحيح سنن أبي داود.

وأما الصرخة الثالثة فمن قوله ﷺ في خطبة الوداع: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان عندكم**»(١).

ومعنى «**عوان**» أي أسيرة.. قالت أسماء بنت أبي بكر ﷺ : النكاح رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته؟!

فليست السعادة في جمع الأموال، ولا في سكنى القصور الفاخرة، ولكن السعادة الحقة في معرفة الله تعالى وعبادته، ولو كنت في كوخ، وجدت الخير والسعادة والراحة والهدوء.

ولكن عند الانحراف.. فلا سعادة حتى لو سكنت ابنتك أرقى القصور، وأوسع الدور، وعندها ما تشتهي، فاعلم أنها نهايتها المرة، وتعاستها المحققة.

ليست السعادة قصر عبد الملك بن مروان، ولا كنوز قارون..

ليست السعادة شيكًا يصرف، ولا سيارة تركب، ولا عمارة تسكن، ولكن السعادة كل السعادة في الرضى.. ولا يغرنك أصحاب الأموال: ﴿ **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٥٥, ٥٦].

لما دخل عمر بن الخطاب ﷺ على إمام السعداء ﷺ ، ورآه على حصير أثر في جنبه، وما في بيته إلا شعير معلق، دمعت عينا عمر، وقال:

كسرى وقيصر فيما تعلم يا رسول الله!

فقال رسول الله ﷺ : «**أفي شك أنت يا ابن الخطاب، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة، ولهم الدنيا**»(٢).

إنَّ الموقف مؤثر، فرسول الله ﷺ قدوة الناس، وإمام الجميع، ومع ذلك ينام على الحصير وهو في قمة السعادة.

إنها معادلة واضحة، وقسمة عادلة، فليرض من يرضى، وليسخط من يسخط، وليطلب السعادة من أرادها في الدِّرهم والدينار والقصر والسيارة، ويعمل لها وحدها، فلن يجدها والله الذي لا إله إلا هو.

﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ**

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجه وإسناده صحيح.

(٢) رواه أحمد، وغيره بإسناد صحيح.

يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

عودة إلى أولياء الأمور

وما زلت أناشد أولياء الأمور، وأرشدهم إلى توجيهات القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: **﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾** [القصص: ٢٧].

قال القرطبي: في هذه الآية جواز عرض الولى ابنته على الرجل الصالح، وهذه سنة قائمة، عرض صالح مدين - يعني شعيبًا - ابنته على صالح بني إسرائيل - يعني موسى -.

وعرض عمر بن الخطاب ﷺ ابنته حفصة - رضي الله عنها - على أبي بكر وعثمان -- رضي الله عنهما --، وعرضت الموهوبة نفسها على النبي ﷺ.

فمن الحُسن عرض الرجل وليته، والمرأة نفسها على الرجل الصالح اقتداء بالسلف الصالح - رضوان الله عليهم- [(1)].

وقال الشوكاني - رحمه الله - : في هذه الآية مشروعية عرض ولى المرأة لها على الرجل، وهذه سنة ثابتة في الإسلام[(2)].

وقال الألوسي - رحمه الله- قال في الإكليل: فيها استحباب عرض الرجل موليته على أهل الخير والفضل أن ينكحوها[(3)].

---

(١) تفسير القرطبي (٢٧١/١٣).

(٢) فتح القدير (١٦٩/٤).

(٣) روح المعاني (١٠٤/١١).

أختاه ...

يجوز لك أن تعرضي نفسك على الرجل الصالح

عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تعرض عليه نفسها - أي ليتزوجها قالت: يا رسول الله، ألك بي حاجة؟

فقالت بنت أنس - وكانت حاضرة -: ما أقل حياءها، واسوأتاه! واسوأتاه! فقال أنس لابنته: هي خير منك، رغبت في النبي، فعرضت عليه نفسها»(١).

وفي رواية عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للنبي ﷺ حتى أنزل الله: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ [الأحزاب: ٥١]. فقالت: فقلت: إنَّ ربك ليسارع في هواك(٢).

فنرى أن النبي ﷺ لم ينهها عن ذلك، ولم يستنكر عليها فعلتها..

وفيه: حسن أدب المرأة وبراعتها في عرضها لمسألتها في أسلوب كريم (ألك بي حاجة؟).

على ولى المرأة أن يشاورها فيمن تتقدم لخطبتها

وعلى ولى الأمر أن يأخذ رأى ابنته فيمن يتقدم لخطبتها، لحديث عائشة - رضي الله عنها - أنه: «دخلت عليها فتاة فقالت: إنَّ أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، وأنا كارهة.

قالت: اجلسى حتى يأتي رسول الله ﷺ فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها، فدعاه، فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم: أللنساء من الأمر شيء(٣)؟

---

(١) رواه البخاري (٥١٢٠)، وابن ماجه (٢٠٠١)، والنسائي.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٠٠٠) بإسناد صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه (١٨٧٤)، وأحمد في مسنده والنسائي وإسناده صحيح.

أختي المسلمة ...

والأفضل أن يعرض ولى الأمر على ابنته، أو من يتولى أمر نكاحها، أمر من جاء يخطبها، فتعطى فرصة لتتبين الأمر، والأولى بها أن تستخير الله - عز وجل - في هذا الأمر، فتصلى صلاة الاستخارة، ثم ترد عليه ..

قال ﷺ: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أنَّ الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أنَّ هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري- أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به**»[(١)].

قال: ويسمى حاجته. وتستحب صلاة الاستخارة في الثلث الأخير من الليل، لما في ذلك من صفاء النفس، وبعد عن الرياء، وعما يشوش عليه صلاته.

وموافقة البكر أن تسكت، لأنها تستحي، أما الثيب فهى أحق بنفسها من وليها، لحديث: «**لا تنكح الثيب حتى تستأذن، ولا تنكج البكر حتى تستأمر**»

قالوا: يا رسول الله، كيف إذنها؟ قال: «**إذنها أن تسكت**»[(٢)].

سلوك المرأة المسلمة في الخطبة

أختي المسلمة ...

والخطبة هى طلب المرأة للزواج بها، فهى مقدمة ضرورية لعقد مهم وهو عقد الزواج، ويُقال للرجل الذي يطلب الزواج من امرأة معينة: خاطب.. كما يُقال للمرأة: المخطوبة..

وقيل: إنها التماس النكاح ممن يعتبر منه[(٣)]. فهى عبارة عن إظهار رغبة الرجل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه وفي الأدب المفرد، ورواه أبو داود والترمذي، وابن ماجه وأحمد.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

(٣) حاشية قليوبي على شرح المحلي (٣/٢١٣).

في التزوج من أنثى معينة، ومفاوضة أهلها في شأن الاقتران بها.

وعلى ذلك فالخطبة اتفاق رضائي، يتم بإيجاب وقبول، يصدر من أهل له، ويتعلق هذا الاتفاق بوعد بعقد الزواج.

المرأة التي تجوز خطبتها

لما كانت الخطبة مقدمة لعقد الزواج، فمن الطبيعي إذن أنها لا تجوز إلا للمرأة التي يحل للإنسان أن يتزوج بها.. فمن النساء: المحرمات بسبب النسب أو الرضاع أو المصاهرة، ولذلك فمن اللازم في المخطوبة أن تكون ممن لا يحرم الزواج بها شرعًا، فإن كانت المرأة واحدة من المحارم كالأم والأخت والخالة والعمة ونحو ذلك فلا تصح خطبتها، لأنه لا يجوز نكاحها.

كما لا يجوز أن تخطب المرأة المحرمة تحريمًا مؤقتًا، كأن تكون في عصمة زوج آخر، أو تكون معتدة فيه لطلاق، سواء كان الطلاق رجعيًا، أو بائنًا، لأن حق الزوج المُطلق في أن يراجعها لعصمته بدون عقد جديد - إن كان الطلاق رجعيًّا - أو بعقد جديد إذا كان الطلاق بائنًا، ففي تقديم رجل آخر لخطبتها اعتداء عليه[1].

وقد ذهب الشافعية ومن وافقهم إلى أنه يجوز التعريض بخطبة المطلقة طلاقًا بائنًا، كما يجوز التعريض بخطبة المتوفى عنها، لقول الله جل شأنه.

﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وذلك لانقطاع سلطة الزوج عن البائن.

ولهذه الخطبة آداب يفضل الالتزام بها ومن تلك الآداب:

١- النظر إلى المخطوبة:

فيجوز بل يستحب أن تنظر المخطوبة إلى خطيبها، وينظر الخاطب إلى مخطوبته لأحاديث منها:

---

(١) بدائع الصنائع للكاساني (٢/٢٦٨)، وحاشية ابن عابدين (٢/٣٨٠، ٣٨١).

١- حديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل**»[١].

قال جابر: فلقد خطبت امرأة من بني سلمة، فكنت أختبأ لها في أصول النخل، حتى رأيت منها بعض ما أعجبني فتزوجتها.

٢- وحديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: خطبت امرأة، فقال لي النبي ﷺ: «**هل نظرت إليها؟** قلت: لا. قال: **فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»[٢].

وللشافعية رأي وجيهٌ ومقبول في هذا الأمر وهو: أنه ينبغي أن يكون نظر الرجل إلى المرأة قبل الخطبة حتى إن كرهها تركها من غير إيذاء لها، بخلاف بعد الخطبة، ففيه: أدب كريم ولياقة محمودة.

ونظر المخطوبة إلى الرجل أولى حيث إن الرجل يمكنه مفارقة زوجته بالطلاق بعد العقد عليها إذا لم تعجبه، في حين أنها لا يمكنها ذلك إذا ما عقد قرانها به دون أن تراه، ثم رأته ولم يعجبها، فإنها لا يمكنها التخلص منه، إذ ليس بيدها الطلاق بخلاف الخاطب.

لكننا نلحظ أن الأحاديث السابقة وغيرها تنص على جواز نظر الرجل إلى مخطوبته دون نظر المخطوبة إليه، لأن حياة الرجل قائمة على الظهور والسعي للعمل، وارتياد الأماكن العامة، والمجتمعات المختلفة، فمن السهل عليها رؤيته، بخلاف المرأة – وخاصة الملتزمة شرعًا – فإنها غالبًا ما تكون مستقرة في البيت.

• مقدار ما يباح النظر إليه:

يرى جمهور أهل العلم أن الخاطب لا ينظر إلى المخطوبة إلا ما سوى الوجه والكفين، لأن باقي بدنها عورة، ولأن رؤيتهما تحقق المطلوب، فبالوجه الذي هو مجمع المحاسن يمكن التعرف على جمالها، وباليدين يمكن التعرف على مقدار الخصوبة في بدنها..

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٤٥٢١)، بإسناد صحيح ورواه أبو داود، والبيهقي والألباني في صحيح الجامع برقم (٥٠٦).

(٢) رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، والدارمي، وأحمد، والبيهقي.

قال ابن قدامة في المغني: ولا خلاف بين أهل العلم في إباحة النظر إلى وجهها، وذلك لأنه ليس بعورة، وهو مجمع المحاسن، وموضع النظر، ولا يباح له النظر إلى ما لا يظهر عادة... ولا بأس أن ينظر إليها، وإلى ما يدعوه إلى نكاحها من يد أو جسم، أو نحو ذلك[١].

٢- ومن الأدب: أن لا يخطب المسلم على خطبة المسلم:

وهذا الأدب شرط من شروط صحة الخطبة التي تمت، ووافق عليها ولي الأمر، لأحاديث منها:

١- حديث عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر**»[٢].

٢- وحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يخطب الرجل على خطبة أخيه، حتى ينكح أو يترك**»[٣].

٣- وحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**لا يخطب الرجل حتى يترك الخاطب قبله، أو يأذن له**»[٤]. وقد حكى النووي أن النهي في الأحاديث المتقدمة للتحريم بالإجماع.

٣- ومن الأدب: عدم الخلوة بالمخطوبة:

والخلوة بالمخطوبة حرام، لأنه لا يُؤمن مع الخلوة مواقعة المحظور، قال ﷺ : «**لا يخلون رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما**»[٥].

ولا يجوز للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته قبل العقد عليها نظرة تلذذ وشهوة، ولا لريبة، ويجوز له تكرار النظر ليتأمل محاسنها، وخصوبة بدنها، وقد يتم نظره إليها

---

(١) المغني والشرح الكبير (٧/٤٥٤)، وبدائع الصنائع (٥/١٢٢).

(٢) رواه مسلم، وأحمد في مسنده.

(٣) رواه البخاري، والنسائي.

(٤) رواه أحمد، والبخاري والنسائي.

(٥) رواه أحمد (١٩٣٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤/١٨٤)، والحاكم (١/١١٣)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

بصورة مباشرة، بأن يذهب بنفسه إلى بيت أهلها، فيراها بحضور محرم لها، ويتعرف عليها بما يدعوه إلى نكاحها، وقد يكون ذلك بصورة غير مباشرة، كأن يبعث بامرأة يثق بها لتنظر إليها وتصفها له، فعن أنس ﷺ أنه ﷺ بعث أم سليم إلى امرأة، فقال: «**انظري إلى عرقوبها وشمي معاطفها**» وفي رواية: «**شمي عوارضها**»[1]. أي مقدم أسنانها.

وإنما أمر ﷺ بذلك لتتبين رائحتها وبراءتها من البخر، وهي عيوب معروفة عند بعض النساء، ترغب الرجل عنهن.

وللمرأة أن تفعل ذلك بإرسال رجل من أقاربها ليتعرف على خاطبها، ولها أن تنظر إليه بنفسها مع أمن الفتنة، لأنه يعجبها منه ما يعجبه منها.

أختي المسلمة ...

إن الإسلام الحنيف يصون المرأة عن العبث بها، ويصونها عن أطماع الطامعين فقد حرم الخلوة بها، قال ﷺ : «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**»[2].

وما يفعله الناس في عصرنا الحاضر من ترك الخاطبين يخلو كل منهما بالآخر بل ويتركون الحبل على الغارب، كما يقولون.. فيذهب بها إلى دور السينما والمسرح، والذهاب إلى الأماكن البعيدة دون رقيب، ودون محرم فهو حرام، ولا تحمد عقباه.. لأنه لو تركها الخاطب.. ماذا يكون حالها؟

فانفراد المخطوبين يجعل الشيطان ينفخ فيهما النزوات، ويهيج منهما الشهوات، ويهيج الحب الجنسي.. والحب يعمي ويصم، فلا يكون معه تعرف على شيء.

٤- أن تكون الدعوة عامة:

فبعد أن تتفق الأسرتان على إتمام النكاح، ينبغي إشهار هذا النكاح، وأن نقوم بدعوة الأهل والأقارب والجيران...

فقد ورد أنه ﷺ قال: «**أعلنوا النكاح، واجعلوه في المساجد واضربوا عليه**

---

(١) رواه الحاكم (٢/١٦٦)، وأحمد في مسنده والبزار بإسناد رجاله ثقات كما ذكره الهيثمي في المجمع (٤/٢٧٦).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

بالدفوف، وليولم أحدكم ولو بشاة، فإذا خطب أحدكم امرأة وقد خضب بالسواد فليعلمها، لا يغرها»[١].

قال الصنعاني: دلت الأحاديث على الأمر بإعلان النكاح، والإعلان خلاف الإسرار، وعلى الأمر بضرب الغربال، وفسره بالدف، والأحاديث فيه واسعة، وإن كان في كل منها مقال، إلا أنها يعضد بعضها بعضًا[٢].

سلوكيات المرأة المسلمة أثناء الزواج

إذا اتفق الخاطب مع ولي المخطوبة، لأنه لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل وتحدد موعد العقد، وزفاف العروسين، فهناك عدة آداب، أو سلوكيات ينبغي للأخت المسلمة أن تتعلمها منها:

١- استحباب خطبة الحاجة بين يدي العقد:

فهي من السنة ولفظها كما ورد في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: **«إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ويقرأ ثلاث آيات»**[٣].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٦٠٧٥) مختصرًا وصححه حمزة الزين (٤٦٤/١٢)، ورواه الترمذي بهذا النمط برقم (١٠٨٩)، وابن ماجه (١٨٩٥)، وذكره الألباني في صحيح الجامع (١٠٣٢).

(٢) سبل السلام للصنعاني (٩٨٧/٣).

(٣) رواه أحمد، والترمذي، وحسنه والحاكم، ورواه ابن ماجه وغيرهم.

ففيه دلالة على سنية ذلك في النكاح.

يحدثنا الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء أن شريحًا القاضي قابل الشعبي يومًا فسأله عن حاله في بيته، فقال له شريح: منذ عشرين عامًا لم أر ما يغضبني من أهلي. قال له: وكيف ذلك؟

قال شريح: من أول ليلة دخلت على امرأتي، ورأيت فيها حسنًا وجمالاً، فقلت في نفسي: أصلى ركعتين شكرًا لله - عز وجل -.

فلما سلّمت، وجدت زوجتي تصلى بصلاتي، وتسلم بسلامي، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء، قمت فمددت يدي نحوها، فقالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت، ثم قالت:

(إنَّ الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلى على رسوله محمد ﷺ وبعد: فإني امرأة غريبة، لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتيه، وبين لي ما تكره فأتركه، ثم قالت: فلقد كان لك في قومك من هى كفء لك، ولقد كان في قومي من هو كفءٌ لي، ولكن قضى الله أمرًا كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به، فإمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولك).

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبى إلى الخطبة في ذلك الموضوع. فقلت: (أحمد الله وأستعينه، وأصلى وأسلم على النبي وآله وبعد: فإنك قلت كلامًا، إن ثبت عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، فإني أحب كذا .. وكذا.. وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها، فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟!

قلت: ما أحب أن يملني أصهاري..

فقالت: من تحب من جيرانك أن يدخل دارك، فآذن له، ومن تكره، فأكره؟

قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة، فمكثت معي عشرين عامًا، لم أعتب عليها في شيء إلا مرة ، وكنت لها ظالمًا[١].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

٢- تزيين العروس ليلة زواجها:

قد ينشأ خلاف حاد بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة لأتفه الأسباب، وذلك مثل أن يشتري الرجل لعروسه فستان الدخلة.. أو الشبكة إن كان قبل العقد وأخيرًا يحدث أحد أمرين: إما أن يشتري الزوج للعروس فستانًا يدفع فيه مبلغًا كبيرًا من المال، يكون سببًا في إرهاقه ماليًا في أغلب الأحيان.. ويكون هذا الفستان عريانًا، يظهر الصدر، ويظهر العنق، ويظهر جسد الزوجة..

أهذا من الشرع والدين؟ كيف تكشف الزوجة جسدها أمام الرجال الأجانب؟

والأمر الثاني: إن لم يشتر الفستان، يؤجره، أو يستعيره..

والإسلام الحنيف لا يُمانع من أن تلبس العروس ما يسمى بـ (فستان الدُّخلة) لكن شريطة أن يكون واسعًا، ويكون ساترًا للجسد، ساترًا لما لا يحل للآخرين.

قال الإمام الأصمعي: رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر، وهي مختضبة، وبيدها سبحة، فقلت: ما أبعد هذا من هذا؟!

فقالت:

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والخلاعة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة، لها زوج تتزين له..

فالتزين لا يجوز إلا للزوج فقط.. وإسلامنا يهدف إلى تكريم المرأة، وإعلاء مكانتها، ويحافظ على شرفها وعرضها، ولا يقر ما يحدث في ليلة الزفاف من تخلي المرأة عن الحجاب ليلة الزفاف، وما يجرى من عرض المرأة في أبهى زينتها على القاصي والداني، والغريب، والقريب، لا يقره دين، ولا خلق، ولا تقتضيه شهامة الزوج ورجولته.. وهو باطل يجب أن يزول، ومنكر يتحتم تغييره.

وقد أجمل الإمام القرطبي حكم الزينة الظاهرة والخفية بقوله:

«من الزينة ظاهر وباطن، فما ظهر فمباح أبدًا لكل الناس المحارم والأجانب، وأما الباطن فلا يحل إبداؤه إلا لمن سماهم الله تعالى في الآية الكريمة:

﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

وروى الترمذي عن ميمونة بنت سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها**»[١].

---

(١) رواه الترمذي.

٣- ويسن في يوم الزفاف: الضرب بالدف:

وفيه فائدتان: الأولى: إعلان النكاح.

الثانية: تطييب خاطر العروس .

وقد ثبت ذلك مرفوعًا من حديث محمد بن حاطب: «**فصلُ ما بين الحلال والحرام الدفُّ والصوت في النكاح**»(١).

قال البغوي في شرح السنة: «إنما معنى الصوت: إعلان النكاح، واضطراب الصوت به، والذّكر في الناس، كما يقال: فلان قد ذهب صوته في الناس».

ولحديث عائشة - رضي الله عنها - أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال ﷺ : «**يا عائشة، ما كان معكم من اللهو**»(٢).

ولحديث: «**فلو بعثتم معها من يقول**(٣).

أتيـــناكم أتيـــناكم فحـــيونا نحـــيكم

وهناك قيود لابد من مراعاتها في الغناء:

١- أن يكون موضوع الغناء مما لا يخالف آداب الإسلام وتعاليمه.

٢- أن تكون طريقة أداء الغناء بعيدة عن التكسر والتميع الذي يثير الغرائز.

٣- ألا يكون إسراف في وقت السماع، لأن ديننا يحارب الغلوَّ والإسراف في كل شيء، حتى في العبادة، فما بال الإسراف في اللهو وشغل الوقت به؟

٤- ألا يترتب على سماع الغناء ترك الصلاة أو تأخيرها إلى الوقت الضروري.

٥- ألا يشتمل الاحتفال على محرم، كاختلاط النساء بالرجال، ورقص النساء مع الرجال، أو شرب الخمر(٤)...

٤- التهنئة بالزواج:

لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا رفَّأ إنسانًا إذا تزوَّج قال: «بارك الله

---

(١) رواه الترمذي وحسنه، وأحمد في مسنده، وابن ماجه والنسائي، والحاكم بإسناد صحيح.

(٢) رواه البخاري، والحاكم.

(٣) رواه أحمد، والبيهقي، وابن ماجه.

(٤) وسائل الإسلام في المحافظة على كرامة المرأة (١٩١/٤) بتصرف طـ/ الدر العربية للكتاب.

لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»[١]. فقد كانوا يقولون في الجاهلية: بالرفاء والبنين، فعلم النبي ﷺ أتباعه أن يقولوا ذلك ..

٥- الالتزام بآداب النكاح:

وها هي امرأة تعلم زوجها آداب النكاح كما يروى لنا الإمام محمد بن سيرين – رحمه الله تعالى – يقول: تزوجت امرأة من بني تميم، فلما كانت ليلة البناء، دخلت عليها، فإذا هي جالسة على باب خدرها، فأهويت بيدي إليها، فقالت: مهلاً، على رسلك... فحمدت الله، وأثنت عليه، ثم قالت:

إنَّ الله يضع العلم حيث يشاء، وإنه بلغني أن الرجل إذا دخل بيته يؤمر أن يصلي ركعتين، وتصلى المرأة خلفه، فإذا فرغ قال: اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لأهلي فيَّ، اللهم ارزقني منهم، وارزقهم مني، اللهم ارزقني أُلفتهم، ومودتهم، وارزقهم أُلفتي ومودتي، وحبب بعضنا إلى بعض.

قال: فقمت، ففعلت ذلك، فلما فرغت أهويت إليها، فقالت:

مهلاً على رسلك، إنَّ الرجل يؤمر إذا أراد غشيان أهله أن يدعو قبل ذلك فيقول: اللهم جنبنا الشيطان، وجنبه ما رزقتنا، ولا تجعل له فينا نصيبًا قال: ففعلت ذلك، فلم أزل أعرف بعد ذلك الأُلفة، واللطف والخير[٢].

وقد أرشدنا المعلم الأكبر، والأستاذ الأعظم ﷺ إلى هذه الآداب، فقال: **«إذا تزوج أحدكم المرأة، فليأخذ بناصيتها، وليسم الله – عز وجل –، وليدع بالبركة، وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها، وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه»**[٣].

أين نحن من هذه الآداب الطيبة المباركة؟ إن بيوت المسلمين تنهار فيها العلاقات الزوجية ، وطالما تجلسين مع أيٍّ من الأخوات المسلمات، فيشكون لك سوء العلاقات.. أتدرين سبب ذلك؟

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ورواه أبو داود، وأحمد، والدارمي، وابن حبان، والبيهقي.

(٢) نقلاً من أروع مواعظ النساء ص٢٩ للشيخ مجدي فتحي السيد ط التوفيقية نقلاً عن أدب النساء (١٥٩/٢).

(٣) رواه البخاري، والحاكم (١٨٥/٢)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وأبو داود، وابن ماجه.

لا سبب سوى أننا تركنا الآداب التي أدبنا بها رسولنا ﷺ ، لما تركنا تعاليمه، وتركنا ما علمنا إياه، ضللنا، وسوف يكون الضلال كل الضلال، بل والهلاك طالما ابتعدنا عن طريقه وآدابه وتعاليمه..

فقد جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة شابة، وإني أخاف أن تبغضني، فقال عبد الله بن مسعود له: إنّ الإلف من الله، والفرك (البغض) من الشيطان، يريد أن يُكره إليكم ما أحل الله لكم، فإذا أتتك فأمرها أن تصلي وراءك ركعتين، وقل: اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لهم فيّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرق بيننا إذا فرَّقت إلى خير»[(١)].

أين نحن من هذه التعاليم النبيلة، التي لو سرنا على دربها لغمرتنا السعادة مع أزواجنا ومع أبنائنا.. لو تمسكنا بها لسعدنا في دنيانا، ونلنا رضى مولانا في أخرانا..

٦- ومن آدابه: ألا تفشين أسرار الزوجية:

لأن الرجل غالبًا ما يُفضل المرأة الكتومة التي لا تفشى أسراره، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضى إلى المرأة، وتفضى إليه ثم ينشر سرها**»[(٢)].

ولحديث أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: كنت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود، فقال: «**لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها**» فأرم القوم: فقلت: إي والله يا رسول الله، إنهن ليفعلن، وإنهم ليفعلون!

قال: «**لا تفعلوا فإنما ذلك مثل شيطان لقى شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون**»[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني بإسناد رجاله رجال الصحيح كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٢٩٢).

(٢) رواه مسلم، وأحمد في مسنده، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب، وابن السني.

(٣) رواه أحمد وإسناده حسن.

عودة إلى أولياء الأمور

إن أراد أولياء الأمور أن تسعد بناهم، فعليهم بالوصية لهن.. سواء كانت هذه الوصية من الآباء أو الأمهات فهي مطلوبة، ليسعد الزوجان..

ومن ذلك وصية عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لابنته فيقول:

«إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل، فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء، وأوصى ابن الأحوص ابنته زوج أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ فقال: «أي بنيتي، إنك تقدمين على نساء من نساء قريش، هن أقدر على الطيب منك، فاحفظي عني خصلتين: تكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح شن – أي قربة – أصابه مطر».

وأوصى أبو الأسود الدؤلي ابنته فقال: «إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة، وأزين الزينة: الكحل، وأطيب الطيب: إسباغ الوضوء.

مخالفات يجب الانتهاء عنها

١- الذهاب إلى الكوافير:

ولكن لماذا تذهب المرأة إلى الكوافير؟

سيقال لتتزين المرأة.. والدين الحنيف لا ينهى عن الزينة للزوج لكن إذا كانت خاصة به.. ولم يكن في هذه الزينة مغالاة، فلو كانت الزينة تصل إلى حد المغالاة، أفضت حينئذ إلى تغيير خلق الله، وهو من فعل الشيطان قال تعالى حكاية عن إبليس اللعين: ﴿**وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً**﴾ [النساء: ١١٩].

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الواشمة والمستوشمة، والنامصة والمتنمصة، والواصلة والمستوصلة، والمتفلجات للحسن، المغيرات لخلق الله»[١].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

والنامصة هى التي تزيل شعر الحاجبين لترفيعهما، أو تسويتهما، والمتنمصة هى التي تفعل لها ذلك، وقد استحقت كل منهما لعنة الله تعالى، فما بالك إذا كان الفاعل ذلك للمرأة رجلاً؟!

وقد أجاز بعض العلماء الحف.. يُقال: حفت المرأة وجهها أو زينته بإزالة شعره، فقد أخرج الطبراني عن امرأة أبي إسحاق أنها دخلت على عائشة - رضي الله عنها- وكانت شابة يعجبها الجمال، فقالت: المرأة تحف جبينها لزوجها، فقالت عائشة - رضي الله عنها - : «**أميطي عنك الأذى ما استطعت**» وينبغي على المرأة إذا نبتت لها لحية أو شارب أن تزيله، لئلا تتشبه بالرجال.

٢- وضع الأصباغ والمساحيق:

إن الأصباغ والمساحيق التي توضع على شفة المرأة حين تختلط بلعابها، وتدخل في جوفها، يفرزها الكبد سمومًا، فتضره ضررًا بالغًا، ولذلك قد لاحظ بعض الأطباء، أن ما يحدث من حالات تشنجات الحمل، وإجهاض لبعض النساء الحوامل أكثرهن من اللاتي يستعملن المساحيق.

٣- دهان الأظافر:

ويحرم على المرأة دهان الأظافر «**بالمونيكير**» الذي يكون حائلاً بين الأظافر، وبين الماء عند الوضوء أو الغسل، فيكون سببًا في بطلان الطهارة.

وقد أباح الرسول ﷺ للمرأة أن تزين أظافرها بالحناء، كما لا يجوز للمرأة أن تطيل أظافرها كما تفعل نساء العصر الحديث.. فقد قال ﷺ : «**خمس من الفطرة: حلق العانة، وقص الشارب، وقص الأظافر، ونتف الإبط، والختان**» وفي رواية: «**عشر من الفطرة**»[1]. وعدَّ منها: قص الأظافر.. ومعنى أنها من الفطرة، أي توافق العقل السليم الذي لم يتأثر بتقليد أو محاكاة، وإطالة الأظافر عودة إلى التشبيه بالحيوانات ذات المخالب والأظافر، كما أنها تحوى تحتها القاذورات، والإسلام دين النظافة، وإن قصدت فاعلته التشبه بالأجانب كانت الكراهة أشد، قال أنس بن

---

(١) رواه البخاري، وأحمد وغيرهما.

مالك ﷺ : «وقت لنا رسول الله ﷺ في قص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة ألا تترك أكثر من أربعين ليلة».

٤- قص شعر العروس:

وأما قص الشعر فليس على المرأة شيء أن تقص شعرها إذا رأت فيه جمالها، مع ملاحظة أن زينة المرأة لا ينبغي أن يطلع عليها سوى زوجها، فلا يجوز لأجنبي أن يطلع عليها.. لكن يحرم على المرأة حلق رأسها بحيث تكون أشبه بالرجال، لقول علي بن أبي طالب ﷺ : نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها. وذلك لأن في حلق المرأة رأسها تشبهًا بالرجال، فهو حرام لقول رسول الله ﷺ : **لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**»[١].

لكن يجوز للمرأة أن تحلق رأسها إذا دعت إلى ذلك ضرورة، كوجود مرض جلدي أو نحو ذلك..

٥- وضع العروس العطور:

ولا ينبغي للعروس وهي في طريق زفافها أن تضع شيئًا من العطور وهي في طريقها إلى بيت الزوجية، أو وهي تُزف إلى عريسها، لأن العطور من وسائل جذب انتباه الرجال، فعن أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت، فمرت على القوم ليجدوا ريحها، فهي كذا وكذا**...»[٢]. أي زانية.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب ينفع، ولذيلها إعصار، فقال: يا أمة الجبار! جئت من المسجد؟ قالت: نعم، قال: وله تطيبت؟، قالت: نعم، قال: إني سمعت حِبي أبا القاسم ﷺ يقول: «**لا تقبل صلاة لامرأة تطيبت لهذا المسجد، حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة**»[٣].

❁❁❁

---

(١) رواه البخاري، والترمذي وصححه، وابن حبان في الثقات (٨٩/٢).

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني برقم (٤١٧٣)، بإسناد حسن.

(٣) صحيح سنن أبي داود للألباني برقم (٤١٧٤) صحيح ورواه مسلم.

سلوكيات المرأة المسلمة

كأم

أفضل وظيفة للمرأة

إنَّ أفضل وأحسن وظيفة للمرأة أن تربي أولادها بنفسها، ولا تتركهم للخدم أو للشارع، أو لـيد غير يدها، وهذه أفضل مهمة لها من مهام بناء المجتمع الإسلامي ورسولنا محمد ﷺ قال:

«**المرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسئولة عن رعيتها**»(١).

والأم المثالية هي القادرة دون غيرها على تربية أبنائها تربية جسدية وعقلية ونفسية مستقيمة، فهي المدرسة التي سيتخرج فيها الولد...

وصدق الشاعر الحكيم حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها — أعددت شعبًا طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا — بالرِّيِّ أورق أيما إيراق

الأم أستاذ الأساتذة الأُلى — شغلت مآثرهم مدى الآفاق

فهي في تحمل المسئولية كالأب سواء بسواء، بل مسئوليتها أهم وأخطر، وهي التي تفي بحاجاتهم الوجدانية، التي لا يمكن إشباعها إلا في جو تحيطه بحنانها وعطفها..

يقول الشيخ محمد أحمد المقدم في عودة الحجاب:

لا تكاد تقف على عظيم ممن راضوا شمس الدهر، وذلت لهم نواصي الحادثات، إلا وهو ينزع بعرقه وخلقه إلى أم عظيمة، وكيف لا يكون ذلك والأم المسلمة قد اجتمع لها من وسائل التربية ما لم يجتمع لأخرى ممن سواها، مما جعلها أعرف خلق الله بتكوين الرجال، والتأثير فيهم، والنفاذ إلى قلوبهم، وتثبيت دعائم الخلق العظيم بين جوانحهم وفي مسارب دمائهم..

---

(١) رواه البخاري، وأحمد وغيرهما.

أمهات خرّجن عظماء

فالزبير بن العوام: قامت بأمره أمه صفية بنت عبد المطلب، فنشأ على طبعها وسجيتها.

والكملة العظماء عبد الله والمنذر وعروة أبناء الزبير ثمرات أمهم أسماء بنت أبي بكر الصديق، وما منهم إلا له الأثر الخالد والمقام المحمود.

وعليٌّ بن أبي طالب ﷺ تنقل في تربيته بين صدرين من أملأ صدور العالمين حكمة، وأحفلها بجلال الخلال، فكان مغداه على أمه فاطمة بنت أسد، ومراحه على خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ .

وعبد الله بن جعفر سيد أجواد العرب، وأنبل فتيانهم، تركه أبوه صغيرًا، فتعاهدته أمه أسماء بنت عميس، ولها من الفضل والنبل ما لها.

ومعاوية بن أبي سفيان أريب العرب وألمعيها، ورث عن هند بنت عتبة ما لم يرث عن أبي سفيان، وهى القائلة – وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها: إن عاش معاوية، ساد قومه: ثكلته إن لم يسد إلا قومه».

وكان معاوية إذا نوزع الفخر بالمقدرة، وجوذب بالمباهاة بالرأى، انتسب إلى أمه، فصدع أسماع خصمه بقوله: أنا ابن هند.

وأبو حفص عمر بن عبد العزيز، أروع الملوك، وأعدلهم وأجلهم، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهم – وليس لها ما تعتز به من نشب ونسب، إلا ما جرى على لسانها قول الصدق في نصيحتها لأمها، وهى التي نزعت به إلى خلائق جده الفاروق.

والأمير عبد الرحمن الناصر الذي ولى الأندلس، وهى ولاية تميد بالفتن، وتشرق بالدماء، فما لبث أن قرت له وسكنت لخشيته، ثم خرج في طليعة جنده، فافتتح سبعين حصنًا في غزوة واحدة، ثم أمعن بعد ذلك في قلب فرنسا، وتغلغل في أحشاء سويسرا، وضم أطراف إيطاليا، حتى ريض كل أولئك له، ورجف لبأسه.

وبعد أن كانت قرطبة دار إمارة، يذكر الخليفة العباسي على منابرها، وتمضي باسمه أحكامها، أصبحت مقر خلافة يحتكم إليها عواهل أوربة وملوكها، ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم وفلاسفتها.

أتدري ما سر هذه العظمة؟ إنها المرأة، فقد نشأ عبد الرحمن يتيمًا، قتل عمه أباه، فتفردت أمه بتربيته، وإيداع سر الكمال، وروح السمو في ذات نفسه، فكان من أمره ما علمت.

• وسفيان الثوري، وما أدراك ما سفيان الثوري؟ إنه فقيه العرب ومحدثهم، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنه أمير المؤمنين في الحديث، الذي قال فيه زائدة: الثوري سيد المسلمين. وقال الأوزاعي: لم يبق من تجمع عليه الأمة بالرضى إلا سفيان الثوري.

وما كان ذلك الإمام الجليل، والعلم الشامخ، إلا ثمرة أم صالحة، حفظ التاريخ لنا مآثرها وفضائلها ومكانتها، وإن كان ضن علينا باسمها.

وروى الإمام أحمد بسنده عن وكيع، قال: قالت أم سفيان لسفيان: يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي(١).

فكانت - رحمها الله - تعمل وتقدم له ليتفرغ للعلم، وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة قالت له ذات مرة، فيما يرويه الإمام أحمد أيضًا:

«يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك، ووقارك، فإن لم تر ذلك، فاعلم أنها تضرك، ولا تنفعك».

فهل ترى من غرابة بعد هذا، بعد أن نرى سفيان يتبوأ منصب الإمامة في الدين، كيف وهو قد ترعرع في كنف مثل هذه الأم الرحيمة، وتغذى بلبان تلك الأم الناصحة التقية؟.

▪ والإمام الثقة الثبت إمام أهل الشام وفقيههم: أبو عمرو الأوزاعي.

يقول فيه أبو إسحاق الفزاري: ما رأيت مثل رجلين: الأوزاعي والثوري، أما الأوزاعي، فكان رجل عامة، والثوري، كان رجل خاصة، ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت الأوزاعي، لأنه كان أكثر توسعًا، وكان والله إمامًا.

وقد أجمع العلماء على إمامة الأوزاعي وجلالته، وعلو مرتبته، وكمال فضله، وأقاويل السلف - رحمهم الله - كثيرة مشهورة مصرحة بورعه وزهده وعبادته، وقيامه بالحق، وكثرة حديثه، وغزارة فقهه، وشدة تمسكه بالسنة، وبراعته في

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي.

الفصاحة، وإجلال أئمة عصره من الأقطار له، واعترافهم بمرتبته.

ذلك الحبر البحر كان ثمرة أم عظيمة.

قال الإمام الذهبي:

قال الوليد بن مزيد البيروتي: ولد الأوزاعي ببعلبك، وربِّي يتيمًا فقيرًا في حجر أمه، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه في نفسه، ما سمعت منه كلمة فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ورأيته ضاحكًا يقهقهه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد، أقول: تُرى في المجلس قلب لم يبك؟!

وهذه أم ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك، أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار خلفها زوجها عندها، وخرج إلى الغزو، ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة والمشيخة، وكانت أمه قد اشترتهما له بمال الرجل، فأحمدَ الرجلُ صنيعها، وأربح تجارتها، في قصة ساقها ابن خلكان قال:

وكان فروخ أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية، وربيعة حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته (أم ربيعة) ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة هو راكب فرسًا، وفي يده رمح، فنزل، ودفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، وقال: يا عدو الله، أتهجم على منزلي؟

فقال فروخ: يا عدو الله، أنت دخلت على حرمي، فتواثبا حتى اجتمع الجيران، وبلغ ذلك مالك بن أنس، فأتوا يعينون ربيعة، وكثر الضجيج وكل منهما يقول: لا فارقتك.

فلما بصروا بمالك سكتوا. فقال مالك: أيها الشيخ، لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هذه داري، وأنا فروخ، فسمعت امرأته كلامه، فخرجت، وقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعًا وبكيا، ودخل فروخ المنزل، وقال: هذا ابني؟ قالت: نعم.

فقال: أخرجي المال الذي عندك. قالت – تعرضُ – : قد دفنته وأنا أخرجه، ثم خرج ربيعة إلى المسجد، وجلس في حلقته، فأتاه مالك بن أنس والحسن، وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به.

فقالت أمه لزوجها فروخ: اخرج فصلِّ في مسجد رسول الله ﷺ فخرج، فنظر

إلى حلقة وافرة، فأتاها، فوقف عليها، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه قلنسوة طويلة، فشك أبوه فيه.

فقال: من هذا الرجل؟ فقيل: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن.

فقال: لقد رفع الله ابني، ورجع إلى منزله..

وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحدًا من أهل العلم والفقه عليها.

قالت أمه: فأيما أحب إليك، ثلاثون ألف دينار، أو هذا الذي هو فيه؟

قال: لا والله، بل هذا.

فقالت: أنفقت المال كله عليه.

قال: والله ما ضيعتيه[1].

دور المرأة تجاه وليدها

الأخت الفاضلة ...

إن إسلامنا قد رسم لك الطريق تجاه وليدك من حين حمله حتى ولادته، ثم إرضاعه، ثم طفولته، حتى يصير شابًا قويًا، فرجلاً فتيًا..

١- مرحلة الحمل:

فإذا شعرت أن الله جلت قدرته قد منَّ عليك بنعمة الحمل، فاشكري الله تعالى على هذه النعمة، ولا عليك إن كان الحمل ذكرًا أو أنثى، فهذه قدرة الله – عز وجل – قال سبحانه: ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً** ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

وهو وحده سبحانه هو الذي يعلم هل هو ذكر أم أنثى قبل أن يكون نطفة مذرة، قال سبحانه: ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ** ﴾ [الرعد: ٨].

واعلمي أن هذه النطفة، أو هذا الحمل يمر بمراحل متعددة، ففي السنة المطهرة

(١) عودة الحجاب (٢/١٤١-١٤٥) بتصرف.

«إنَّ أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليك ملكًا بأربع كلمات، فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح...»(١).

وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية في سورة «المؤمنون» حيث قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

وروى مسلم عن أبي الطفيل قال: دخلت على أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري فقال: سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول:

«إنَّ النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة، ثم يتسور عليها الملك الذي يخلقها، فيقول: يا رب، أذكر أو أنثى؟ فيجعله الله ذكرًا أو أنثى، ثم يقول: يا رب، أسوى أو غير سوي؟ فيجعله الله سويًا أو غير سوى! ثم يقول: يا رب، ما رزقه؟ ما أجله؟ ما خلقه؟ ثم يجعله الله شقيًا أو سعيدًا»(٢)؟

وفي رواية أخرى لمسلم أصرح من هذه: «إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعين ليلة، بعث الله إليها ملكًا فصورها، وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها، ثم قال: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب، أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب، ما رزقه؟ فيقضي ربك ما يشاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص»(٣).

فسبحان من قال: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦]. هل صورك في الأشعة تحت الحمراء؟ هل صورك في الأشعة فوق البنفسجية؟ هل صورك في ضوء القمر أو ضوء الشمس؟ لا إذن في أي شيء صورك؟ في ظلمات الرحم.. سبحانك يا رب:

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، وأحمد (٣٦٢٤)، وابن ماجه (٧٦)، وصحيح سنن أبي داود (٤٧٠٨).

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

يا من يرى مد البعوض جناحه في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها في نحرها والمخ في تلك العظام النُّحل
ويرى ويسمع ما دونها في قاع بحر ذاخر متجندل

٢- مرحلة الولادة:

فإذا تمت مدتك – أي في الحمل – وهذه المدة غالبًا تكون تسعة أشهر، وقد تكون سبعة أشهر، وهي مستفادة من قول الله تعالى: ﴿ **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً** ﴾ [الأحقاف: ١٥]. وقيل: ستة أشهر.

واعلمي أن ملكًا موكلاً بالأرحام، يحفظ الخلية الملقحة، ويقوم على أمرها، ويكلؤها ويرعاها، ويدفع عنها المضار، ويتعهدها بالعناية والمتابعة، ويلزم لهذا الحارس الأمين، والوكيل الكفيل أن يعرف بعض الأشياء عن هذا الكائن، فيسأل الله تعالى، حيث يعلم أن الله تعالى هو الذي يعلم كل الدقائق والتفاصيل والجزئيات التي يكون عليها، فيأمره الله تعالى أن يذهب إلى أم الكتاب، ليعرف كل شيء عن هذا المخلوق الجديد...

فساعتها استعيني بالله أولاً وتوكلي عليه، ثم بطبيبة أو بقابلة حاذقة، فإن لم يتيسر طبيبة أنثى أو قابلة، فيجوز اللجوء إلى طبيب مسلم.

٣- مرحلة ما بعد الولادة:

فإذا وضعت طفلك فاحمدي الله واشكري نعمته على ما أنعم عليك سواء كان المولود ذكرًا أو أنثى، وينبغي أن يحمد الزوج ربه على ما رزقه، فلا يجزع إن كانت أنثى، لأن هذه من عادات أهل الجاهلية.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَداً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

وقد سجل الشعر العربي ذلك النشيد الحزين لأم هجرها زوجها حين ولدتَ له أنثى، وقرر أن يتزوج بامرأة أخرى من جيرانه:

مـــا لأبي حمـــزة لا يأتيـــنا — يظـــل في البيـــت الـــذي يلينا
غضـــبان ألا نلـــد البنيـــنا — تـــالله مـــا ذلـــك في أيديـــنا
ونحـــن كـــالأرض لزارعيـــنا — ننبـــت مـــا قـــد زرعـــوه فينا

سلوكيات إسلامية عقب الولادة

ينبغي الالتزام بما كان عليه نبينا ﷺ وأصحابه – رضوان الله عليهم – فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يفعل ما يأتي:

١- التأذين في أذن المولود اليمنى، والإقامة في اليسرى:

فعن عبيد الله بن أبي رافع قال: «**رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة – رضي الله عنها –**»[(١)]. وفي رواية: وأقام في أذنه اليسرى.

قال ابن القيم:

وسر التأذين – والله أعلم – : أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يُدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها.

وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه، وتأثيره به وإن لم يشعر، مع ما في ذلك من فائدة أخرى: وهي هروب الشيطان من كلمات الأذن، وهو كان يرصده حين يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أولَّ أوقات تعلقه به.

وفيه معنى آخر: وهو أن يكون أول دعوته إلى الله، وإلى دينه الإسلام، وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها، سابقة على تغيير الشيطان لها، ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي (١٥١٤) وقال: حسن صحيح، ورواه الحاكم (٣/١٧٩) وقال: صحيح الإسناد.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص٣٩) لابن القيم ط/ دار ابن رجب.

٢- تحنيك الطفل:

ففي الصحيحين من حديث أبي بردة، عن أبي موسى قال: ولد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليّ،، وكان أكبر ولد أبي موسى»[١].

قال الحافظ ابن حجر: التحنيك مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي، ودلك حنكه به يصنع ذلك بالصبي ليتمرن على الأكل ويقوى عليه، وينبغي عند التحنيك أن يفتح فاه حتى ينزل جوفه، وأولاه التمر، فإن لم يتيسر تمر فرطب، وإلا فشيء حلو، وعسل النحل أولى[٢].

٣- تسميته:

وقد اتفق العلماء على استحسان الأسماء المضافة إلى الله، كعبد الله، وعبد الرحمن وما أشبه ذلك، وقد أمر النبي ﷺ بعض أصحابه فقال: «**سم ابنك عبد الرحمن**»[٣].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «**إنّ أحب أسمائكم إلى الله - عز وجل -: عبد الله، وعبد الرحمن**»[٤].

ويكره التسمية بالأسماء القبيحة مثل: حرب، ومُرة، وعاصي، وشهاب، وأشباهها ولا يصح تسمية الأبناء بأسماء بشعة مثل: شكل، وفيشة، وخيشة، وزنقر، وشحات ونحوها.

ولا يسمى الرجل ابنته مسعدة، ومرزوقة، وكرنبة، وخدوجة، وزنوبة، وسمسمة، وبهانة، ونحو ذلك من الأسماء التي لا نستريح لسماعها.

والأفضل ألا نسمي أولادنا بأسماء الفرنجة، ولا بالأسماء التي تدل على التدليل لأصحابها مثل: توتو، وشوشو، وسوسو، وسالي، ودينا، وغير ذلك..

والتسمية حق للأب لا للأم عند جمهور العلماء بلا نزاع، فإن تنازعا في تسمية

---

(١) رواه البخاري (٥٤٦٧)، ومسلم (٢١٤٥).

(٢) فتح الباري (٩/٥٠١).

(٣) صحيح سنن أبي داود، ورواه البخاري (٦١٨٦)، ومسلم (٢١٣٣).

(٤) رواه مسلم (٢١٣٢) وغيره.

الولد كان الحكم له، والقول قوله، لأنه ينسب إليه، قال تعالى: ﴿ **ادْعُوَهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ** ﴾ [الأحزاب: ٥]. ويوم القيامة يُنادي الناس بأسمائهم، وأسماء آبائهم، كما جاء في بعض الروايات، لكنها معلولة.

ولقد شاع بين الجهلة من النساء أن المرأة لو سمت ولدها اسمًا قبيحًا، فإنه يعيش ولا يُصاب بالعين، وهذه أكذوبة لا أساس لها من الصحة.

٤- حلق شعر الرأس والتصدق بوزنه:

ذهبًا أو فضة حسب ما تيسر، فعن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه، ويحلق رأسه**»(١).

وعن بريدة الأسلمي قال: كنا في الجاهلية، إذا ولد لأحدنا غلام ذبح شاة.

ولطخ رأسه بدمها، فلما جاء الله بالإسلام، كنا نذبح شاة، ونحلق رأسه، ونلطخه بزعفران»(٢).

٥- العقيقة عنه:

ولها أحكام تتعلق بها:

١- **حكمها**: مستحبة، وهي من سنة رسول الله ﷺ ، لقوله ﷺ : «**مع الغلام عقيقة، فأريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى**»(٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «**عن الغلام شاتان، مكافئتان، وعن الجارية شاة**»(٤).

وفي لفظ: أمرنا رسول الله ﷺ أن نعق عن الجارية شاة، وعن الغلام شاتين.

وقد ثبت أن النبي ﷺ كما روى عنه ابن عباس - رضي الله عنهما - عق عن الحسن والحسين كبشًا كبشًا(٥).

٢- **وقتها**: قال الميموني: قلت لأبي عبد الله: متى يُعق عنه؟

---

(١) صحيح سنن أبي داود برقم (٢٨٣٧).
(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني برقم (٢٨٤٣) وقال بعده: حسن صحيح.
(٣) صحيح سنن أبي داود للألباني برقم (٢٨٣٩).
(٤) المرجع السابق برقم (٢٨٣٤).
(٥) المرجع السابق برقم (٢٨٤١).

قال: أما عائشة - رضي الله عنها - فتقول: سبعة أيام، وأربعة عشر، وأحد وعشرين.

والحجة في ذلك سمرة المتقدم.

٣- فوائدها: يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-(١):

ومن فوائدها: أنها قربان يتقرب به عن المولود في أول أوقات خروجه إلى الدنيا، والمولود ينتفع بذلك غاية الانتفاع، كما ينتفع بالدعاء له، وإحضاره مواضع النسك، والإحرام عنه، وغير ذلك.

ومن فوائدها: أنها تفك رهان المولود، فإنه مرهن بعقيقته.

قال الإمام أحمد: مرهن عن الشفاعة لوالديه..

ومن فوائدها: أنها فدية يفدى بها المولود، كما فدى الله سبحانه، إسماعيل الذبيح - عليه السلام - بالكبش...

ويستحب في العقيقة ما يستحب في الأضحية من الصدقة، وتفريق اللحم، لأن فيها معنى القربان والشكر، والفداء والصدقة، وإطعام الطعام عند حوادث السرور العظام، شكرًا لله، وإظهارًا لنعمته التي هي غاية المقصود من النكاح، فإذا شرع الإطعام للنكاح الذي هو وسيلة إلى خروج هذه النسمة، فلأن يشرع عند الغاية المطلوبة أولى وأحرى(٢).

٦- الختان :

ويسمى في حق الأنثى الخفض، وفي حق الذكر ختان، ولذلك يقال: ختنت الغلام ختنًا، وخفضت الجارية خفضًا.

والجلدة التي تقطع تسمى قلفة.

وأول من اختتن إبراهيم - عليه السلام -، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**اختتن إبراهيم - عليه السلام - وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم**»(٣). قال البخاري: القدوم مخففة، وهو اسم موضع. وقيل: هو اسم

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص٩٣، ٩٤) لابن القيم - دار ابن رجب.

(٢) المرجع السابق (ص٩٤) بتصرف.

(٣) رواه البخاري (٣٣٥٦)، ومسلم (٢٣٧٠).

للآلة المعروفة وعن موسى بن علي قال: سمعت أبي يقول: إنّ إبراهيم خليل الرحمن، أمر أن يختتن وهو ابن ثمانين سنة، فعجل، فاختتن بقدوم، فاشتد عليه الوجع، فدعا ربه، فأوحى الله إليه، إنك عجلت قبل أن نأمرك بالآلة. قال: يا رب، كرهت أن أؤخر أمرك، قال: وختن إسماعيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وختن إسحاق وهو ابن سبعة أيام»[١].

وقد صار الختان بعد ذلك من سنن الفطرة، قال ﷺ: «**الفطرة خمس: الختان والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط**»[٢].

فقد جعله ﷺ (الختان) رأس خصال الفطرة، وإنما كانت هذه الخصال من الفطرة، هي الحنيفية ملة إبراهيم - عليه السلام -، وهذه الخصال أمر بها إبراهيم، وهي من الكلمات التي ابتلاه ربه بهن، كما ذكر عبد الرزاق.

قال ابن القيم: والفطرة فطرتان: فطرة تتعلق بالقلب، وهي معرفة الله ومحبته وإيثاره على ماسواه، وفطرة عملية، وهي هذه الخصال.

فالأولى: تزكي الروح، وتطهر القلب.

والثانية: تطهر البدن، وكل منهما تمد الأخرى وتقويها[٣].

حكم الختان ووقته:

اختلف الفقهاء في ذلك فمنهم من قال بالوجوب وهم:

الشعبي، والأوزاعي، وربيعة، ويحيى بن سعيد، ومالك والشافعي وأحمد ومنهم من قال: بأنه سنة وهم أبو حنيفة والحسن البصري ومن تبعهم.

قال ابن القيم:

وعندي: أنه يجب على الولي أن يختن الصبي قبل البلوغ، بحيث يبلغ مختونًا، فإن ذلك مما لا يتم الواجب إلا به.

---

(١) رواه البيهقي بإسناد رجاله ثقات (٨/٣٢٦)، وعزاه الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/٤٤٩) إلى أبي يعلى.

(٢) رواه البخاري (٥٨٨٩)، في اللباس ومسلم (٢٥٧) في الطهارة وغيرهما.

(٣) تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم (ص٢٠٨) ط/ دار ابن رجب.

وقال بعض العلماء: إن وقته عند البلوغ، لأنه وقت وجوب العبادات عليه، ولا يجب قبل ذلك واستدلوا بحديث البخاري.

عن سعيد بن جبير قال: سئل ابن عباس - رضي الله عنهما - مِثْلُ مَنْ أنت حين قبض رسول الله ﷺ؟

قال: «أنا يومئذ مختون، وكانوا يختنون الرجل حتى يدرك» وكان سنه آنذك ابن خمس عشرة سنة.

وقال الليث بن سعد: الختان للغلام: ما بين السبع سنين إلى العشر.

وروى عن أبي جعفر: أن فاطمة كانت تختتن ولدها يوم السابع، والأقوال في ذلك كثيرة. والأصح أنه ليس لوقت الختان خبر يرجع إليه، ولا سنة تستعمل، فالأشياء على الإباحة ولا يجوز حظر شيء منها إلا بحجة، ولا حجة لهذه الأقوال جميعها[1].

•• حكمة الختان وفوائده:

قال ابن القيم:

الختان من محاسن الشرائع التي شرعها الله سبحانه لعباده، وكمل بها محاسنهم الظاهرة والباطنة، فهو مكمل للفطرة التي فطرهم الله عليها، وأصل مشروعية الختان لتكميل الحنيفية، فإن الله - عز وجل - لما عاهد إبراهيم، وعده أن يجعله للناس إمامًا، ووعده أن يكون أبًا لشعوب كثيرة، وأن يكون الأنبياء والملوك من صلبه..

فالختان علم للدخول في ملة إبراهيم، وهذا موافق لتأويل من تأول قوله تعالى: ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٨]. على الختان.

فالختان للحنفاء بمنزلة الصبغ والتعميد لعباد الصليب، فهم يطهرون أولادهم بزعمهم حين يصبغوهم في ماء المعمودية، ويقولون: الآن صار نصرانيًا، فشرع الله للحنفاء صبغة الحنيفية، وجعل ميسمها الختان، فقال: ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً** ﴾ [البقرة: ١٣٨].

---

(١) المرجع السابق.

قال مجاهد: صبغة الله، فطرة الله. وقال غيره: دين الله.

هذا مع ما في الختان من الطهارة والنظافة، والتزيين، وتحسين الخلقة، وتعديل الشهوة التي إذا أفرطت، ألحقت الإنسان بالحيوانات، وإن عدمت بالكلية ألحقته بالجمادات، فالختان يعدلها، ولهذا تجد الأقلف من الرجال، والقلفاء من النساء لا تشبع من الجماع(١).

فعن أم عطية الأنصارية، أن امرأة كانت تختن بالمدينة، فقال لها النبي ﷺ : «**لا تنهكي، فإن ذلك أحظى للمرأة، وأحب إلى البعل**»(٢).

ومعناه: لا تستأصلي جلدة الختان فتضعف شهوتها، ولا تتركيها فتزيد غلمتها، فإذا أخذت منها شيئًا يسيرًا كان فيه تعديل للخلقة والشهوة.

وقد ذكر في حكمة خفض النساء:

أن سارة لما وهبت هاجر لإبراهيم، أصابها، فحملت منه، فغارت سارة، فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء، فخاف إبراهيم أن تجدع أنفها، وتقطع أذنها، فأمرها بثقب أذنيها وختانها، وصار ذلك سنة في النساء بعد.

قال السهيلي: فكانت أول من اختتن من النساء، وأول من ثقبت أذنها منهن، أول من طولت ذيلها.

قال ﷺ : «**الختان سنة للرجال مكرمة للنساء**»(٣).

٧- أرضعي طفلك من ثدييك:

والرضاع مدته بالتمام عامان، قال تعالى: ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ** ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

والطفل لا يتغذى من ثدي أمه لبنًا فقط، إنما يتغذى من صدرها عطفًا وحنانًا، بدليل أن الطفل إذا بكى وحملته سيدة غير أمه ازداد في البكاء، وإذا حملته أمه خشع لها وخضع، وكف عن البكاء، فلو سألتيه: هل ميزت كيف ميزت؟ بين أمك وغيرها؟ سيقول لك بلسان حاله: نعم، لأن الله علمني دقات قلب أمي.

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص٢٣٣، ٢٣٤) بتصرف.

(٢) صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٥٢٧١)، والصحيحة برقم (٧٢١).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٠٥٩٧) بإسناد حسنه حمزة الزين في المسند (١٥/٢٩٩).

سلوكيات المرأة المسلمة

نحو

أبنائها

سلوكيات المرأة المسلمة
تجاه أبنائها

أختي المسلمة ...

ذكرت لك أختي المسلمة أن الأم المثالية: هى القادرة على تربية أبنائها تربية دينية وعقلية وسلوكية، لكن الأبناء يمرون بمراحل متعددة بعد مرحلة الفطام منها:

مرحلة الطفولة:

وقد اعتنى الإسلام أيضًا بهذه المرحلة، واهتم بها اهتمامًا كبيرًا، لأن الطفل في هذه المرحلة يكون بين يدي مربيه كالقطعة من العجين بين يدي صانعها يصورها كيف يشاء، ولذا قال الشاعر العربي:

قد ينفع الأدب الأطفال في صغر وليس ينفع عند الشيبة الأدب

إنّ الغصون إذا قومتها اعتدلت ولـــن تلين إذا قومتها الخشب

وهذا معلم الإنسانية رسولنا محمد ﷺ يوجهنا لتربية النشء تربية صحيحة فيقول:

«**مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع**»[1]. وهذا كلام من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى ولهذا كان القرآن الكريم يوضح هذا مجملاً فيقول سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في معنى هذا النداء المبارك:

«اعملوا بطاعة، واتقوا معاصي الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر، واجتناب

(١) رواه أحمد في مسنده (٦٦٨٩) بإسناد صحيح (٦/٢٤٣)، وأبو داود (٤٩٥)، والحاكم.

النواهي، فذلك وقاية لكم ولهم من النار»[1].

وهذا صلاح الدين الأيوبي يشجع على تعليم الصغار، وتربيتهم تربية إسلامية فبينما هو في خضم المعركة، يتجول في المعسكر، يجتاز على صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن الكريم، فاستحسن صوته وقراءته، فقربه إليه، وجعل له حظًّا من خاص طعامه، ووقف عليه وعلى أبيه جزء من مزرعته.

أختي المسلمة ...

والسلوكيات التي ينبغي للمرأة المسلمة تجاه أبنائها على النحو التالي:

١- سلوكيات إيمانية.

٢- سلوكيات خلقية.

٣- سلوكيات جسمانية.

أولا: سلوكيات إيمانية:

ونعني بالسلوكيات الإيمانية: تدريبه على العبادات البدنية كالصلاة والصوم والمالية، كالصدقة والزكاة وغير ذلك..

فنأمر بالصلاة ونعودهم عليها، كما أمرنا الرسول ﷺ في الحديث السابق وقبل الصلاة نلقنهم كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» وأن ينطقوا بالشهادتين «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**».

قال الإمام الغزالي – رحمه الله –:

والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عُود الخير وعُلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عُوِّد الشر، وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك؛ وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق...

اغرسي في قلبه حب الصلاة، فقد كان السلف يفعلون ذلك...

فعن الربيع بنت معوذ – رضي الله عنها – قالت: أرسل رسول الله ﷺ غداة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: «**من كان أصبح صائمًا فليتم صومه،**

---

(١) تفسير ابن كثير.

ومن كان مفطرًا، فليتم بقية يومه»[1] فكنا بعد ذلك نصومه، ونصومه صبياننا الصغار، ونذهب إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة من العهن – أي الصوف – فإذا بكى أحدهم من الطعام – أي جوعًا – أعطيناها إياه، حتى يكون عند الإفطار.

علميهم الخوف من الله - عز وجل -:

فعن سهل به عبد الله التستري –رحمه الله– قال: كنت وأنا صبي ابن ثلاث سنين أقوم في الليل، فأنظر صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يومًا: يا غلام ألا تذكر الله الذي خلقك؟

فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك: الله شاهد عليَّ، الله ناظر إليَّ، الله معي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت وأعلمته، فزادني إلى إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة، وقال لي خالي: احفظ ما علمتك، وداوم عليه، ثم قال لي: يا سهل، من كان الله معه، وشاهد عليه، وناظر إليه، هل يعصيه؟ فقلت: لا.

قال: إياك والمعصية.

قال سهل: ثم بلغت ست سنين، فحفظت القرآن الكريم كله، وكنت أصوم الكثير من الأيام .

أختي المسلمة ...

لو تأملت هذه القصة، فإنك تلاحظين فيها معالم متعددة لابد منها في ميادين السلوك والتربية والتعليم للصغار والناشئة، من هذه الأمور:

١- إثارة كوامن الطفل، وحفزه إلى الاهتمام بما يلقى إليه، ويظهر ذلك في قوله: (ألا تذكر الله الذي خلقك؟!) وجوابه: (كيف أذكره؟).

٢- التدرج في تكليف الطفل، فيبدأ معه بالقليل اليسير، ثم بأزيد منه، مع رصد النتائج وردود الفعل.

٣- الاهتمام والتركيز على غرس الوازع الديني في نفوس الناشئة، ليظل هذا معهم أينما كانوا، فلا تزال ضمائرهم حية، ونفوسهم عامرة بمراقبة الله تعالى، الذي

---

(١) رواه أبو داود، وغيره وإسناده صحيح.

يراهم ويبصرهم، وإن نامت عنهم أعين الرقباء من الناس.

٤- استثمار الحصيلة المعرفية والوجدانية لخدمة السلوك التطبيقي وتحقيقه.

٥- تحمل المربي، وصبره، وأناته في ملاحظة الطفل ومتابعته، ولو في أمر بسيط ويسير بحسب الظاهر، لكنه جليل الأثر في تكوين الطفل.

ثانيًا- السلوك الخلقي:

وأقصد بالسلوك الخلقي أو الأخلاقي: تربية الطفل على الأخلاق الكريمة، والفضائل العظيمة.

فترشد الأم أبنائها وبناتها إلى الصدق وتنهاهم عن الكذب، فبَين لهم أن الصدق سبب الخيرات، ومفتاح البركات، ونجاة من المهلكات .. تبين له أن الصدق زينة في الرخاء، وعدة في الضراء، وجالب للثناء.

تبين لهم أن في الصدق رضا الرحمن، وبركة الأعمار، والفوز بالجنات..

ترشدهم أن الرسول ﷺ أوصانا بالصدق، وحذرنا من الكذب... قال ﷺ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»(١).

الأم مسئولة عن تعويد الأولاد منذ الصغر الصدق، والأمانة، والاستقامة وتعويدهم الإيثار، وإغاثة اللهفان، واحترام الكبير، وإكرام الضيف..

الأم مسئولة عن تنزيه ألسنة أطفالها عن الكذب والسب والشتم، وكل كلام قبيح، وكل ما ينبىء عن فساد الأخلاق.

الأم مسئولة عن تعويد أبنائها على كل المشاعر النبيلة، كالإحسان إلى اليتامى، والعطف على المساكين، والبر بالفقراء والضعفاء...

قال أعرابي لابنه الكذاب:

يا بني، عجبت من الكذاب المشيد بكذبه، وإنما يدل على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربه.

---

(١) رواه البخاري، وأحمد وغيرهما.

فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة.
إن قال حقًّا لم يصدق، وإن أراد خيرًا لم يوفق.
فهو الجاني على نفسه بفعاله، والدال على فضيحته بمقاله.
فما صح من صدقه نسب إلى غيره، وما صح من كذب غيره نسب إليه.

ولهذا نرى المربي الأول، سيد الأولين والآخرين ﷺ يحذر الأولياء والمربين من الكذب أمام أطفالهم، ولو بقصد الإلهاء أو الترغيب أو الممازحة، حتى لا تكتب عليهم عند الله كذبة..

فعن عبد الله بن عامر ﷺ قال: دعتني أمي يومًا، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطك.

فقال لها رسول الله ﷺ : «**ما أردت أن تعطيه؟** قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله: **أما إنك لو لم تعطه شيئًا لكتبت عليك كذبة**»[1].

علمي أبناءك صدق الوعد، والوفاء به:

قال تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٤]. ووصف ربنا جل في علاه أحد أنبيائه بأنه صادق الوعد، فقال سبحانه: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياًّ** ﴾ [مريم: ٥٤]. كيف كان صادق الوعد؟ روى أن إسماعيل - عليه السلام - وعد رجلاً مكانًا يأتيه فيه، فجاء نبي الله إسماعيل - عليه السلام - في الوقت المحدد، والمكان الموعود به، لكن الرجل قد نسي الموعد.. فظل إسماعيل - عليه السلام - في مكانه، وبات حتى جاء الرجل من الغد..

قال الرجل: ما برحت من ههنا؟

قال إسماعيل - عليه السلام -: لا.

قال الرجل: إني نسيت!

قال إسماعيل - عليه السلام -: لم أكن لأبرح حتى تأتيني، فلذلك كان صادق الوعد.

وقد حرص صحابة نبينا محمد ﷺ على الوفاء بالوعد.. فهذا هو عبد الله بن عمر

---

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني.

ابن الخطاب - رضي الله عنهما - كان قد وعد رجلاً من قريش أن يزوجه ابنته، فلما كان عند موته، أرسل إليه فزوجه إياها، وقال: كرهت أن ألقى الله تعالى بثلث النفاق - يقصد حديث النبي ﷺ : «**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»(١).

علمي الأبناء أن صدق الوعد، والوفاء به محبوب عند الله، بخلاف خلف الوعد فإنه مذموم، وصاحبه منبوذ.

علمي أبناءك الصغار حسن الخلق، فعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أثقل شيء في الميزان: الخلق الحسن**»(٢).

والخلق الحسن تارة يكون مع الله تعالى، ويكون بأداء الصلوات الخمس، وصوم رمضان، وأداء الزكاة، ويكون كذلك بتلاوة كتابه، وذكره وتسبيحه وتهليله وتكبيره، ويكون بطاعة أمره، واجتناب نهيه..

ويكون كذلك بشكره والاعتراف بفضله، والإخلاص له في الصغيرة والكبيرة وتارة يكون حسن الخلق مع رسولنا محمد ﷺ ، ويكون ذلك بالصلاة والتسليم عليه، ويكون بطاعة أوامره، والبعد عما حذرنا منه.

وتارة يكون مع الوالدين، ويكون بالإحسان إليهما، وإلانة القول لهما، ولا يدعو أحدًا منهما باسمه، ولا يتكلم قبلهما، ويكون بالدعاء لهما، وإكرام صديقهما، وبصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

وتارة يكون بحسن الخلق مع الجيران: ويكون بالتعاون معهم على البر والتقوى ويكون بالمساعدة عند الاحتياج إليها، وإظهار الفرح والسرور عند حصول الخير لهما، والحزن والأسى عند حلول الأذى والمصائب.

علمي أبناءك كيفية الخطاب مع الآخرين:

علميهم حسن الخطاب مع من هم أكبر منهم.. قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك، فقدمت القبائل إلى هشام، ودخلوا عليه، وفيهم «دراوس بن حبيب»

---

(١) رواه البخاري، ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٣٤).

وعمره أربع عشرة سنة، فأحجم القوم، وهابوا هشامًا، ووقعت عين هشام على «دراوس» فاستصغره، فقال لحاجبه:

ما يشاء أحد أن يصل إليّ إلا وصل، حتى الصبيان؟!

فعلم الغلام «دراوس» أنه يريده، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ دخولي لم يخل بك شيئًا، ولقد شرفني، وإنّ هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه، وإن الكلام نشر، والسكوت عنه طي، ولا يعرف الكلام إلا بنشره.

فقال هشام: فانشر لا أبالك! وأعجبه كلامه، فقال: يا أمير المؤمنين، أصابتنا ثلاث سنين، فسنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة نقت العظم، وفي أيدكم فضول أموال، إن كانت لله ففرقوها على عباد الله، المستحقين لها، وإن كانت لعباد الله فعلام تحبسونها عنهم؟

وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين، واعلم يا أمير المؤمنين، أنّ الوالي من الرعية كالروح من الجسد، لا حياة للجسد إلا به.

فقال هشام: ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذرًا، وأمر أن يقسم في باديته مائة ألف درهم، وأمر لـــ «دراوس» بمائة ألف درهم.

فقال: يا أمير المؤمنين، اردها على أهل باديتي، فإني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم.

فقال هشام: فمالك من حاجة تذكرها لنفسك؟

قال الغلام: ما لي من حاجة دون عامة المسلمين.

ثالثًا: سلوكيات جسمانية:

وتعني عدة أمور:

١- النفقة: وهي مسئولية الأب وحده في أغلب الأحوال.

قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقال ﷺ : «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك.. أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**»[١].

---

(١) رواه مسلم.

لكن ينبغي على الأم أن تختار لأبنائها الطعام الذي يبني أجسادهم ويكون محببًا إليهم.. وعليها أن تنظم لهم أوقات الطعام والشراب.

٢- مراعاة القواعد الصحية في المأكل والمشرب والنوم:

فعلى المرأة المسلمة المتمسكة بدينها، وسنة حبيبها محمد ﷺ أن تعلم أولادها آداب الطعام، وآداب الشراب:

ومن هذه الآداب على سبيل الإجمال:

١- التسمية في أوله، وحمد الله في آخره.

٢- الاقتصاد في الطعام والشراب قال ﷺ: «**ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»[١].

٣- عدم النفخ في الطعام أو الشراب، فقد نهى النبي ﷺ عن النفخ في الطعام والشراب كما رواه الترمذي وغيره.

٤- عدم الأكل مضطجعًا، وعدم الشرب قائمًا لقوله ﷺ: «**لا يشربن أحدكم قائمًا**»[٢].

٥- أن يشرب على مرتين أو ثلاث، فإنه أهنأ وأمرئ، وأروى للعطش فقد كان من هديه ﷺ أن يتنفس خارج الإناء.

٦- الأكل باليمين، قال ﷺ: «**لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل بالشمال**»[٣] إلا لعذر، وليس من العذر الاعتياد.. جاء في صحيح مسلم: أن رجلا عند النبي ﷺ كان يأكل بشماله، فقال له: «**كل بيمينك**».

قال: لا أستطيع، قال: «**لا استطعت**» ما منعه إلا الكبر، فما رفعها إلى فيه[٤].

٧- أن يأكلوا من أمامهم، ومما يليهم من الطعام: فعن عمر بن أبي سلمة قال:

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧١٢٠)، والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٦٧٤) والصحيحة برقم (٢٢٦٥).

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم .

كنت غلامًا في حجر النبي ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي: «**يا غلام، سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك**».

٨- ألا يعيبوا طعامًا: فقد علمنا أستاذ البشرية ﷺ حسن الأدب في ذلك، فقال: أبو هريرة ﷺ : «**ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه**»(١).

٩- غسل اليدين بعد الأكل:

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من بات وفي يده غمر** - أي ريح دسم الطعام- **ولم يغسله، فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه**»(٢).

ففي الحديث دليل على استحباب غسل اليدين بعد الأكل.

١٠- شكر الله تعالى على الطعام أو الشراب:

وقد ورد في ذلك صيغ متعددة منها:

«**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**»(٣).

«**الحمد الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة**»(٤).

«**الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور**»(٥).

علمي أبناءك آداب النوم ومنها:

النوم على الجانب الأيمن، لأن النوم على الجانب الأيسر يضر بالقلب، ويعوق التنفس، قال ﷺ : «**إذا أتيت مضجعك، فتوضأ للصلاة** - أي مثل وضوء الصلاة - **ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ورسولك الذي أرسلت واجعلهن آخر ما تقول**»(٦).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي، وابن ماجه وأبو داود والبيهقي.

(٣) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي بإسناد صحيح.

(٤) رواه أحمد، وابن ماجه، والترمذي.

(٥) رواه البخاري، وأحمد.

(٦) رواه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب.

علميهم أذكار الاستيقاظ:

«الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[١].

تشجيع الأبناء على ممارسة الرياضة:

تحقيقًا لقول الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وتنفيذًا لأمره ﷺ في الحديث: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[٢]. وللحكمة القائلة: العقل السليم في الجسم السليم.

❁❁❁

---

(١) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٦٥٠).

سلوكيات المرأة المسلمة

مع

أقاربها وصلة رحمها

صلة الرحم

أختي المسلمة ...

وقبل أن نتعرف على ما يجب أن تسلكه المرأة المسلمة نحو أقاربها، وصلة الرحم، هيا بنا لنتعرف أولاً على:

معنى الرحم:

والرحم: هى القرابة من جهة الأب أو الأم.

وتوسع العلماء في مفهوم الرحم، فقالوا: إنَّ أفراد القبيلة إن عاشوا وسط قبيلة أخرى فهم رحم حتى يعودوا إلى ديارهم.

وأهل البلد إن عاشوا في بلد غير عربي فهم رحم، والمسلمون في غير بلاء المسلمين رحم حتى يعود لبلادهم وأهل البلد إن عاشوا في بلد أخرى فهم رحم حتى يعودوا إلى بلدهم.

فيجب عليهم أن يتراحموا، وأن يتواصلوا، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يحنو بعضهم على بعض..

أختي المسلمة ...

لكن معلوم أن الشارع الحكيم لم يرد صلة كل ذي رحم وقرابة، إذ لو كان ذلك لوجب صلة جميع بني آدم...

حكم صلة الرحم:

قال السفاريني في غذاء الألباب[1]:

صلة الرحم واجبة صرح بذلك الحجاوي في شرح الآداب وفي المستوعب: وعلى المؤمن أن يستغفر الله لوالديه وللمؤمنين، وأن يصل رحمه، وعليه موالاة المؤمنين والنصيحة.. وقطيعة الرحم من الكبائر.

وقال الشيخ البلباني في آدابه: اعلم أنه يجب عليك أن تصل بقية رحمك وهم

---

(١) غذاء الألباب (١/٣٥٢).

كل قرابة لك من النسب، فصلتهم فرض عين عليك، وقطيعتهم محرمة عليك تحريمًا مؤكدًا، فهى من أكبر الكبائر عند الله تعالى، وقد قرن الله سبحانه الأرحام باسمه الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء: ١]. وذلك تنبيه عظيم على أن صلتها بمكان منه سبحانه ومقرب إليه وقطعها خطر عظيم عنده، ومبعد سبحانه.

معنى الصلة ومعنى القطيعة:

وصلة الرحم: موالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم، وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم، والاجتهاد في إيصالهم كفايتهم بطيب نفس عند فقرهم وقوته وضعفهم، ومداومة مودتهم ونصحهم في كل شئونهم، والبداءة بهم في الدعوة والضيافة قبل غيرهم، وإيثارهم في الإحسان والصدقة والهدية، على من سواهم، لأن الصدقة عليهم صدقة وصلة...

وفي الفتح قال القرطبي: الرحم التي توصل عامة وخاصة، فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتواد والتناصح والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة.

وأما الرحم الخاصة، فتزيد النفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك كما في الحديث: «.. **الأقرب فالأقرب**» وقال ابن أبي حمزة:

تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه وبالدعاء.

والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفارًا أو فجارًا فمقاطعتهم في الله هى صلتهم بشرط بذل الجهد في وعظهم[1].

والقطيعة تكون: بترك الإحسان، والإساءة إليهم.

---

(١) المرجع السابق (١/٣٥٦).

فضل صلة الرحم

أختي المسلمة ...

وقد حثنا القرآن الكريم على صلة الرحم، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ** ﴾ [الرعد: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ** ﴾ [الإسراء: ٢٦].

وفي السنة المطهرة حث على صلة الأرحام...

فعندما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة كان أول بيان أذاعه على سمع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار قال فيه:

«**أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا ركعات بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(١).

الله أكبر.. إنها كلمات أربع فيها عز الدنيا والآخرة.. كلمات قليلة لكنها تحتوى على الخير الكثير.. تحتوى على دستور وقانون ينظم العلاقة بين أفراد المجتمع الجديد..

إنها أربع شعب من شعب الإيمان فيهم خيرات عظيمة لمن تمسك بها.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن يُبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**»(٢).

وتأملي أختي المسلمة ...

قوله: «**من سره**» ترغيب لك في صلة الأرحام، وتبشير بثواب الله على ذلك في الدنيا، بالبركة في الرزق والعمر، وثواب الله في الآخرة، وهو خير وأبقى. لكن لعلك تتساءلين: هل هذا الحديث يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٤]. لأن الأجل معلوم، والرزق محدود عند الله – عز وجل –؟

والجواب: أن هذا الحديث لا يتعارض مع الآية الكريمة، والجمع بينهما من وجهين:

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث صحيح ورواه ابن ماجه والدارمي.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد.

الأول: أنَّ هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك.

الثاني: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، أما الآية فقد دلت على ما في علم الله تعالى، كأن يقال للملك: إن عمر فلانة مائة سنة مثلاً إن وصلت رحمها، وستون إن لم تصل رحمها، وقد سبق في علم الله أنها تكون واصلة للرحم أو غير واصلة لها.

فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يجوز فيه الزيادة والوجه الأول أظهر(١)..

صلة الرحم من علامات الإيمان:

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»(٢).

فقد علق الرسول ﷺ الإيمان بالله واليوم الآخر على فعل هذه الأمور:

«**إكرام الضيف، وصلة الرحم، وقول الخير، والإحسان إلى الجيران**» كما ورد..

صلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله:

فعن رجل من خثعم قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟

قال: «**نعم**» قال: قلت:يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟

قال: «**الإيمان بالله**» قلت: يا رسول الله، ثم مه؟

قال: «**ثم صلة الرحم**» قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أبغض إلى الله؟

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/٤٣٠).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

قال: «**الإشراك بالله**» قلت: ثم مه؟ قال: «**ثم قطيعة الرحم**»[١].

فقد وضح الرسول ﷺ للرجل وأجابه بأن صلة الرحم من أفضل الأعمال إلى الله وأحبها إليه، وعلى العكس من ذلك فأبغض الأعمال بعد الشرك بالله، هي قطيعة الرحم..

صلة الرحم تقرب من الجنة :

ففي البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن أعرابيًّا عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها ثم قال: يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار.

قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه، ثم قال:

«**لقد وفق**» أو «**لقد هُدى**».

قال: **كيف قلت**: ؟ قال: فأعادها، فقال النبي ﷺ : «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم. دع الناقة**».

وفي رواية: «**وتصل ذا رحمك**»، فلما أدبر قال: **إن تمسك بما أمرته دخل الجنة**»[٢].

• من وصلت الرحم وصلها الله:

فعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله...**»[٣].

قال ابن أبي جمرة: الوصل من الله تعالى كناية عن عظيم إحسانه، وإنما خاطب الناس بما يفهمون، ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه، الوصال، وهو القرب منه وإسعافه بما يريد، ومساعدته على ما يرضيه، وكانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى، عُرف أن ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده[٤]..

وفي رواية من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**الرحم شجنة من**

---

(١) أخرجه أبو يعلى بإسناد جيد.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) فتح الباري (١٠/٤٣١).

الرحمن، تقول: يا رب، إني قطعت، يا رب، إني أسيئ إلىَّ، يا رب إني ظلمت، يا رب، يا رب، فيجيبها: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك»(١).

صلي رحمك وإن قاطعوك:

فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله، إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليَّ، فقال: «**إنْ كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمت على ذلك**»(٢). والملّ: بفتح الميم وتشديد اللام: الرماد الحار.

وعن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**»(٣).

قال عمرو بن العاص ﷺ : ليس الواصل الذي يصل من وصله، ويقطع من قطعه، وإنما ذلك المنصف، وإنما الواصل الذي يصل من قطعه، ويعطف على من جفاه(٤).

وعن أم كلثوم بنت عقبة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «**أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح**»(٥).

يعني أفضل الصدقة على ذي الرحم المضمر العداوة في باطنه، وهو معنى قوله ﷺ: «**... وتصل من قطعك**».

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: لقيت رسول الله ﷺ ، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال.

فقال: «**يا عقبة، صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك**»(٦).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٧٩١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٥٢٢)، والصحيحة برقم (٩٢٥).

(٢) رواه مسلم، ورواه أحمد في مسنده (٧٩٧٩) بإسناد صحيح.

(٣) رواه البخاري، وأحمد في مسنده، وأبو داود وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٣٨٥).

(٤) تنبيه الغافلين.

(٥) رواه الطبراني، وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٦) رواه أحمد في مسنده بإسناد رجاله ثقات.

أختاه ...

إياك وقطيعة الرحم

قطيعة الرحم من الكبائر، قال تعالى: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

فيفهم من الآية الكريمة ومن بعض الآثار أن قطيعة الرحم عقوبتها:

١- لعنة الله على من قطعت رحمها:

ومعنى أن الله لعنهم: أي طردهم من رحمته.

قال القرطبي: أخبر الله تعالى أنَّ من فعل ذلك حقت عليه اللعنة، وسلبه الانتفاع بسمعه وبصره، حتى لا ينقاد للحق، وإن سمعه، فجعله كالبهيمة التي لا تعقل.

٢- عدم قبول العمل:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أعمال بني آدم تعرض كل خميس، ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم**»(١).

٣- الرحمة لا تنزل على قوم بينهم قاطع رحم:

فعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم**»(٢).

وقد ورد أنَّ الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم.

قال ابن حجر في الفتح: قال الطيبي: يحتمل أن يراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم، ولا ينكرون عليه، ويحتمل أن يراد بالرحمة: المطر، وأنه يحبس عن الناس عمومًا بشؤم التقاطع.

٤- لا يستجاب دعاء قاطع الرحم:

فقد أخرج الطبراني عن الأعمش قال: كان ابن مسعود جالسًا بعد الصبح في

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٦١)، ورواه أحمد في مسنده (١٠٢٢١) بإسناد رجاله ثقات كما قال الهيثمي في المجمع (١٥١/٨).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٣)، والبغوي في شرح السنة (٣٤٣٩) وفيه أبو آدم المحاربي كذاب.

حلقة فقال: أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا، وإن أبواب السماء مرتجة دون قاطع رحم[١].

٥- تعجيل العقوبة في الدنيا مع عقوبته في الآخرة:

فعن أبي بكرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ما من ذنب أجدر أن يجعل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»[٢].

❁❁❁

(١) رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) رواه الترمذي (٢٥١١) وقال: حسن صحيح، ورواه أبو داود، وابن ماجه.

سلوكيات المرأة المسلمة

مع

جيرانها

المجتمع المسلم

أختي المسلمة ...

هيا بنا إلى سلوك آخر من سلوكيات هذا الدين.. إنها سلوكيات رائعة لأنها تنظم العلاقة بين الإنسان وبين أخيه الإنسان، وتنظم العلاقة بين قبيلة وقبيلة، ومجتمع ومجتمع آخر، لتسود المحبة في ظل الإسلام، وترفرف المودة على أتباع هذا الدين الإسلامي الحنيف...

وسلوكنا هذا هو: «**سلوك المرأة المسلمة مع جيرانها**».

وإذا انتظم السلوك الاجتماعي في المجتمع المسلم أصبح قوة مترابطة، لا يستهان بها، فترهبه الأعداء.. ويكون كما وصفه الرسول ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر**»[1].

وينبغي للأخت المسلمة أن تتعرف على ما رسمه الإسلام الحنيف ليكون منهجًا وسلوكًا في التعامل مع الجيران..

أختي المسلمة ...

وديننا الحنيف قد اهتم بهذا النوع من التعامل وهو «**التعامل مع الجيران**» لكن ما هو الجار؟

قال ابن حجر – رحمه الله – : واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والغريب والبلدي، والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب دارًا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض...

والقرآن الكريم قد اهتم بالجيران اهتمامًا كبيرًا، قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن ماجه وغيرهم.

قال القرطبي -رحمه الله-:

أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه، والقيام بحقه، والوصاة برعى ذمته في كتابه، وعلى لسان نبيه، ألا تراه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال تعالى: ﴿ **وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى**﴾ أي القريب ﴿ **وَالْجَارِ الْجُنُبِ**﴾ [النساء: ٣٦] أي: الغريب، قاله ابن عباس.. قلت: وعلى هذا فالوصاية بالجار مأمور بها مندوب إليها، مسلمًا كان أو كافرًا، وهو الصحيح[(١)]..

والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة، وكف الأذى، والمحاماة دونه...

وقد قسم العلماء الجيران إلى ثلاثة:

١- جار له حق واحد: وهو الجار المشرك، له حق الجوار...

٢- جار له حقان: وهو الجار المسلم، له حق الجوار، وحق الإسلام.

٣- جار له ثلاثة حقوق: وهو جار مسلم قريب، له حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة..

قال ابن أبي جمرة:

ويفترق الحال في ذلك (أي في حقوق الجار) بالنسبة للجار الصالح وغير الصالح، والذي يشمل الجميع، إرادة الخير له، وموعظته بالحسنى، والدعاء له بالهداية، وترك الأضرار به.. وعليه أن يكف الجار غير الصالح عن الأذى، وعن الفسق، بالحسنى، على حسب درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ويعظ الكافر بعرض الإسلام عليه، ويبين محاسنه، ويرغبه فيه برفق، فإن أفاد فبها، وإلا فيهجره قاصدًا تأديبه على ذلك مع إعلامه بالسبب ليكف، إن كان الهجر مفيدًا[(٢)].

ما حد الجار ؟

وأما حد الجار فاختلف فيه، فقد جاء عن علي بن أبي طالب ﷺ : «**من سمع النداء فهو جار**» يعني: أن كل الذين يصلهم صوت المؤذن الذي يؤذن بدون مكبر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/١٨٣) القرطبي.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/٣٧٠).

يعتبرون جيرانًا.. وقيل: من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار. وعن عائشة - رضي الله عنها - : «**حد الجوار أربعون دارًا من كل جانب**»[١].

وكلما كان الجار أقرب بابًا كان أولى بالإحسان والإكرام، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: يا رسول الله، إنّ لي جارين، فإلى أيهما أهدى؟

فقال ﷺ : «**إلى أقربهما منك بابًا**»[٢].

أختي الفاضلة ...

وفي السنة المطهرة حث على إكرام الجار، والوصية به، فعن ابن عمر وعائشة - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[٣] أي سيفرض له نصيبًا في الميراث.

وقد جعل ﷺ خير الجيران وأفضلهم وأكرمهم عند الله تعالى، خيرهم لجاره، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنّ رسول الله ﷺ قال: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله، خير لجاره**»[٤].

وقد أوصى الأمة في شخص أبي ذر الغفاري ﷺ حيث قال ﷺ: إنّ خليلي أوصاني فقال ﷺ : «**إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف**»[٥].

أختي المسلمة ...

أتدرين ما حق الجار؟

---

(١) الأدب المفرد للبخاري.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد.

(٣) رواه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٥).

(٤) رواه الترمذي (١٩٤٤) وقال: حسن غريب وقال محقق جامع الأصول (٦/٦٤٠) إسناده صحيح.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢١٢٢٣)، والخرائطي في مكارم الأخلاق وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٨١٨).

حقوق الجيران

١- أحسني إليهم:

وقد جعل الرسول الأكرم ﷺ الإحسان إلى الجار من علامات الإيمان فقال ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت..**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن، أو يُعلم من يعمل بهن؟**».

قال أبو هريرة: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي وعد خمسًا: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**»(٢).

قال الفقيه السمرقندي :

تمام حسن الجوار في أربعة أشياء:

الأول: أن يواسيه بما عنده.

الثاني: أن لا يطمع فيما عنده.

الثالث: أن يمنع أذاه عنه.

الرابع: أن يصبر على أذاه(٣).

٢- كفي الأذى عنهم:

وقد نبه النبي ﷺ على هذا الحق، فقال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن والله لا يؤمن**» قالوا: من هو يا رسول الله؟

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٠٥)، ورواه أحمد في مسنده (٨٠٨١)، وابن ماجه (٤٢٧١) وقال محقق جامع الأصول (٦٨٧/١١)، حديث حسن.

(٣) تنبيه الغافلين (ص١٠٧).

قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**»

قالوا: وما بوائقه؟ قال: **شره**[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ : إنّ فلانة تقوم الليل، وتصوم النهار، وتفعل كذا وكذا.. أي من الخير وتتصدق، وتؤذى جيرانها بلسانها، فقال ﷺ : «**لا خير فيها، هي من أهل النار**».

وقيل له: إنَّ فلانة تصلى المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق، وليس لها شيء غيره، ولا تؤذى أحدًا، قال: «**هي في الجنة**»[٢].

ويروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود ﷺ فقال له: إنّ لي جارًا يؤذيني ويشتمني، ويضيق عليَّ، فقال له: اذهب، فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه[٣].

وشكا بعضهم كثرة الفئران في داره، فقيل له: لو اقتنيت هرة؟

فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرة فيهرب إلى دور الجيران، فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي.

أختاه ...

أين ذهبت هذه الأخلاق؟ أين حسن المعاشرة؟ أين الرحمة بالجيران؟ لقد أصبحنا في مجتمع خلت منه هذه القيم، وتلك المبادئ، وطغت عليه الأنانية وحب الذات.. فهل من عودة إلى هذه الأخلاق الحميدة؟!

إن من إكرام الجار، أن لا يُمنع من غرز خشبة له في جدار جاره رفقًا به؛ لأنها ربما تمنع عنه المطر، أو الحر، أو البرد..

قال ﷺ : «**لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره**». ولما روى هذا الحديث أبو هريرة ﷺ وجد الناس معرضين، فقال: مالي أراكم عنها معرضين، والله لأرمين بها بين أكنافكم.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه أحمد، والبزار، وابن حبان في صحيحه ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/٢١٢).

٣- تحملي الأذى منهم:

قال الحسن البصري –رحمه الله– : ليس حسن الجوار، كف الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار: الصبر على الأذى من الجار(١).

وهكذا قال الغزالي –رحمه الله– في الإحياء:

«اعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى، ولا يكفى احتمال الأذى، بل لابد من الرفق، وإسداء الخير والمعروف، إذ يُقال: إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة، فيقول: يا رب، سل هذا لم منعني معروفة، وسد بابه دوني»(٢).

وعن أبي جحيفة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال: «**اطرح متاعك على طريق**».

فطرحه، فجعل الناس يمرون عليه يلعنونه، فجاء إلى النبي ﷺ : فقال: يا رسول الله، لقيت من الناس، قال: «**وما لقيت؟**»

قال: يلعنوني، قال: «**لقد لعنك الله قبل الناس**» .

فقال: إني لا أعود، فجاء الذي شكاه إلى النبي ﷺ . فقال: «**ارفع متاعك فقد كفيت**» وفي رواية: (ارجع لا ترى مني شيئًا تكره).

٤- صيانة عرضه وماله:

وقد اهتمت الشريعة الإسلامية بحق العرض والمال، وضاعفت العقوبة لمن انتهك حرمته.. فعن المقداد بن الأسود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: **ما تقولون في الزنا؟**

قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة.

فقال رسول الله ﷺ : «**لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره**».

---

(١) تنبيه الغافلين (ص١٠٥).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي.

قال: **ما تقولون في السرقة؟**

قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام.

قال: «**لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره**»(١).

قصة :

كان لمالك بن دينار – رحمه الله تعالى – جار يهودي، فحول اليهودي مستحمه إلى جدار البيت الذي يعيش فيه مالك، فتهدم الجدار، فكانت النجاسات تدخل منه، ومالك ينظفها كل يوم دون شكوى أو ضجر، وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الإيذاء، حتى ضاق صدر اليهودي من كثرة صبر مالك، فقال: يا مالك، آذيتك كثيرًا وأنت صابر، و لم تخبرني!

فقال مالك: قال رسول الله ﷺ : «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»(٢). فندم اليهودي وأسلم.

سلوكيات أخرى مع الجيران

أختي المسلمة ...

وقد أرشد الإمام الغزالي –رحمه الله– سلوكيات أخرى ينبغي اتباعها مع الجيران فقال: «... أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام.. ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح.. ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح على عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمته ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه ...»(٣).

فهيا بنا أختي الفاضلة نقف مع بعض هذه السلوكيات الأخلاقية الراقية..

---

(١) رواه أحمد بإسناد رجاله ثقات وذكره المنذري في الترغيب.

(٢) رواه البخاري وغيره.

(٣) الإحياء للغزالي.

١- اقرئي على جارتك السلام:

وتحية الإسلام هي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والسلام اسم من أسماء الله تعالى، فعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض فأفشوه بينكم...**»(١). وفي السلام إحياء سنة أبينا آدم – عليه السلام –:

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لما خلق الله آدم – عليه السلام – قال: اذهب فسلم على أولئك، نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله، فزادوا ورحمة الله**»(٢).

وهي سبب لجلب المحبة بينك وبين جارتك، وسبب عظيم في دخول الجنة قال ﷺ : «**لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(٣).

وإلقاء السلام حق من حقوق المسلم على المسلم كما في حديث مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ : «**حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيه فليسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبع جنازته.**»(٤).

وتحية الإسلام أفضل وأعظم من تلك التحيات التي تعودنا عليها مثل: «صباح الخير، أو مساء الخير، أو غير ذلك... لما لها من الفضائل العظيمة، وهي تصفي ودك مع جارتك.. فقد ورد: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم إذا لقيته وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه»».

ومن فضيلة إفشاء السلام حصول الخيرية، فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أي الإسلام خير؟ أي أيها أفضل ثوابًا،

---

(١) رواه البزار بإسناد جيد قوي والطبراني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه.

(٤) رواه مسلم، وأحمد وغيرهما.

وأعظم أجرًا؟ فقال ﷺ: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[١].

وبذل السلام يوجب المغفرة، فقد روى الطبراني بإسناد جيد عن أبي السرح قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني بشيء يوجب الجنة..

قال: «**طيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام**»[٢].

■■ هل يجوز للأخت المسلمة أن تلقى السلام على الأجانب – أي غير المحارم–؟

جاء في الصحيحين عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره بثوب، قالت: فسلمت عليه، فقال: «**من هذه ؟**» قلت: أم هانئ بنت أبي طالب.

قال: «**مرحبًا بأم هانئ**»[٣]...

قال النووي في شرح مسلم:

فيه: سلام المرأة التي ليست بمحرم على الرجل بحضرة محارمه – أي جوازه – وأنه لا بأس أن يكنى الإنسان نفسه على سبيل التعريف، إذا اشتهر بالكنية..

وأنه لا بأس بالكلام في الغسل والوضوء، ولا بالسلام عليه..

وبعض العلماء فرق بين أن تكون المرأة شابة أو عجوزًا.. والجواز إن لم تخش المرأة الفتنة، فإن خشيت الفتنة فلا يجوز...

وأما ما ورد: «**ليس للنساء سلام، ولا عليهن سلام**» فرواه أبو نعيم في الحلية (٨/٥٨) وهو ضعيف.

وقد قال النووي في شرح مسلم تعليقًا على حديث النبي ﷺ لعائشة: **إن جبريل – عليه السلام – يقرأ عليك السلام**..[٤] فيه بعث الأجنبي السلام إلى الأجنبية الصالحة إذا لم يخف ترتب مفسدة..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني، وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه.

(٣) رواه البخاري (٢٨٠)، ومسلم (٣٣٦).

(٤) رواه البخاري (٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧).

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد ﷺ قال: كانت لنا عجوز تأخذ من أصول السلق فتطرحه في القدر وتكركر (أي تطبخ) حبات من الشعير، فإذا صلينا الجمعة انصرفنا نسلم عليها، فتقدمه إلينا.

• **لكن ما حكم إفشاء السلام على من جاورك من اليهوديات أو النصرانيات؟**

واليهود والنصارى على ضربين:

إما أن يكونوا محاربين لنا، وإما أن يكونوا غير محاربين..

فإن كانوا محاربين لنا فلا يجوز أن نسلم على أحد منهم، ولا نرد عليهم السلام، لأن السلام دليل المحبة والمودة، ولا مودة بيننا وبينهم.

وعلى ذلك لا يجوز لك أن تلقين عليهم السلام ولا تردين عليهن...

وأما إن كانوا غير محاربين، كأن يكون بيننا وبينهم هدنة، أو عقد صلح، فيرى العلماء أن الأصح أننا لا نبدأهم بالسلام لحديث مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام**»[1].

وإن سلمت إحدى النساء عليك فلا تزيدي في الرد على قولك «وعليك» لما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ : «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**»[2].

أختاه ...

وإن أردت تحية امرأة من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) فلا بأس عند الضرورة، كأن تقولي لها: صباح الخير، أو مساء الخير، أو تصبحين على خير... أو غير ذلك مما جرت به عادتهم..

ولو أردت أن ترسلي إلى جارة لك رسالة، أو زميلة لك، فينبغي أن تكتبي فيه: «سلام على من اتبع الهدى» كما فعل النبي المصطفى ﷺ .

٢- التعاون مع الجيران:

وقد حث النبي ﷺ على هذا التعاون بين نساء المسلمين، فقال موصيًا: «**يا نساء**

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرش شاة»[١].

وقال تعالى: **﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾** [المائدة: ٢].

وقد جرت العادة في مجتمعاتنا على أن الجيران يحتاجون إلى بعضهم البعض، فتستعير الجارة من جارتها بعض حاجاتها من أوانٍ أو طعام أو شراب وقد ذم مولانا سبحانه في القرآن الكريم وتوعد من يمنع الماعون، فقال: **﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾** [الماعون: ٧]. اختلف في تفسير الماعون: قال ابن عباس: يعني متاع البيت، وقيل:الدلو (الجردل) والقدر.

وسئل عبد الله بن مسعود عن الماعون، فقال: ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر وأشباه ذلك[٢]... وقال بعضهم: إبرة الخيط والملح والوقود..

وقد قال ﷺ : «**... ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**»[٣].

٣- زوري من مرض:

فإن زيارتك للمريض، أو عيادتك له باب من أبواب الجنة ...

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟** قال أبو بكر: أنا يا رسول الله.

قال: «**من أطعم منكم اليوم مسكينًا**»؟

قال أبو بكر: أنا يا رسول الله.

قال: «**من عاد منكم اليوم مريضًا**»؟

قال أبو بكر: أنا يا رسول الله.

قال: **من تبع منكم اليوم جنازة ؟**

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٧)، ومسلم (١٠٣٠)، والفرش: هو عظم قليل اللحم.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) رواه البخاري، ومسلم وغيرهما.

قال أبو بكر: أنا يا رسول الله.

قال ﷺ: «**ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل – أو امرأة – إلا دخل الجنة**»(١).

أختاه ...

إنك لو عُدت مريضة كأنك تعودين رب الأرض والسموات فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني**».

قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»(٢).

وقد أوصانا سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ بعيادة المريض، لما لها من ثواب عظيم عند الله تعالى، فقال: «**عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكوا العاني**»(٣).

وفي سنن أبي داود وغيره من حديث عليٍّ بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة**»(٤).

وعن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من عاد مريضًا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع**».

قيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة؟

قال: «**جناها**»(٥).

أختي المسلمة ...

لكن ديننا الحنيف قد رسم لنا آدابًا وسلوكيات لهذه الزيارة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري، وأحمد، وأبو داود.

(٤) رواه أبو داود (٣٠٩٨)، وصححه الألباني، ورواه الترمذي (٩٦٩)، وابن ماجه، وأحمد.

(٥) رواه مسلم، وأحمد.

فما هى آداب زيارة المريض:

١- يستحب لك إذا أردت عيادة مريض أن تسألي الله أن يشفيه، لما روى الترمذي وغيره من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**من عاد مريضًا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض**»[1].

وفي حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - «**إذا جاء الرجل يعود مريضًا فليقل: اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوًّا، أو يمشي لك إلى جنازة**» وفي لفظ: (**إلى الصلاة**)[2].

ولما اشتكى سعد بن أبي وقاص ﷺ بمكة وذهب النبي ﷺ يعوده وضع يده على جبهته، ثم مسح صدره وبطنه، وهو يقول: «**اللهم اشف سعدًا وأتمم له هجرته**»[3].

٢- ويستحب أن تقولي للمريض: «لا بأس عليك طهور إن شاء الله، لأن النبي ﷺ دخل يعود رجلاً، فقال: «**لا بأس طهور إن شاء الله**»[4]. لأن المرض فيه طهرة من الذنوب والآثام.

٣- ويستحب للزائر أن يطيب نفس المريض بإطماعه في الحياة، وقرب الشفاء فإن ذلك لا يرد شيئًا.

٤- ويستحب أن يطلب من المريض الدعاء، فإن دعاءه مستجاب.

٥- استحباب تخفيف العيادة، وعدم تكريرها في اليوم، إلا إذا رغب المريض في ذلك لحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت:

لما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق، رماه رجل في الأكحل - عرق - فضرب رسول الله ﷺ خيمة في المسجد، ليعوده من قريب.

٦- استحباب الوضوء لمن يريد عيادة المريض، وألا يأكل عنده شيئًا..

هل تجوز عيادة الرجل للمرأة والعكس؟

لا بأس بعيادة الرجل المرأة المريضة ما لم يؤد إلى خلوة بأجنبية لحديث عبد الملك ابن عمير، عن أم العلاء قالت:

---

(١) رواه أبو داود (٣١٠٦)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني (٣١٠٧) والسلسلة.

(٣) رواه البخاري ، وأبو داود وغيرهما.

(٤) رواه البخاري.

عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة، فقال: «**أبشري يا أم العلاء فإن مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه، كما تذهب النار خبث الذهب والفضة**»(١).

ويجوز للمرأة الأجنبية عيادة الرجل مع التستر وأمن الفتنة، وعدم الخلوة، فقد عادت أم الدرداء رجلاً من أهل المسجد من الأنصار.

وقالت عائشة: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعك أبو بكر وبلال، فدخلت عليهما فقلت: يا أبت، كيف تجدك؟ ويا بلال، كيف تجدك(٢)؟

أختاه ...

ومن السلوكيات التي أرشدنا الله تعالى إليها في كتابه نحو جيرانك وإخوانك المسلمين والمسلمات..

٤- عدم الاستهزاء والسخرية من الغير:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الحجرات: ١١].

فقد تضمنت الآية المباركة النهي عن آفات ثلاثة: السخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب فقد تسخر الجميلة من الدميمة، وقد تسخر الشابة من العجوز..

وقد تسخر الغنية من الفقيرة.. وقد تسخر الذكية الماهرة من الساذجة البسيطة والمرأة القوية من الضعيفة...

فلا ينبغي أن تسخر المرأة من المرأة ولا الرجل من الرجل عسى أن يكون هؤلاء خير من هؤلاء عند الله - عز وجل - لأن الله - عز وجل - لا يزن الناس بالمظاهر والصور أو الجاه والسلطان.. فهذه مظاهر الدنيا الزائفة، وموازين الأرض الجائرة..

ففي الحديث: «**إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٣).

---

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني (٣٠٩٢).

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٣)، ورواه أحمد (٧٨١٤) في مسنده.

هذا هو المقياس والميزان ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديًا ينادي: ألا إني جعلت نسبًا، وجعلتم نسبًا، فجعلت أكرمكم أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان خير من فلان فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم أين المتقون**»[١].

وعنه ﷺ : «... **ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[٢].

فالسخرية من الناس والاستهزاء بهم، وازدراؤهم لا يكون إلا من أصحاب الكبر المتكبرة ممقوتة من الله تعالى، ممقوتة من الناس، لأنها تنظر إلى غيرها بعين النقص والاحتقار، تنظر إلى الناس من برج عاجي، والمتكبرة تنازع الله - عز وجل - في كبريائه ففي الحديث: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فقال رجل: يا رسول الله، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، فقال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**» وبطر الحق أي رده، وغمط الناس: أي احتقارهم فعلام الكبر يا بنت التراب.. أنسيت أصلك وفصلك أيها المغرورة المتكبرة؟!

إنَّ أصلك من التراب وفصلك من النطفة..

أصلك يوطأ بالأقدام.. وفصلك تغسل منه الأبدان.

تتكبرين على خلق الله وأنت تحملين الأقذار في جميع أجزاء بدنك.. تحملين الرجيع في أمعائك.. والبول في مثانتك.. والمخاط في أنفك.. والبزاق في فمك.. والوسخ في أذنيك.. والدم في عروقك.. والعَرَقَ تحت إبطيك.. وتغسلين عن نفسك الغائط بيدك مرة أو مرتين..

٥- إياك واللمز:

واللمز هو: أن تعيبي الغير بيدك أو عينك أو لسانك.

لكن الهمز: فلا يكون إلا باللسان، كما قال سبحانه: ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، والبيهقي في الشعب وهو حسن بشواهده.

(٢) رواه مسلم، والترمذي، وأبو داود.

فإذا لمزت أختك المسلمة فكأنما لمزت نفسك لذا قال سبحانه: ﴿ **وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١١].

٦- وإياك أن تتنابزي بالألقاب:

ومعناه: أن تنادي أختك بما تكره من الأسماء والكنى والألقاب.

فمن الأدب أن لا تؤذي شعور أختك المسلمة بمثل هذا، فمن حق المسلمة على أختها أن تناديها بأحب الأسماء إليها ..

ألا ترين أن النبي ﷺ لقب أسماء بنت أبي بكر الصديق، - رضي الله عنها – بذات النطاقين، ولقب أم ورقة بنت عبد الله الحارث بالشهيدة، وبركة الحبشية بأم أيمن.. وغير ذلك.

وبعد ما نهى الله سبحانه وتعالى عن هذه الآفات الثلاث قال سبحانه: ﴿ **بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الحجرات: ١١].

٧- وإياك وسوء الظن :

أختي المسلمة ...

لا تسيئى الظن بأخواتك المسلمات سواء كن من الجيران أم غير ذلك.. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ [الحجرات: ١٢].

فيا من آمنت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا ورسولاً، وبالقرآن دستورًا قويمًا يأمر بكل خير، وينهى عن كل ما فيه شر ورذيلة... لا تتركن أنفسكن نهبًا لكل الهواجس والشكوك والظنون... ولكن طهرن ضمائركن، واتركوهن نقية صافية لا يعكرها الشك والقلق...

ولهذا حذر رسول الله ﷺ المسلمين والمسلمات من سوء الظن بالآخرين فقال ﷺ: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»[1].

فاحذري سوء الظن، ولا تطلقى له العنان فيما لا يعنيك شأنه، وتتبي من الأنباء

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

الواردة على ألسنة الفاسقات، ولا تعتمدي على الشائعات المغرضة في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، والزمي الأدب مع الله في الأقوال والأفعال، والزمي الأدب مع الناس في أعراضهم وحرماتهم، ولا تجعلي للظن دخلاً في اتهام هذه، وتبرئة تلك، فالظن أكثره وهمٌ لا يُعتمد عليه..

أختاه ...

والظن ظنان كما قال سفيان الثوري –رحمه الله-: الظن ظنان: ظن فيه إثم، وظن ليس فيه إثم، فأما الذي فيه إثم فالذي يتكلم به، وأما الظن الذي ليس فيه إثم فالذي لا يتكلم به(١).

فيفهم من هذا أن هناك ظنًا حسنًا يهدي إلى البر، ويقطع الشك المؤدى إلى فساد المعتقد.

ولذلك قال عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى-: أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك(٢) وظن آخر سيىء يؤدي إلى تتبع العورات، وانتهاك الحرمات، وتخوين البريات وقد ورد: «**ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن**».

فقال رجل: وما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه؟

فقال ﷺ : «**إذا حسدت فاستغفر، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض**»(٣).

فالمسلمة الحق من تحمل الظن على أحسن وجوهه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

٨- لا تهجري جيرانك:

ففي صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»(٤).

فهذا الحديث محمول على الهجران لأمر من أمور الدنيا، أما إذا كان هذا الهجر

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٦/٧).

(٢) الحلية لأبي نعيم (٢٧٧/٥).

(٣) رواه الطبراني وغيره.

(٤) رواه البخاري، ومسلم وغيرهما.

لأمر من أمور الدين فيجوز أن يزيد فوق الثلاثة بدليل هجر النبي ﷺ وأصحابه للثلاثة الذين خُلفوا في غزوة تبوك، وكانت المدة خمسين يومًا حتى أنزل الله توبتهم في كتابه..

وكذلك يباح لك هجران أهل البدع والمنكرات احتقارًا لهن، وتوقيًا من شرهن..

٩- لا تتجسسي على جيرانك:

فقد نهى الله تعالى عن التجسس، فقال: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات: ١٢].

والتجسس هو محاولة لهتك ستر الغير، والبحث عن العورات..

والله سبحانه يريد بذلك أن يعيش الناس في المجتمع المسلم آمنين على أنفسهم آمنين على بيوتهم.. آمنين على أولادهم.. آمنين على أموالهم.. آمنين على أسرارهم.. آمنين على عوراتهم.. ولا يوجد على الإطلاق مبرر لانتهاك حرمات الغير، فالناس على ظواهرهم، وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:

بعث عليٌّ بن أبي طالب ﷺ وهو باليمن إلى النبي ﷺ - بذهبية (أي بقطعة صغيرة من الذهب) فقسمها بين أربعة، فقال رجل:

يا رسول الله، اتق الله.

فقال ﷺ : «ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله»؟ ثم ولى الرجل.

فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟

فقال: « لا، لعله أن يكون يصلي» .

فقال خالد: وكم من رجل يقول بلسانه ما ليس في قلبه!

فقال رسول الله ﷺ : «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم»

ولذلك قال ﷺ في حديث آخر: «ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة»[(١)].

١٠- لا تغتابي إخوانك ولا جيرانك:

وقد جاء النهي عن الغيبة بعد النهي عن التجسس فقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَغْتَب

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه والألباني في صحيح الجامع برقم (٧١٣٩).

بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

والغيبة مرض من أخطر الأمراض على الفرد والمجتمع.. فما هي الغيبة ؟

وضحها لك رسول البشرية ومعلمها ﷺ على سبيل السؤال والجواب، فقال لأصحابه: «**أتدرون ما الغيبة**» ؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**».

قيل: فإن كان في أخي ما أقول؟

قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**»(١).

أختي المسلمة ...

احذري الغيبة، فقد حذرك منها سيد الخلق ﷺ فقال: «**يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراهم، فإنه من تتبع عوراهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته**»(٢).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا - تعني أنها قصيرة - فقال النبي ﷺ : «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»(٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**»(٤).

إنك باغتيابك لأخواتك المسلمات، أو إخوانك المسلمين تفرقين حسناتك بلا حساب.. ولذلك سأل معلم البشرية، وفقيه الإنسانية ﷺ أصحابه: «**أتدرون من**

---

(١) رواه مسلم، وأحمد، والترمذي، وأبو داود، والألباني في صحيح الجامع برقم (٨٦).

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ورواه أحمد في مسنده.

(٣) رواه الترمذي، وأبو داود، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود, وفي صحيح الجامع برقم (٥١٤٠).

(٤) رواه أبو داود، وأحمد وهو في صحيح الجامع برقم (٥٢١٣).

المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار.

قال ﷺ : «**المفلس هو من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج، يأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيؤتى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته أُخذ من سيئات صاحبه فحُملت عليه فطرح في النار**»[١].

لذلك لما علم الحسن البصري – رحمه الله تعالى – أن أحد الناس قد اغتابه أرسل إليه طبقًا من الرمان، وقال له: لقد بلغني أنك أهديت لي حسناتك، فلم أجد شيئًا أكافئك به سوى هذا[٢]..

أختي الفاضلة ...

ومعلوم أن الغيبة تنتشر خاصة بين النساء.. فاحذريها لأنها من أخطر آفات اللسان، وليكن حظ أخواتك منك ثلاث خصال لتكوني من المحسنات:

١- إن لم تنفعيها فلا تضريها.

٢- إن لم تسريها فلا تغميها.

٣- إن لم تمدحيها فلا تذميها.

أختي المسلمة ...

إنك إن اغتبت الناس اغتابوك، وإن عبت عليهم عابوا عليك، فبحثك عن عيوب الناس، يحمل الناس على البحث عن عيوبك، ورحم الله إمامنا الشافعي حين قال:

إن شئت أن تحيا سليمًا من الأذى ... وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرئ ... فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك مساوئًا ... فصنها وقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف من اعتدى ... وفارق ولكن بالتي هي أحسن

ورحم الله من قال:

لا تلم المرء على فعله ... وأنت منسوب إلى مثله

---

(١) رواه مسلم، والترمذي.

(٢) تنبيه الغافلين (ص٢٣).

مـــن ذم شـــيئًا وأتـــى مـــثله فإنمـــا يـــزرى عـــلى عقلـــه

١١- دافعي عن أعراض جيرانك:

إن كل مسلم ومسلمة ينبغي أن يدافع عن عرض الغائب، لكي يصح إسلام المرء ويقوى إيمانه..

فهيا بنا أختي المسلمة نتأمل من السنة المطهرة جزاء من تدافع عن عرض أخواتها المسلمات وعن جيرانها المؤمنات بظهر الغيب..

فعن أبي الدرداء ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من ردّ عن عرض أخيه، ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»(١).

وخص الوجه لأن تعذيبه أنكي في الإيلام، وأشد في الهوان.

وفي رواية عن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ : «**من ذب عن عرض أخيه في المغيبة** - كناية عن الغيبة- **كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار**»(٢).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا عند موطن تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله - عز وجل - في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر امرءًا مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته**»(٣).

١٢- انصحي لجارتك:

ومن السلوكيات التي ينبغي على المرأة المسلمة أن تسلكها «**بذل النصيحة**» للجيران ولجميع إخوانها المسلمين والمسلمات، خاصة وإن طلب منها ذلك، وتصير حينئذ حقًّا واجبًا على المسلم للمسلم، وكذلك على المسلمة إلى المسلمة ...

لحديث النبي ﷺ : «**حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيه فليسلم عليه، وإذا**

---

(١) رواه أحمد (٢٧٤٠٧)، والترمذي (١٩٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (٧/٢٥٦)، والبيهقي في السنن والألباني في صحيح الجامع برقم (٦٢٦٢).

(٢) رواه أحمد (٢٧٤٨١)، وابن المبارك في الزهد (٦٨٧)، والألباني في صحيح الجامع برقم (٦٢٤٠).

(٣) رواه أحمد، وأبو داود، والطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٦٩٠)، وضعفه في ضعيف أبي داود.

دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبع جنازته»(١).

ومعنى: (إذا استنصحك فانصح له): أي إذا طُلب منك النصيحة فابذلي النصيحة فإذا جاءتك أختك المسلمة تريد أن تستثمر أموالها في مشروع تجاري معين، وطلبت رأيك فيه، فمن الواجب عليك أن توجهيها التوجيه السليم حتى لا تخسر أموالها، بسبب عدم إخلاصك في النصح.

وإذا ما طلبت جارتك أو أختك المسلمة رأيك مثلاً في رجل تريد الزواج منه، أو أنه تقدم لها أو لأختها بالخطبة، فلابد أن ترشديها إن كان لك علم بأسرته، أو تنصحيها بما وفقك الله تعالى إليه..

وصدق النبي ﷺ حين قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٢).

وكذلك أختي المسلمة ينبغي عليك إذا رأيت انحرافًا من إحدى الجيران كأن كانت متبرجة، أو تاركة للصلاة.. أو غير ذلك من الأمور الدينية.. فقومي بنصحها وإرشادها وتوجيهها من باب النصح، ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن لابد للنصيحة من شروط، أهمها: عدم الإضرار بالمنصوحة، وذلك كأن تنصحيها علانية، فتسببي لها إحراجًا، وللإمام الشافعي كلام طيب في هذا المجال يقول:

تعمـــدني بنصحك في انفرادي	**وجنـــبني النصيحة في الجماعة**
فـــإن النصـــح بين الناس نوع	**مـــن التوبيخ لا أرضى استماعه**
فـــإن خالفـــتني وعصيت قولي	**فـــلا تجزع إذا لم تعط طاعة**(٣)

ويقال: النصيحة في الملأ فضيحة ..

---

(١) رواه مسلم، وأحمد وغيرهما.
(٢) تخرج في موضع آخر.
(٣) ديوان الشافعي.

١٣- سامحي من ظلمك:

سامحي من ظلمك واعفي عمن أساء إليك، قال تعالى: ﴿**سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]. فالعفو من شيمة الصالحين والصالحات.. والعفو من التجاوز وترك العقاب، قال تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿ **خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩].

يرى العلماء أن هذه الآية تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات فقوله: ﴿ **خُذِ العَفْوَ** ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين والمذنبات، والرفق بالمؤمنين والمؤمنات، وغير ذلك من أخلاق أهل الطاعات ودخل في قوله: ﴿ **وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

وفي قوله: ﴿ **وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ**﴾ الحض على التخلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازلة السفهاء، ومساواة الجهلة والأغبياء، وغير ذلك من الأفعال الحميدة، والأفعال الرشيدة..

وقد روى أن جبريل - عليه السلام — لما نزل بهذه الآية على رسولنا ﷺ قال له: «**ما هذا يا جبريل؟**» فقال: لا أدري حتى أسأل ربي، فذهب، فمكث ساعة، ثم رجع فقال: «**إنّ الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك**»[(١)]. وقد نظم بعض الحكماء هذه الأخلاق فقال:

مكـــارم الأخـــلاق في ثلاثـــة ... مـــن كملـــت فيه فذلك الغنى

إعطـــاء مـــن تحرمه ووصل مَنْ ... تقطعـــه والعفـــو عمن اعتدى

قال رجل لعمر بن الخطاب ﷺ: «**والله ما تقضى بالعدل، ولا تعطى الجزل**» فغضب عمر حتى عُرف ذلك في وجهه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، ألا تسمع أن الله تعالى يقول: ﴿ **خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ** ﴾ وإنَّ هذا لمن الجاهلين..

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد وغيره.

فقال عمر: صدقت... فكأنما كانت نارًا، فأطفئت...

وقد ورد أنَّ جارية لعليٍّ بن الحسين - رضي الله عنهما - جعلت تسكب له الوضوء، لكي يتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يدها، فشجه، فرفع رأسه إليها فقالت: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾ فقال: كظمت غيظي.

فقالت: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ فقال: عفوت عنك..

قالت: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فقال لها: اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

أختي المسلمة ...

وهذه امرأة من أروع النساء وأعظمهن تكظم غيظها ...

قال ابن عبد البر: روينا أن جارية لصفية بنت حُيِيّ - رضي الله عنها - أتت عمر بن الخطاب ﷺ قالت: «إنَّ صفية تحب السبت، وتصل اليهود!» فبعث عمر بن الخطاب يسألها - فقالت: «أما السبت فلم أحبه منذ أن أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود، فإن لي فيهم رحمًا، فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟

قالت الجارية: الشيطان.

قالت صفية: - رضي الله عنها - : فاذهبي، فأنت حرة.

١٤- ابسطي لجارتك وجهك :

ومما ينبغي أن تسلكه الأخت المسلمة نحو جيرانها، وأخواتها المسلمات «**أن تبسط وجهها**».

قال جابر بن سليم: ركبت قعودي، ثم أتيت إلى مكة، فطلبت رسول الله ﷺ ، فأنخت قعودي بباب المسجد، فدلوني على رسول الله ﷺ، فإذا هو جالس عليه برد من صوف فيه طرائق حمر، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «**وعليك السلام**».

فقلت: إنا معشر أهل البادية قوم فينا الجفاء، فعلمني كلماتٍ ينفعني الله بها قال: «**ادن**» ثلاثًا، فدنوت..

فقال: «**أعد عليّ**» فأعدت عليه..

فقال: «**اتق الله، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، وأن تلق أخاك بوجه منبسط وأن تفرغ من دلوك في إناء المستقى، وإن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما**

تعلم فيه، فإن الله جاعل لك أجرًا، وعليه وزرًا، ولا تسبن شيئًا مما خولك الله تعالى».

قال جابر: فوالذي نفسي بيده، ما سببت بعده شاة ولا بعيرًا[(١)].

وروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسطة الوجه، وحسن الخلق**».

أختاه ...

وتلك جملة من السلوكيات التي ينبغي لك أن تسلكيها لكي تكوني جارة وفية لجارهًا..

«اغفري زلتها، وارحمي عبرهًا، واستري عورهًا، وأقيلي عثرهًا، واقبلي معذرهًا، وردى غيبتها، وأديمي صحبتها، واحفظي خلتها، وارعي ذمتها، وعوديها إن مرضت، وعزيها إن أصيبت، وأجيبى دعوهًا، واقبلي هديتها، وكافئي صلتها، واشكري نغمتها، واحفظي حرمتها، واقضى حاجتها، واقبلى شفاعتها، ولا تخيبي رجاءها، وشمتى عطستها، وردى سلامها، وبرى قسمها، وارشدي ضالتها، وانصريها ظالمة بردها عن ظلمها، ومظلومة بإعانتها على أخذ حقها، وحبى لها الخير كما تحبينه لنفسك، واكرهى لها من الشر ما تكرهينه لنفسك، ولا تخذليها، ولا توالى من يعاديها...».

١٥- أحسني أخلاقك:

وقد أوصى النبي ﷺ أتباعه بحسن الخلق، فقال: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[(٢)].

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحًا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢١٤١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٢٤٥) وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (١/٢٩٠) ط/ دار المعرفة – بيروت.

(٢) رواه الترمذي (١٩٨٧) وقال: حسن صحيح، ورواه أحمد في مسنده (٢١٢٥١)، والألباني في صحيح الجامع برقم (٩٧).

(٣) رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٨٠٠)، والصحيحة (٢٧٣).

فكما فهمت من سياق الحديث السابق أن الله تعالى أعد بيتًا في أعلى الجنة لمن حسن خلقه... وأكمل المؤمنين والمؤمنات إيمانًا أحسنهم خلقًا...

وقد أخبرنا النبي ﷺ بمنزلة من حسنت خلقها، فقال: «**إنَّ من أحبكم إليَّ، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا، وإنَّ أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون**»[١].

وقد أخبرنا سيد الخلق ﷺ أن حسن الخلق يثقل ميزان صاحبه يوم القيامة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإنّ الله ليبغض الفاحش البذيء**»[٢].

وفي رواية: «**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإنَّ صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**»[٣].

وللسلف الصالح كلام طيب في حسن الخلق، يقول عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال»[٤].

وقال الإمام أحمد –رحمه الله–: حسن الخلق، أن لا تغضب ولا تحقد[٥].

وقل محمد بن نصر: قال بعض أهل العلم:

«حسن الخلق: كظم الغيظ لله، وإظهار الطلاقة والبشر، إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزَّالين إلا تأديبًا، وإقامة الحد، وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغيير منكر، وأخذًا بمظلمة لمظلوم من غير تعدٍّ».

وعلامات حسن الخلق عدة أمور منها:

«أن تكوني كثيرة الحياء، قليلة الأذى، كثيرة الصلاح، صدوقة اللسان، قليلة الكلام، كثيرة العمل، قليلة الزلل، قليلة الفضول، بارة وصولة وقورة، صبورة

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٨)، وحسنه وصححه ابن حبان برقم (١٩١٧).

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصحيح سنن أبي داود للألباني (٤٧٩٩).

(٣) صحيح سنن أبي داود للألباني (٤٧٩٨)، ومشكاة المصابيح (٥٠٨٢) والترمذي.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي.

(٥) جامع العلوم، والحكم لابن رجب الحنبلي.

شكورة، راضية، حليمة، رفيقة، عفيفة، شفوقة، لا لعانة ولا سبابة، ولا نمامة، ولا مغتابة، ولا حقودة ولا حسودة، بشاشة هشاشة، تحبين في الله، وتبغضين في الله، وتغضبين في الله، فهذا هو حسن الخلق».

إلهـــي ..

نسألك يا ربنا يا من خضع كل شيء لعزتك، وعنت الوجوه لعظمتك، يا من إذا أساء عبادك حلمت، وإن أحسنوا تفضلت وقبلت، وإن عصوا سترت، وإن أذنبوا عفوت وغفرت، وإذا دعوت أجبت..

إلهـــى ..

جد علينا بفضلك، وتعهدنا برحمتك، وأدركنا بلطفك، وعاملنا برأفتك، ووفقنا لخدمتك، واغفر لنا وللمسلمين.. يا رب العالمين ..

❀❀❀

سلوكيات المرأة المسلمة

مع

اليتيم

المرأة مع اليتيم

اليتيم في اللغة : من مات أبواه، أو أحدهما، فانفرد عنهما، أو عن واحد منهما، فاليتم في اللغة: الانفراد، ولذلك يقال: درة يتيمة أي فريدة في نوعها، ودار يتيمة، أي لا يجاورها بيت من أي جهة من جهاتها الأربع.

وهو في الشرع (أي اليتيم): صغير مات أبوه.

فإذا بلغ اليتيم مبلغ الرجال، زال عنه هذا الوصف، فأصبح يلي أمر نفسه ولذلك حث مولانا تبارك وتعالى على دفع ماله إليه حينئذ، قال سبحانه: ﴿ **وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ**﴾ [النساء: ٢]. وقد سمي يتيمًا هنا باعتبار ما كان.

أختي المسلمة ...

وهناك سلوكيات ينبغي أن تسلكيها في معاملتك لليتيم، ومن هذه السلوكيات:

١- أحسني إليه:

قال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٠]. ولقد أمر الله سبحانه بالإحسان إلى اليتامى في كل زمان ومكان، بل وعلى مستوى كل الأمم والشعوب، بل لقد أخذ الميثاق على بني إسرائيل بالإحسان إلى اليتامى، فقال سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ**﴾ [البقرة: ٨٣].

ومما يدل على أن حق اليتيم كبير، والإحسان إليه عظيم في الثواب، قام نبيان من أنبياء الله وهما موسى والخضر عليهما السلام ببناء الجدار لغلامين يتيمين واحتسبا عملهما عند الله تعالى.. قال سبحانه حكاية عنهم: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ..**﴾ [الكهف: ٨٢].

٢- احذري أن تأكلي مال اليتيم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [النساء: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤].

قال السُّدي: يحشر آكل مال اليتيم ظلمًا يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه كل من رآه يعرف أنه آكل مال يتيم.

وقد اعتبره رسولنا ﷺ من السبع الموبقات، فقال: «اجتنبوا السبع الموبقات» أي: المهلكات – قالوا: وما هن يا رسول الله ؟

قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[١].

٣- احذري أن تقهري يتيمًا أو يتيمة:

فقد حذر رب العزة رسوله ﷺ فقال جل شأنه: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

وجعل قهر اليتيم وزجره من علامات المكذبين ليوم الدين، قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [الماعون: ١-٣].

هذا وإن كانت الآية السابقة نزلت في أبي جهل «عمرو بن هشام» حين جاءه يتيم يريد شيئًا من الطعام فقهره وزجره، فنزلت الآية، وهي عامة في كل من زجر يتيمًا، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

على العكس من ذلك الأرملة التي فقدت عائلها، وقعدت على أيتام لها، وصمدت أمام فتن الدنيا، فكان جزاؤها، أن زاحمت النبي ﷺ على باب الجنة قال ﷺ: «أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها: مالك ومَنْ أنت؟

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي»[١].

وعن زرارة بن أبي أوفى، عن رجل من قومه يُقال له: مالك، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**من ضم يتيمًا بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة**»[٢].

أختاه ...

إن أردتِ أن تكوني في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، فأحسني إلى الأيتام، قال داود - عليه السلام - في مناجاته:

«إلهي .. ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك» ؟

قال: **جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[٣].

أختاه ...

إن أردت أن يلين الله قلبك ويقضي حاجتك، فامسحي على رأس اليتيم فقد جاء رجل إلى طبيب القلوب ﷺ يشكو قسوة قلبه..

فما هو الدواء الذي وصفه له طبيبنا الأعظم ﷺ ؟

قال: «**أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك، وتدرك حاجتك**»[٤].

أختاه ...

إن أردت أن تكوني جارة لسيد الأولين والآخرين ﷺ، فاكفلي اليتيم، وأحسني إليه، قال سيد الخلق ﷺ : «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**»[٥] وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما.

فأي فضل بعد هذا الفضل؟! وأي ثواب أعظم من أن تكوني في جوار أحب الخلق إلى الله - عز وجل -؟!

---

(١) رواه أبو يعلى، وحسنه المنذري في الترغيب والألباني.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٨٩٢٦) بإسناد حسنه حمزة الزين (١٤/٣٥٨)، وررواه ابن المبارك في الزهد.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٣٨)، وابن أبي الدنيا في كتابه العيال برقم (٦٢٢) والبيهقي في الشعب وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه البيهقي في الشعب والخرائطي في مكارم الأخلاق وذكره الألباني في الصحيحة (٨٥٤).

(٥) رواه البخاري وغيره.

أختاه ...

إن أردت أن تبلغي درجة المجاهدين في سبيل الله، والصائمين القائمين فتصدقي من مالك أو من مال زوجك بإذنه على أرملة تسعى على أيتام لها، قال سيد الأنبياء ﷺ : «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**»(١).

قصة :

كان أبو القاسم الدنيوري -رحمه الله- ثقة صالحًا، يُضرب به المثل في مجاهدة النفس، والتعفف والتقشف، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فرآه بعضهم وقد اشترى دجاجة وحلواء، فتعجب من ذلك، فأتبعه إلى دار فيه امرأة ولها أيتام، فدفعها إليهم، ولما حضرته الوفاة، جعل يقول: «سيدي لهذه الساعة خبأتك».

أختاه ...

لماذا لا تحضين على طعام المسكين؟

لماذا لا تكرمين اليتيم؟

لماذا لا ترحمين الأرملة والمسكين؟

إنّ من يرحم أهل الأرض قد آن أن يرحمه من في السما
فارحم الخلق جميعًا، إنما يرحم الرحمن منا الرحما(٢)

الراحمون يرحمهم الرحمن، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، قال ﷺ : «**خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر**»(٣).

قال الإمام الذهبي في كتابه «الكبائر»:

ومما حكى عن بعض السلف، قال: كنت في بداية أمري مكبًّا على المعاصي وشرب الخمر، فظفرت يومًا بصبي يتيم فقير، فأخذته، وأحسنت إليه، وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام، وأزلت شعثه، وأكرمته كما يُكرم الرجل ولده، بل أكثر،

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٨٧١٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٦٨٠).

(٢) كشف الخفا للعجلوني (١/١٢٠).

(٣) صحيح الجامع للألباني برقم (٣٢٠٥).

فبت ليلة بعد ذلك، فرأيت في النوم أن القيامة قامت، ودعيت إلى الحساب، وأمر بي إلى النار، لسوء ما كنت عليه من المعاصي، فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق، وقال:

«خلوا عنه يا ملائكة ربي، حتى أشفع له إلى ربي، فإنه قد أحسن إليّ وأكرمني فقالت الملائكة: إنَّا لم نؤمر بذلك، وإذا بالنداء من قبل الله تعالى يقول لهم: خلوا عنه، فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم، وإحسانه إليه.. قال: فاستيقظتُ وتبت إلى الله – عز وجل –، وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى الأيتام»(١).

أختاه ...

امسحي دموع البؤساء، وارحمي من في الأرض، يرحمك من في السماء..

ورحم الله ابن عساكر حين قال:

بادر إلى الخير يا ذا اللب مغتنمًا ... ولا تكن من قليل الخير محتشمًا

واشكر لمولاك ما أولاك من نعم ... فالشكر يستوجب الإفضال والكرما

وارحم بقلبك خلق الله وارعهم ... فإنما يرحم الرحمن من رحما

اللهم ارحمنا برحمتك فإنك بنا راحم، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر، وألطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير، واجعلنا يا ربنا من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه، إنك على ما تشاء قدير.

❊❊❊

(١) الكبائر للذهبي (ص٧٠) ط/ دار الخلفاء والزواجر لابن حجر الهيثمي (١/٥٧٨).

سلوكيات المرأة المسلمة

في

الزيارات

فضل الزيارة

أختي المسلمة ...

إن ديننا الحنيف حرص على دوام المحبة بين أفراده وجماعاته فشرع لأتباعه أدبًا من آدابه، وسلوكًا من سلوكياته وهو: الزيارة.. وقد حث الإسلام عليها، فعن معاذ ابن جبل ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**قال الله – عز وجل –: حقت محبتي للمتحابين فيَّ، حقت محبتي للمتجالسين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ..**»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «**أنّ رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية.**

قال: هل لك عليه من نعمة تربها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[2].

وقد زار أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – أم أيمن – رضي الله عنها – بعد وفاة رسول الله ﷺ فعن أنس ﷺ قال: قال أبو بكر لعمر – رضي الله عنهما – بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله يزورها، فلما انتهيا إليها، بكت، فقالا لها: ما يبكيك، أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله؟ فقالت: إني لأعلم أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ ، ولكن أبكى أن الوحي قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[3].

وتأملي ما قاله رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذي وحسنه: «**من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله، ناداه منادٍ: بأن طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً**»[4].

---

(١) رواه مالك في الموطأ وأحمد في مسنده، وغيرها وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٣٢١).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٧).

(٣) رواه مسلم وغيره.

(٤) رواه الترمذي (٢٠٠٨) وحسنه وفي سنده عيسى بن سنان وهو لين الحديث ووثقه بعضهم.

وحث على زيارة المريض، فقال ﷺ : «**إنّ الله – عز وجل – يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني.. قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟..**»(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً** ﴾ [الكهف: ٦٠]. فيها دلالة على فضل وأهمية زيارة أهل الخير ومجالستهم، وصحبتهم وطلب زيارتهم.

ولكي ينبغي عليك أختي المسلمة أن تعلمي أن لهذه الزيارة شروط وآداب يجب الالتزام بها ..

فما هى شروط تلك الزيارة؟

ولكي تؤدي هذه الزيارة هدفها، وتؤتى ثمارها، لابد لها من شروط:

١- أن تكون الزيارة مباحة وجائزة شرعًا، وليست من الزيارات الممنوعة شرعًا مثل زيارة أهل البدع، وأهل الفسق والفجور، أو زيارة لأعداء الدين من الكفار واليهود.. قال تعالى: ﴿ **لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ...** ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ...** ﴾ [المائدة: ٥١]. وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ...** ﴾ [المائدة: ٥٧]. نعم يجوز لنا أن نزورهم لكن إذا رجونا منهم الدخول في الإسلام، أو رجونا منهم مصلحة تعود على الإسلام والمسلمين، وإلا فلا يجوز.

إياك وأصحاب البدع، قال الفضيل بن عياض: إذا رأيت مبتدعًا في طريق فخذ في طريق آخر، ولا يُرفع لصاحب بدعة إلى الله عمل، ومن أعان صاحب بدعة، فقد

---

(١) رواه مسلم.

أعان على هدم الإسلام – والعياذ بالله (١)–

وهذا هو سليمان التيمي –رحمه الله– لما مرض مرض الموت، بكى بكاءً شديدًا، فقيل له: ما يبكيك؟ أتبكي جزعًا من الموت؟

قال: لا، ولكني مررت على «قدري» أي من الذين ينتسبون إلى القدرية فسلمت عليه، فأخاف أن يحاسبني ربي عليه(٢).

٢- الشرط الثاني: الالتزام بالآداب الشرعية للزيارة.. وسوف نذكرها.

٣- أن تكون الزيارة خالصة لله – عز وجل –:

قال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»(٣).

والمؤمنة الصادقة إذا أعطت أعطت لله، وإذا منعت منعت لله، وإذا زارت زارت لله، وإن أطعمت، أطعمت لله.. فلابد من إخلاص النية في الزيارة..

أنواع الزيارات

وتنقسم الزيارات من حيث حكمها إلى قسمين: الأول: زيارات واجبة

٢- زيارات مندوب إليها.

النوع الأول: الزيارات الواجبة: وتشمل زيارة الوالدين:

وزيارة الأبوين من أوجب الواجبات، حتى ولو كانا كافرين – والعياذ بالله – قال تعالى: ﴿**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفا**﴾ [لقمان: ١٥]. وهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنها – تقول كما روى البخاري وغيره: «**قدمت عليَّ أمي** وهي راغبة، **أفأصل أمي يا رسول الله؟** فقال ﷺ «**نعم صلي أمك**»(٤).

وزيارة الوالدين من البر الواجب على الأبناء لهما..

قال القرطبي: ولا يختص بر الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل إن كانا كافرين يبرهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد، قال تعالى: ﴿ **لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ**

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص١٢) ط القادسية وسير أعلام النبلاء.

(٢) الحلية (٣/٣٢) لأبي نعيم وتلبيس إبليس (ص١٤).

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

(٤) رواه البخاري، وأحمد وغيرهما.

يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ...﴾ [الممتحنة: ٨].

وقد روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ﷺ قال: مرَّ رسول الله ﷺ على زعيم المنافقين «ابن أبي سلول» وهو في ظل، فقال عن رسول الله: قد غبر علينا ابن أبي كبشة – يعني رسول الله ﷺ – فقال ابنه عبد الله: والذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب، لئن شئت لأتيتك برأسه؟! فقال ﷺ : «**لا .. ولكن بر أباك وأحسن صحبته**»(١).

أختي المسلمة ...

واحذري أن تتعللي في عدم زيارتهما بسبب من الأسباب، مثل انشغالك بأولادك، أو بأمور بيتك أو نحو ذلك، فالأمر جد خطير، وكما تفعلي معهما يفعل بك أبناؤك، فالبر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت افعلي ما شئت فكما تديني تداني.

قال محمد بن إسحاق: مرض رجل من جيراننا وكان يعيش مع زوجته وأولاده في منزله، وأمه كانت تسكن بعيدًا عنه، فلما علمت أمه بمرضه، جاءت لتعوده، وقد كان عنده طعام شهي، وفاكهة وشراب، فأرادت زوجته أن تكرمها بشيء مما عندهم، لكن الزوج أبي عليها ذلك، وقال لها: دعيها تخرج لشألها، فانصرفت أم الزوج، وبعد قليل وصلت إليه أم زوجته، فهش لها، وفرح بها، وأمر زوجته أن تقدم لها أشهى وأغلى ما عندها، ففعلت، فلما مضت إلى سبيلها، فغضبت عليه زوجته، وأنكرت عليه فعلته، وصممت على فراقه، فاجتمع الناس عليهم، وقالوا لها: إنه فعل ذلك إرضاءً لك، وتقربًا إلى قلبك، لكن الزوجة قالت لهم: إني أعلم ذلك، ولكني لا أنظر إلى اليوم، وإنما أنظر إلى المستقبل، فعما قليل يكبر سني، ويتزوج ابني، وسوف يفعل بي ما فعل أبوه بأمه، فشكر الناس لها عقلها، واعترفوا بفضلها، وأنها كانت على صواب(٢).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

(٢) سمير الصالحين وأنيس المتقين للشهاوي.

٢- إجابة الدعوة:

وإجابة الدعوة حق من حقوق المسلم على المسلم، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن شاء طعم وإن شاء ترك**»[١].

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من دُعي فلم يجب فقد عصى الله ورسوله**»[٢].
وشرط هذه الإجابة أو الزيارة كما سوف نوضح: موافقة الزوج، وألا يكون فيها اختلاط بين الرجال والنساء.

فإذا دُعيت إلى مكان فيه منكر، فإن قدرت على إزالتها، لزمك الحضور، لإزالة هذا المنكر، وإن لم تقدري فلا يلزمك الحضور أو الزيارة.

وإذا دعتك اثنتان إلى وليمتين فما الحكم؟

لو سبقت إحداهن، قدمت إجابتها، وإن لم تسبق إحداهن أجبت أقربهما إليك دارًا، وإذا تساوتا في السبق، فأجيبي أقربهما دارًا.

وإن حضرت في موضع فيه تماثيل - فإن كانت كالشجر - فاجلسي، وإن كانت على صورة حيوان - فإن كانت على بساط يُداس، أو مخدة يُتكأ عليها - جلست، وإن كانت على ستارة معلقة لا تجلسي لما روى عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتاني جبريل - عليه السلام -، فقال: أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فمُر برأس التماثيل التي كانت بالبيت تقطع فتصير كهيئة الشجرة، ومُر بالستر فليقطع منه وسادتان منبوذتان توطآن، ومرْ بالكلب فليخرج، ففعل رسول الله ﷺ ذلك**»[٣]. ولأن ما كان كالشجرة فهو كالكتابة والنقوش، وما كان على صورة الحيوان على حائط أو ستر فهو كالصنم، وما يوطأ فليس كالصنم، لأنه غير معظم.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦٣٣٧)، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٢٩).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٨٠٣٢)، وكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٨).

٣- زيارة المرضى:

وزيارة المرضى من الواجبات الدينية – أو الشرعية – للمسلم أو المسلمة، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**عودوا المرضى، واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة**»[1].

وقد اختلف العلماء في حكم زيارة المريض، فمنهم من قال بوجوبها لحديث البخاري: «**خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، و عيادة المريض، واتباع الجنائز**»[2].

ومنهم من قال بعدم الوجوب وأجابوا على أدلة من قال بالوجوب بأن الأمر محمول على مزيد الترغيب في عيادة المريض، والاعتناء بها، والاهتمام بشأنها.

وإذا كنت في عيادة إحدى الأخوات وأردت أن تخففي من حدة ألمها، أو تقللي من شكواها، فحسبك أن تذكريها – إن رأيت منها تقبلاً لهذا التذكير – بحديث الرسول ﷺ الذي رواه عنه أبو هريرة ﷺ قال: «**من يرد الله به خيرًا يصب منه**»[3]. أي يبتليها الله بالمصائب ليثيبها عليها. وروى بفتح الصاد والمعنى: يوجه إليها البلايا، فيصيبها، وهو أليق بالأدب لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** ﴾ [الشعراء: ٨٠]. ويشهد للأول حديث محمود بن لبيد أنَّ النبي ﷺ قال: «**إذا أحبَّ الله قومًا ابتلاهم فمن رضى فله الرضى، ومن سخط فله السخط**»[4].

وعن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياه**»[5].

بل وحسبك أن تبشريها بقول ربنا تبارك وتعالى في قرآنه: ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ**

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١٢٠٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٨١)، وصحيح الجامع (٤١٠٩).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٣٥١٣)، والألباني في صحيح الجامع (٢٨٥).

(٥) رواه البخاري، وأحمد وغيرهما، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٨١٨).

مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والمقصود من الصلاة في الآية المباركة: المغفرة والثناء الحسن الجميل من الرب الجليل جل في علاه... والرحمة: أي العطايا والإحسان.. والمهتدون: أي الكاملون في الهداية، فإن الرضا بالقضاء في كل حال علامة الهدى الكامل.

ولذلك لما نزلت الآية المباركة، قال عمر بن الخطاب ﷺ: نعم العدلان، ونعمت العلاوة، فالصلاة والرحمة، فهذان العدلان، وأولئك هم المهتدون، فتلك هى العلاوة.

أختي المسلمة ...

وإذا رأيت من تزورينها، أو تزورينه متواكلاً عن عدم الأخذ بأسباب الشفاء، فحدثي عن حكم التداوي، وقولى: كان من هدي النبي ﷺ التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه..

فعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لكل داء دواء، فإن أصاب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل**»(١).

وقال أسامة بن شريك: أتيت النبي ﷺ وأصحابه، كأنهم على رءوسهم الطير فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من هاهنا وهاهنا، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: «**تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد.. الهرم**»(٢).

وذكرى من تزورين بأن القرآن الكريم شفاء من كل داء، قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الإسراء: ٨٢]. فهو الشفاء التام من جميع الأمراض القلبية والبدنية، وفيه فاتحة الكتاب، شفاء تام، ودواء نافع، ورقية ناجحة لمن عرف مقدارها، وأعطاها حقها، فقد قال النبي ﷺ: «**فاتحة الكتاب شفاء من كل داء**»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم،

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٤٥٣٢)، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٥١٦٤).

(٢) رواه أحمد وغيره، وهو في صحيح الجامع للألباني برقم (٢٩٣٠).

(٣) رواه الدارمي والبيهقي في الشعب مرسلا بإسناد رجاله ثقات.

فلُدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء، فلم ينفعه شيء فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط، إنّ سيدنا لُدغ، وسعينا له بكل شيء فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله، إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم.

فانطلق يتفل عليه ويقرأ: الحمد لله رب العالمين.. فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبه، فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه.

فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا.. فقدموا على النبي ﷺ فذكروا له، فقال: «**وما يدريك أنها رقية؟**» ثم قال: «**قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهمًا**»[1].

وذكرى المريض أو المريضة التي تزورينها بالمعوذتين، فعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفس عنه بهن، وأمسح بيده نفسه لبركتها»[2].

وليكن اعتقاد المريض كاعتقاد المؤمن الذي يقول:

ذهبت أنادى طبيب الورى ... وروحي تناجي طبيب السماء

طبيبين: ذاك ليعطي الدواء ... وذاك ليجعل فيه الشفاء

٤- الزيارة لأجل العلم:

والعلم فريضة من الفرائض، وواجب من الواجبات، خاصة وإن كان هذا العلم متعلقًا بالعبادات كعلم الفقه أو غير ذلك من العلوم التي تتصل بكتاب الله عز وجل ومن أهل بيت النبي ﷺ من كانت تُلقب بـ «نفيسة العلوم» وهي بنت حسن الأنوار، ابن زيد الأبلج، ابن الإمام الحسن بن عليٍّ ﷺ سبط رسول الله ﷺ وحفيده.

ولدت بمكة سنة ١٤٥هـ ونشأت بالمدينة المنورة حيث كان والدها والي المدينة من قبل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيره ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري.

عاشت حياتها كلها في المدرسة المحمدية، حفظت القرآن الكريم، ودرست علومه وتفاسيره، فكانت تذهب إلى مسجد رسول الله ﷺ لتستمع إلى الحديث والفقه من كبار العلماء والفقهاء... فالتقت بالإمام مالك وأخذت عنه، وناقشت معه الكثير من القضايا الدينية..

عاصرت الإمام الشافعي ﷺ وأخذ عنها، وكان ينزل على رأيها في كثير من الأمور.. وكانت مستجابة الدعاء، فقد روى أن الشافعي إذا مرض يرسل إليها رسولاً من قبله، فيقرئها السلام، ويطلب منها الدعاء بالشفاء، فلا يرجع رسوله إلا وقد عوفى الإمام من مرضه، ولما مرض مرضه الأخير أرسل إليها كعادته، فقالت لرسوله: «متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم».

٥- زيارة الأقارب وذوى الأرحام:

قال تعالى في مفتتح سورة النساء: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [النساء: ١]. وذوو الأرحام مثل: الخال والخالة، والعم والعمة ونحو ذلك فعن ابن عمر - رضي الله عنهما — قال: أتى رسول الله ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله، إني أذنبت ذنبًا كبيرًا، فهل لي من توبة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**ألك والدان؟ قال: لا. قال: فلك خالة؟ قال: نعم فقال ﷺ : فبرها إذن**»[1].

وعن أسامة بن شريك قال: سمعت النبي ﷺ يقول في حجة الوداع: «**أمَّك وأباك، وأختك وأخاك، وأدناك أدناك..**».

وصلة الرحم تقرب من الجنة وتبعد عن النار، فقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار، فقال: «**تعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»[2].

---

(١) رواه أحمد (٤٦٢٤)، وابن الجوزي في البر والصلة وإسناده صحيح.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد.

الزيارات المستحبة

١- زيارة التعزية :

وقد شرعت التعزية لما فيها من التعاطف والتحابب، والتعاون على البر والتقوى، والحمل على الصبر، والرضا بالقدر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحث على الرجوع إلى الله - عز وجل - ليحصل الأجر.

ووقت التعزية من الموت إلى ثلاثة أيام بعد الدفن، وهى بعد دفن الميت أفضل **ولفظ التعزية**: لله ما أعطى، ولله ما أخذ، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى، فلتصبري ولتحتسبي - أو - أعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا الله وإياك الشكر وإياك والألفاظ المحرمة كقولك: البقية في حياتك.. وغيرها من الألفاظ.

٢- زيارة الجارات:

واجعلي الهدف من هذه الزيارة هدفًا نبيلاً، لا تجعلي هذه الزيارة لتضييع الأوقات، ولا لإهدار الدقائق والساعات، وإنما اجعليها للتعاون على البر والتقوى.

اجعليها للنصح للأخوات المسلمات، اجعليها للإرشاد إلى الخير وفي الخير، لا في الغيبة والنميمة، والتحدث عن أعراض الناس وأحوالهم.

حاولى أن تساعدي جارتك في حل مشكلاتها، وخاصة إن كانت بينها وبين زوجها..

كان من بين أصحاب النبي ﷺ صحابي جليل يسمى: «عثمان بن مظعون» ﷺ وكان عثمان متبتلاً، غير مشفق على نفسه في العبادة، حتى لقد همَّ ذات يوم أن يخصى نفسه.. وذات يوم دخل رسول الله ﷺ على السيدة عائشة - رضي الله عنها - ، فوجد معها بعض النسوة، فوقعت عينه على إحداهن، فكانت رثة الهيئة مكتئبة المُحيا.

فسأل رسول الله ﷺ عن أمرها، فقيل له: إنها زوجة عثمان بن مظعون وإنها تشكو بثها وحزنها، **لأن** عثمان مشغول عنها بالعبادة - يقوم ليله، ويصوم نهاره، وذهب الرسول حتى لقى ابن مظعون، فقال له: «**أما لك بي أسوة؟**» قال: بأبى أنت وأمي.. وماذا؟ قال رسول الله: «**تصوم النهار، وتقوم الليل؟**» قال: إني لأفعل. قال

الرسول ﷺ: «**لا تفعل. إن لجسدك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا**» فامتثل عثمان نصح الرسول وأمره، وقرر أن يؤدي حق أهله..

أختي المسلمة ...

لأن تمشي مع أختك في حاجة، قضيت أم لم تقض خير من أن تعتكفي في مسجد رسول الله ﷺ شهرًا كاملاً... واعلمي أن أحب الناس إلى الله، أنفعهم للناس.. وأن لله تعالى أقوامًا اختصهم بالنعم لمنافع العباد.. فإن منعوها نزعها منهم، وحولها إلى غيرهم. والجيران لهم حقوق نذكرها في موضعها..

٣- زيارة الأخوات المسلمات في الله:

وتلك هي الزيارة التي ينبغي أن تكون بين الأخوات المسلمات، وينبغي أن تكون هذه الزيارة لله، ومن أجل الله، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصم.

اجعلي هذه الزيارة للتحدث في أمور الخير، للمناقشة في أمر يهم المسلمين والمسلمات، لا تجعليها زيارة تصيبين بها السيئات بالتحدث عن الغيبة والنميمة، والفساد والشر..

قال ﷺ : «**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»(١).

اجعليها للنصح في الله، لأن الدين النصيحة كما قال سيد الناصحين ﷺ : «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: «**لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٢) والنصح من حقوق المسلمة على أختها المسلمة، قال ﷺ : «**وإذا استنصحك فانصح له**»(٣).

وقال ﷺ : «**إنَّ الله يرضى لكم ثلاثًا: يرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاَّه الله أمركم**»(٤). وتلك

---

(١) رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٣٠٥).

(٢) رواها مسلم (٥٥).

(٣) رواه مسلم (٢١٦٢).

(٤) رواه مسلم (١٧١٥).

صفات المؤمنات الصالحات المتناصحات في الله - عز وجل -...

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير[١].

وقال فرقد: قرأت في بعض الكتب: المحب لله - عز وجل — أمير مؤمر على الأمراء، زمرته أول الزمر يوم القيامة ومجلسه أقرب المجالس فيما هناك، يمشون بين خلقه بالنصائح..

آداب الزيارة

أختي المسلمة :

إذا علمت ذلك من أنواع الزيارات، فاعلمي أنه ينبغي هناك عدة آداب عليك أن تلتزمي بها كي ما تثمر زيارتك، وتكن في ميزان حسناتك عند الله - عز وجل - .. فهيا بنا نتعرف سويًّا على تلك الآداب:

- **الأدب الأول: استئذان الزوج:**

وهذا الأدب حق من حقوق الزوج على زوجته، كما قال ﷺ : «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحدًا، ولا تعزل فراشه...**»[٢].

وروى الطبراني بإسناده أن رسول الله ﷺ قال للمرأة الخثعمية: «**لا تصوم تطوعًا إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت، ولا يقبل منها، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب حتى ترجع**»[٣] وفي رواية للبيهقي: قيل: وإن كان ظالمًا؟ قال: «**وإن كان ظالمًا**» وذلك لأن خروج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها يترتب عليه من المفاسد ما لا يُحمد عقباه، وخاصة في هذه الأيام التي نعيش فيها.

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص١٠٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح، ورواه البخاري بنحوه.

(٣) رواه ابن ماجه، وأحمد والطبراني بإسناد رجاله ثقات.

أختي المسلمة ...

إذا كان الإسلام قد أمر الزوجة أن لا تصوم تطوعًا إلا بإذن زوجها فكيف بأمر خروجها من بيتها، حتى ولو كان هذا الخروج إلى بيت من بيوت الله، ولو إلى المساجد للصلاة أو لسماع دروس العلم.. وإذا خرجت وعصت الزوج كانت امرأة ناشزًا، امرأة عاصية لله ولرسوله، لأن الرسول ﷺ أمر الزوجة بطاعة زوجها، وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله تعالى: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ...** ﴾ [النساء: ٧٩].

- **الأدب الثاني: اختيار الأوقات المناسبة:**

وهذا الأدب يكون بالتعرف على أحوال المزور، وذلك ممكن بالاتصال التليفوني، وتحديد الموعد، والاتفاق عليه، فهذا يكون أنسب وأفضل، حتى لا تفجأ أختك المسلمة بزيارتك، وربما لا تثمر الزيارة.. وإن لم يكن لديك تليفونًا، وذهبت إلى زيارة إحدى الأخوات، فالتزمي بهذا الأدب، وهو:

الثالث: الاستئذان:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النور: ٢٧]. فقد ذكر المفسرون أنّ سببَ نزولَ هذا النداء المبارك أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على الحالة التي لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتيني آت فيدخل عليَّ، فكيف أصنع؟ فنزلت الآية[1].

وقوله: ﴿ **حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا** ﴾ فيه معنى دقيق: فليس المراد من اللفظ مجرد الاستئذان فقط، وإنما المراد معرفة أنس أهل البيت بدخول الزائر عليهم هل هم راضون بدخولك أم لا ؟

قال العلامة المودودي: (وقد يخطئ الناس إذ يجعلون كلمة (الاستئناس) بمعنى الاستئذان فقط مع أن الكلمتين بينهما فرق لطيف لا ينبغي أن ينصرف عنه النظر، فكلمة (الاستئناس) أعم وأشمل من كلمة الاستئذان[2].

---

(١) تفسير الطبري (ج١٨) (ص١١) وروح المعاني للألوسي (١٨/١٣٣).

(٢) تفسير سورة النور للمودودي (ص١٦٦).

▪ صفة الاستئذان:

الآية المباركة لم توضح عدد مرات الاستئذان، لكنّ السنة المطهرة بينت ذلك، قال ﷺ : «**الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك، وإلا فارجع**»(١).

فبالأولى يستنصتون، وبالثانية يستصلحون، وبالثالثة يأذنون أو يردون.

وحديث: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع**»(٢). وهذا أدب عظيم، ولا ينبغي أن تحزني إن لم يؤذن لك، لأن في الرجوع خير..

• هل السلام قبل الاستئذان؟

اختلف العلماء بأيهما يُبدأ: بالسلام، أم بالاستئذان؟ قال الإمام النووي —رحمه الله-: وتقديم السلام على الاستئذان هو الصحيح، ورأى جماعة من العلماء أن تقديم الاستئذان على السلام أولى.

ورأى ثالث: يرى تفصيل الأمر: إن كان القادم يرى أحدًا من أهل البيت سلّم أولاً ثم استأذن في الدخول، وإن كان القادم أو القادمة لا ترى أحدًا قدمت الاستئذان على السلام وهو قول جيد.

وسبب الخلاف ما ورد أن رجلاً من بني عامر استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أألج؟ فقال ﷺ : «**اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: السلام عليكم، أأدخل؟**» فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل، فأذن له النبي ﷺ فدخل(٣).

▪ ومن الأدب: أن لا يقف الزائر أو الزائرة على الباب:

فلا تستقبلي الباب بوجهك بل عليك أن تجعلي الباب عن يمينك أو يسارك، فقد صح أنه ﷺ كان إذا أتى باب قوم، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر.

وهذا الأدب يجب أن يلتزم به المسلم والمسلمة في عصرنا هذا، فإن الدور، ولو

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه أبو داود، وصححه الألباني.

كانت مغلقة الأبواب، فإن الطارق إذا استقبلها، فإنه قد يقع نظره عند فتح الباب على ما لا يجوز أو ما يكره أهل البيت اطلاعه عليه، قال ﷺ: «**إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر**»(١).

والمرأة كالرجل في وجوب الاستئذان، فعن أم إياس قالت: كنت في أربع نسوة نستأذن على عائشة - رضي الله عنها - فقلت: ندخل؟ فقالت: لا، فقالت واحدة: السلام عليكم أندخل؟ قالت: ادخلوا، ثم قالت: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ**﴾ [الآية].

- **ومن الأدب: أن لا تصحبي معك أطفالاً**

من شأن هؤلاء الأطفال العبث والإفساد، والإتلاف، فإن ذلك حرام لا شك فيه إلا أن يسامح المزور ويصفح.

- **ومن الأدب: أن لا تقولي: أنا**

فقد جرت العادة أن الباب حين يطرق، يسأل المزور من بالباب؟ فلا تقولي: أنا وإنما اذكري اسمك، فقولي: أنا فلانة..

ففي صحيح البخاري عن جابر قال: أتيت النبي ﷺ - في دين كان على أبي، فدققت الباب، فقال: **من ذا؟** قلت: أنا، فقال: «**أنا، أنا، كأنه كرهها**» لأن هذه اللفظة لا تُعرف بها شخصية المستأذن، والمقصود بالاستئذان الإفصاح لا الإبهام.

- **ومن الأدب: أن لا تتدخلي فيما لا يعنيك:**

فعدم التدخل فيما لا يعني من شئون المزورة من أدب الإسلام، قال ﷺ «**من حسن إسلام المرء تركهُ ما لا يعنيه**»(٢).

وكذلك لا تعيبى شيئًا في دار المزورة إلا أن يكون عندها منكر، كتماثيل ونحوها، فيجب الانكسار عليها.

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٧٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩١١).

▪ حاولي أن تجعلي من مجلسك فرصة لذكر الله تعالى، وذلك عن تدارس مسألة علمية أو الدعاء بالخير لأنفسهن، ولغيرهن، وذكر الصالحين والصالحات وقصصهن.

• إذا رأيت ما يعجبك في شقة المزورة أو في بيتها فقولى: ما شاء، لا قوة إلا بالله.. قال تعالى: ﴿ **وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه**﴾ [الكهف: ٣٩]. فكل فضل، وكل خير حاصل بمشيئة الله تعالى. قال أحد السلف: «من أعجبه شيء من حاله أو ماله، أو ولده، فليقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

▪ ومن الأدب: أن لا تغتابي المسلمين:

ابتعدى كل البعد عن زلات اللسان كالبعد عن الغيبة والنميمة، والاستهزاء بالمسلمات أو السخرية منهن، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ**﴾ [الحجرات: ١١]. وقال: ﴿ **وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً** ﴾ [الحجرات: ١٢].

ورحم الله القائل:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ ... فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك مساوئًا ... فصنها وقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتي هي أحسن

• وأخيرًا: عليك بدعاء ختام المجلس:

وقبل أن تغادري المكان الذي كنت فيه عند مزورتك اشكريها على حسن استقبالها ومروءتها، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله. ومن أسدى إليكم معروفًا فكافئوه فتقولى لها: جزاك الله خيرًا، أو بارك الله فيك.. أو نحو ذلك ثم تختمي بدعاء المجلس الذي علمه لنا رسول الله ﷺ وهو: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت. أستغفرك وأتوب إليك**»[1]. فإذا قلت ذلك، كفر الله عنك كل ذنب في ذلك المجلس.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٣٣) وقال: حسن صحيح ورواه أحمد في مسنده برقم (١٠٠٤٣).

أختي المسلمة ...

فإذا خرجت وودعت أختك المسلمة بتحية الإسلام لا ينبغي أن تقفي معها في الشارع، أو أمام المنزل لاستكمال الحديث، أو الكلام أو نحوه فإن ذلك يتنافى مع سلوكيات وآداب الطريق، وآداب الإسلام.

إلهـــي ...

يا من أمات وأحيا، وأقصى وأدنى، وأسعد وأشقى، وأضل وهدى، وأفقر وأغنى وقدر وقضى، نسألك أن تنور قلوبنا بنور هدايتك، وأن تلهمنا حب معرفتك، وأن تستر علينا بستر حمايتك.. اللهم ارزقنا الاعتماد عليك، والانقياد وإليك، والحب فيك والقرب منك، والأدب معك، يا رب العالمين.

❁❁❁

سلوك المرأة المسلمة

في

الطريق

حافظي على نظافة الطريق

أختي المسلمة ...

لقد اعتني الإسلام الحنيف بالطريق اهتمامًا كبيرًا، لدرجة أن رسولنا محمدًا ﷺ جعل إماطة الأذى عنه شعبة من شعب الإيمان.. قال أفضل الخلق ﷺ : «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[(١)].

وفي حديث آخر جعل نظافة الطريق، وإماطة الأذى عنه بمثابة الصلاة فقال: «**حملك عن الضعيف صلاة، وإنحاؤك الأذى عن الطريق صلاة**»[(٢)].

وجعل إماطة الأذى عن الطريق صدقة، فقال: «**وبكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقه**»[(٣)].

وجعلها من أفضل وأحسن أعمال المسلم أو المسلمة، فقال: «**عرضت عليَّ أعمال أمتي حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن**»[(٤)].

وجعل ﷺ رفع الأذى عن الطريق موجبًا لدخول الجنة فقال: «**بينما رجل يمشى بطريق، وجد غصن شوك، فأخره، فشكر الله له، فغفر الله له**»[(٥)].

وجعل الرسول الأعظم والنبي الأكرم ﷺ رفع الأذى عن الطريق من الصدقات التي يتصدق بها المسلم عن مفاصله، فقال: «**في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة**».

قالوا: فمن يطيق ذلك يا رسول الله؟

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن خزيمة.

(٣) رواه أحمد في مسنده.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

قال: «**النخامة في المسجد تدفنها، والشيء تنحيه عن الطريق، فإن لم تقدر، فركعتا الضحى تجزي عنك**»(١).

أليس كل هذا اهتمام بالطريق؟

أليس كل هذا اعتناء بنظافته واحتفاظ برونقه وجماله؟!

وهذا كله لأنه لا غنى لأحد عن الطريق، سواء كان امرأة أو رجلاً وسواء كان هذا الاحتياج إلى الطريق سيرًا فيه لقضاء حاجة، أو لجلب لمصلحة من المصالح، أو الجلوس فيه لغرض من الأغراض المباحة.. لهذا كله جعل الشارع الحكيم للسير في الطريق آدابًا أو حقوقًا، فجعل الجلوس في الطريق، أو السير فيه مسموحًا به، إذا تأدبنا بتلك الآداب فما هي تلك الآداب؟:

آداب السير في الطريق

الأصل في هذه الآداب، وتلك الحقوق حديث الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال ﷺ : «**إياكم والجلوس في الطرقات**».

قالوا: يا رسول الله، ما لنا بدٌّ من مجالسنا، نتحدث فيها.

قال: «**فإذا أبيتم إلا الطريق، فأعطوا الطريق حقه**».

قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟

قال: «**غض البصر، وكف الأذى،ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**»(٢).

وجاءت روايات أخرى فيها زيادة:

ففي سنن أبي داود: «**وإرشاد ابن السبيل، وتشميت العاطس إذا حمد الله**».

وعند الطبراني.. «**وأعينوا المظلوم، واذكروا الله كثيرًا**».

وعند البزار.. «**والإعانة على الحمل**».

وعند سعيد بن منصور... «**وإغاثة الملهوف**».

وقد نظمها الإمام ابن حجر العسقلاني في أربعة أبيات فقال:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

جمعت آداب من رام الجلوس على الطـ ـــريق من قول خير الخلق إنسانًا
أفش السلام وأحسن في الكلام وشمـ ـــت عاطسًا وسلامًا زاد إحسانًا
في الحمل عاون ومظلومًا أعن وأغث لهفـــان وأرشد سبيلاً واهد حيرانًا
بالعُرف مر، وانه عن نكر وكف أذى وغض طرفًا وأكثر ذكر مولانا[1]

وزاد العلامة عبد الباقي الحنبلي بيتًا وهو :
والصم والعمى أبلغ ثم دُل على الحا جـــات والأغبيا كن صاح فطانا

أولا: غضى بصرك:

والعين أداة البصر، هي سبب كل فتنة، وسبب كل آفة، ولذا قيل:
كــل الحــوادث مُبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كـــم نظرة فتكت في قلب صاحبها فـــتك السهام بلا قوس ولا وتر
والعـــبد مـــا دام ذا عـــين يقلـــبها في أعين الغيد موقوف على الخطر
يســـر ناظـــره مـــا ضـــر خاطره لا مرحـــبًا بســـرور عاد بالضرر

قال الحجاوي: فضول النظر أصل البلاء، لأنه رسول الفرج، أعني الآفة العظمى والبلية الكبرى، والزنا إنما يكون سببه في الغالب النظر.. وهو من الأبواب التي تفتح للشيطان على ابن آدم..

لهذا حذر الرب تبارك وتعالى منه الرجال والنساء، قال سبحانه: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ* وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ...﴾ [سورة النور: ٣٠, ٣١].

يقول الإمام الغزالي –رحمه الله-:

واعلم أني تأملت هذه الآية، فإذا فيها مع قصرها ثلاثة معان عزيزة: تأديب، وتنبيه، وتهديد...

- فأما التأديب ففي قوله سبحانه: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾ ولابد

---

(١) غذاء الألباب للسفاريني.

للعبد من امتثال أمر السيد، والتأدب بآدابه، وإلا فيكون سيىء الأدب.

- وأما التنبيه فقوله: ﴿ **ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ** ﴾ ومعنى أزكى: أي أطهر..
- وأما التهديد فقوله: ﴿**أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ فهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.. وكفى بهذا تحذيرًا لمن خاف مقام ربه فهذا أصل واحد من كتاب الله والعين نعمة من الله – عز وجل –، خلقها الله تعالى لنبصر بها، ولنتأمل هذا الوجود، وتلك الكائنات التي خلقها الله جل في علاه، يضعها صاحب كتاب «مع الله» فيقول:

هذه اللؤلؤة المكنونة، والدرة المصونة، في علبة رقيقة ثمينة، من جفنين وهدب، ورمشين تحفظها من الغبار، وتذود عنها الشمس!!

هذه «الكاميرا» الربانية التي دونها «**كاميرات**» المصورين جميعًا، إذ تستقبل من المناظر والمشاهد الملايين والملايين، وكيف لا تفوقها جميعًا وهي من صنع المصور الأعظم؟!

من جعل ماءها المطهر لها ملحًا، بينما جعل ماء الأذن مُرًّا، وماء الأنف حامضًا؟ من نوَّع ذلك وهو في الأصل واحد؟!

لو أعطيت مليونًا من الجنيهات أو أكثر ثمنًا لتلك الجوهرة، لا تبخل بها مع ارتفاع السعر ارتفاعًا خياليًّا؟

فسبحان من تلهج له النفوس ثناء وتقديسًا، وتعنو الوجوه له تعظيمًا وتمجيدًا!

أختي المسلمة [١]...

اجعلي نظرك عبرًا، وسكوتك فكرًا، وحديثك ذكرا...

تبصــر حيث كان لك التبصر ... وفي ذات الإلــه دع الـــتفكر

وإن تــرد المهــيمن حين تذكر ... تــأمل في نبات الأرض وانظر

إلى آثـــار مـــا صـــنع المـلـــيك

فـــأنوار المهــيمن ســـاطعات ... وأفكـــار الخلائـــق حائـــرات

ولكـــن الأدلـــــه واضحات ... أصـــول مـــن لجـــين زاهرات

عـــلى أغصـــانها ذهـــب ســـبيك

(١) نقلاً من الحقوق الإسلامية لطه عبد الله العفيفي (ص١٤٧، ١٤٨) بتصرف.

شمــوس في الــبرية مشــرقات نجــوم في الديــاجى لامعــات
بطــول الدهــر دومًا سابحات إلى مــا لســت أدرى طائرات
يطـــير بهـــا الجـــرم الســـميك

أختي المسلمة ...

اجعلي عينك من الأعين التي لا ترى النار... وهل هناك أعين لا ترى النار؟ يقول النبي المختار ﷺ: «**ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين باتت تحرس في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله**»(١).

أختاه ...

إنك إذا غضضت بصرك عن محارم الله، طهر الله قلبك ونوره بنور الإيمان ولهذا ذكر الله - عز وجل - آية النور في قوله: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [النور: ٣٥] عقب قوله: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** ﴾ [النور: ٣١].

إنك إذا غضضت بصرك أعطاك الله فراسة أهل الإيمان...

قال شجاع الكرماني: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وأكل الحلال، لم تخطئ فراسته.

أنواع النظر

أختي المسلمة ...

والنظر ينقسم إلى أقسام متعددة :

١- منها ما هو محرم كنظرك إلى الرجال الأجانب من غير حاجة تبيح لك ذلك وأشد حرمة النظر بشهوة، والنظر إلى عورة الرجل.. وعورة الرجل ما بين سرته إلى ركبته، ولذلك لما سأل أحد أصحاب النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟

قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك، أو ما ملكت يمينك**».

قال: يا نبي الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض؟

---

(١) رواه الطبراني بإسناد رجاله ثقات.

قال: «**إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها**»(١).

لكن عورة المرأة جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين.

٢- ومنها ما هو مستحب، وهو النظر لأجل الخطبة، وكذلك للخاطب أن ينظر إلى من أراد خطبتها لحديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**»(٢).

قال جابر: فخطبت امرأة فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها.

٣- ومنها ما هو مباح: كنظر الفجأة ..

فعن جرير ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**».

وقال لعلي بن أبي طالب ﷺ : «**يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة**»(٣).

ويباح نظر كل من الزوجين إلى جميع بدن صاحبه، وكذا لمسه حتى الفرج وقال العلماء: يكره النظر إلى الفرج فقط.

ويباح نظر المرأة إلى المرأة ما دون الركبة وفوق السرة.

• ثانيًا: ردي السلام:

وفي إفشاء السلام ورده ثواب عظيم، فعن عمران بن حصين ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال: السلام عليكم، فرد عليه السلام، ثم جلس، فقال النبي ﷺ : «**عشر**» ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردّ عليه فجلس، فقال: «**عشرون**» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليه، فجلس، فقال ﷺ : «**ثلاثون**» أي حسنة(٤).

وقال ﷺ : «**إنَّ أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام**»(٥).

---

(١) رواه أحمد (١٩٩١٧) بإسناد صحيح (١٥/١٠٦)، والترمذي (٢٧٦٩) وحسنه، وابن ماجه (١٩٢٠)، والحاكم وصححه (٤/١٨٠)، ووافقه الذهبي، وأبو داود (٤٠١٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٤٥٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٠٦).

(٣) رواه الترمذي، وأحمد في مسنده (٢٢٨٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٥٣).

(٤) رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، والبيهقي، والنسائي، وإسناده حسن.

(٥) رواه أبو داود، وصححه الألباني، ورواه الترمذي وحسنه.

وقد قال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ [النساء: ٨٦].
والسلام فيه فوائد متعددة منها:

١- امتثال سنة المصطفى ﷺ وقد قال: «**من كان من أمتي فليستن بسنتي**».

٢- والخروج من الحرمة على القول بأنه واجب، وإن كان الصحيح المعتمد عدم الوجوب.

٣- والخروج من البخل، وقد ورد أنه لا يدخل الجنة بخيل.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أعجز الناس من عجز في الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام**»(١).

وعن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أسرق الناس الذي يسرق صلاته**» قيل: يا رسول الله، وكيف يسرق صلاته؟

قال: «**لا يتم ركوعها ولا سجودها، وأبخل الناس من بخل بالسلام**»(٢).

٤- **ومنها**: حوزة الفضيلة، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير**» وفي رواية: «**يسلم الراكب على الماشي**»(٣).

٥- **ومنها**: حصول السلامة، لحديث البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أفشوا السلام تسلموا**»(٤).

ومعناه: تسلموا في الدنيا من الإثم والبخل، أو من أعم من ذلك من نكبات الدنيا، ومن أهوال الآخرة.

٦- **ومنها**: موافقة تحية أهل الجنة، فإن تحية أهل الجنة السلام، قال تعالى: ﴿ **وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ** ﴾ [يونس: ١٠].

٧- **ومنها**: إدراك الفضيلة في إفشاء اسم الله (السلام):

قال ﷺ : «**السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض فأفشوه بينكم**»(٥).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد.

(٢) رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة بإسناد جيد.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وأبو داود.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٥) رواه البزار وإسناده صحيح.

قال مجاهد -رحمه الله-:

كان عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - يأخذ بيدي، فيخرج إلى السوق، يقول: إني لأخرج، ومالى حاجة إلا لأُسلم ويُسلم عليَّ، فأعطى واحدة واحدة، وآخذ عشر، يا مجاهد، إنّ السلام من أسماء الله تعالى، فمن أكثر السلام أكثر ذلك الله تعالى(١).

متى يكره إفشاء السلام ورده؟

أختي المسلمة ...

يكره السلام على جماعة منهم: المتوضئ، ومن في الحمام، ومن يأكل، أو يقاتل، وعلى تال، وذاكر، وملبٍّ، ومحدث، وخطيب، وواعظ، وعلى مستمع لهم، ومكرر فقه، ومدرس، وباحث في علم، ومؤذن، ومقيم، ومن على حاجته، ومتمتع بأهله، أو مشتغل بالقضاء، ونحوهم.

فمن سلم في حالة لا يستحب فيها السلام لم يستحق جوابًا، قال الناظم:

رد السلام واجب إلى على — من في الصلاة أو بأكل شغلا

أو شرب أو قراءة أو أدعية — أو ذكر أو في خطبة أو تلبية

أو في قضاء حاجة الإنسان — أو في إقامة أو الأذان

أو سلّم الطفل أو السكران — أو شابة يخشى بها افتتان

أو فاسق أو ناعس أو نائم — أو حالة الجماع أو تحاكم

أو كان في الحمام أو مجنونًا — فهي اثنتان قبلها عشرونا(٢)

ويحرم أن يرد وهو في الصلاة لفظًا وتبطل به، ويجوز إشارة، لأن النبي ﷺ لم ينكر على من سلم عليه من أصحابه وهو في الصحيحين، ولأنه ﷺ ردّ على ابن عمر إشارة، وعلى صهيب، كما روى الإمام أحمد والترمذي وصححه.

---

(١) غذاء الألباب (١/٢٧٩).

(٢) غذاء الألباب للسفاريني (١/٢٨٢).

ثالثًا- مري بالمعروف وانهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ففي الآية بيان لإيجاب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كما بينت أنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

لكن ما هو المعروف وما هو المنكر؟

المعروف هو: الذي عرفه الناس بأنه الأمر المحبوب من الشارع الحكيم سواء كان واجبًا أم مسنونًا، فيه مصلحة للفرد والجماعة، فيه البر والإحسان.

أما المنكر: فهو ما أنكره الدين، ونهى عنه رب العالمين، لما فيه من الإضرار بالفرد والمجتمع كشهادة الزور، والتبرج، وغير ذلك..

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبه الثلاثة واجب على كل مسلم ومسلمة حسب ما تيسر.

قال الإمام ابن حزم في المحلى:

«الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم، إن قدر فبيده، فإن لم يقدر فبلسانه، وإن لم يقدر فبقلبه ولابد، وذلك أضعف الإيمان، فإن لم يفعل فلا إيمان له»[1].

أختي المسلمة ...

لكن لابد إذا أردت أن تأمري بالمعروف، وتنهي عن المنكر، أن تتصفي بالحلم واللين، والكلمة الطيبة، المهذبة، المؤدبة، قال تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: ١٢٥].

وعليك أن تختاري الموعظة التي تناسب مقتضى الحال.

قال الإمام ابن تيمية -رحمه الله-:

لابد للآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر من أمور ثلاثة: العلم، والرفق، والصبر، لأن بالعلم تعرف الأمر، وتكون معك الحجة القوية التي تقنع بها، وترد بها، ولأن

---

(١) المحلى لابن حزم الظاهري (٩/٣٦١).

الرفق واللين يمكناك من الوصول إلى بغيتك.

وتأملي هذا الموقف الذي يدل على أن الرفق واللين مطلوبان في كل الأمور، ذات يوم استأذن رجل في الدخول على الخليفة العباسي (المأمون) فلما أذن له دخل إليه وحياه، ثم أخبره أنه ما جاء إلا ليعظه، ويخبره بعيوبه، وينصحه فما كان من هذا الرجل إلا أنه تكلم بلهجة حادة، وأغلظ في القول.

فتعجب المأمون من الرجل الذي لم يقدم له النصيحة في رفق ولين، فقال له: يا رجل ارفق بنا، فقد بعث الله من هو خير منك، إلى من هو شر مني.

فتعجب الرجل، وقال متسائلاً: من الذي بعثه الله ناصحًا وهو خير مني، ومن هو شر من الخليفة؟

فقال له المأمون: بعث الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون، وقال لهما: ﴿ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

يقول الدكتور محمود عمارة:

من حق كل مسلم أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأن يجاهر بهما، وإذا فرضت عالمية الدعوة أن يكون لها جهاز متخصص، خبير بأصولها، قادر على التصدى لمكر الأعداء بالليل والنهار، فإن ذلك لا ينفى مسئولية كل مسلم في حدود إمكاناته، مهما كان موقعه، متى توفر له ما يلى:

(أ) علم بالمأمور به، والمنهى عنه.

(ب) قدر من اللين يستميل به القلوب.

(ج) صبر يعينه على الوصول بالموعظة إلى قرارها.

(د) حكمة تمكنه من وضع الأمور في مواضعها[1].

قصة :

ذكر أن النعمان بن المنذر – ملك العراق – جلس في ظل شجرة متنزهًا، يشرب الخمر، فأراد عدى بن زيد – وكان حكيمًا– أن يعظه دون أن يحرجه فقال: أيها الملك، أتدري ماذا تقول هذه الشجرة؟

(١) من الذي يغير المنكر وكيف؟ للدكتور محمود عمارة (ص٢٨) مكتبة الإيمان.

قال الملك: ماذا تقول؟

قال عدي: تقول:

رُبّ ركبٍ قد أناخوا حولنا ... يمزجون الخمر بالماء الزلال

ثم صاروا لعب الدهر بهم ... وكذا الدهر حالاً بعد حال

فتنغص النعمان، وترك شرب الخمر.

• رابعًا: كفى الأذى :

وقد ذكرنا أن إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، والأذى كلمة تطلق ويراد بها القليل من الضرر، كما في قوله تعالى: ﴿ **لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى** ﴾ [آل عمران: ١١١]. وقد يطلق الأذى على القليل والكثير.

وربَّ أذى قليل لا يعبأ المرء به، ينشأ منه ضرر كثير، كقشرة الموز مثلاً إذا وضعت في طريق الناس، فقد تكون سببًا في كسر قدم إنسان، فيعجز عن المسير، ويقعد عن العمل.

وإسلامنا الحنيف يأمرنا بالعدل والرحمة، وهما صنوان متلازمان لا يفترقان، ومن العدل أن لا يخلف الإنسان وراءه أذى بعد انصرافه من مجلسه، بل يتلاشى ذلك قبل مجلسه وأثناءه وبعده.

وقد نهى النبي ﷺ عن إيذاء عباد الله المؤمنين فقال ﷺ: «**لا تؤذوا عباد الله، ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته**»[1].

والإيذاء قد يكون بالسخرية، وقد يكون بالهمز واللمز، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الحجرات: ١١].

والسخرية من الناس من أعظم أنواع الأذى، فمن تحب أن يسخر الناس منها كائنة من كانت؟

---

(١) رواه أحمد في مسنده (بإسناد صحيح).

إنَّ في السخرية من الناس جرحًا لمشاعرهم وتنقصًا من إنسانيتهم، واحتقارًا لمكانتهم بين الناس ومقامهم عند الله - عز وجل -.

الإسلام لا يمنع عمل المرأة ... ولكن بشروط

أختي المسلمة ...

إن الإسلام دين الفطرة، وهو دين واقعي يضع الأمور في حدودها الطبيعية، ويقف الموقف الوسط، فالله - عز وجل - هو الذي خلق الإنسان من ذكر وأنثى - يعلم أن هناك ظروفًا قد تضطر المرأة للخروج إلى عمل من الأعمال، فهو يسمح للمرأة أن تخرج للعمل أو لغيره للضرورة، على أنَّ الضرورة تقدر بقدرها.. وهذه الضرورة: إما ضرورة تقتضيها حاجة المجتمع من ناحية.. وإما ضرورة تقتضيها حاجة امرأة بعينها من ناحية أخرى.

لكن الأصل الأصيل في مهمة المرأة أن تقوم برعاية بيتها وزوجها، وتربية أولادها خلقيًّا وصحيًّا لتعد جيلاً صحيحًا ينفع أمته ومجتمعه.

كما أن الأصل الأصيل في مهمة الرجل هو العمل والكدح، والجد والاجتهاد، والكفاح لأن النفقة واجبة عليه لزوجته وأولاده ومن يعول، قال تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [النساء: ٣٤].

والإسلام الحنيف لم يفرض على المرأة أن تظل حبيسة بيتها لا تخرج منه، بل أباح لها ما يتناسب مع طبيعتها وحدودها، وقد أباح لها الخروج إلى المسجد للصلاة، وطلب العلم، وقضاء الحاجات، وكل غرض ديني أو دنيوي مشروع، فقد قال ﷺ لزوجته سودة: «**قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن**» إنّ تعليم البنات، وتطبيب النساء، والتمريض، وما إلى ذلك من أمور ينبغي أن تقوم بها المرأة..

وهناك كما ذكرنا ضرورة حاجة امرأة بعينها، مثل: امرأة فقدت زوجها، أو كبر أبوها في السن، ولا يوجد من يقوم بشأنها كأخ أو غيره، فتضطر للخروج لتعصم نفسها وأطفالها اليتامى من الضياع..

أو في حالة وجود ضائقة لمن يعولها، فهذا - أي العمل والخروج إليه - أفضل

من الابتذال في سبيل العيش، وقد خرجت ابنة شعيب - عليه السلام — حين اضطرتها الحياة لذلك، قال تعالى حكاية عنها:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٣-٢٦].

ما يستنتج من قصة موسى - عليه السلام — مع بنات شعيب

أختي المسلمة ...

إنَّ الآية المباركة تحدد الإطار الذي يسمح فيه للمرأة بالخروج للعمل وهو:

أولاً: أن يكون هناك ضرورة وعلة تلجئ المرأة فيها إلى الخروج للعمل، وتتمثل هنا في قوله تعالى: **﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾** [القصص: ٢٣] فأبوهما شيخ كبير في السن لا يقدر على الرعي، ومجالدة الرجال.

ثانيًا: أن ظروف المرأة التي اضطرتها للخروج للعمل يجب ألا تنسيها أنها امرأة وتدخل في زحام الرجال، ويجب ألا تخرجها عن نوعيتها بحيث تحسب نفسها رجلاً، بل تأخذ الضرورة بقدرها ما أمكن، وتؤديان مهمتهما **﴿ لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾** وذلك حتى لا تحتكا بالرجال عند مزاحمتهم على الماء.

ثالثًا: يجب أن يسيطر على أفراد المجتمع النخوة والفطرة السليمة، وأن يقفوا موقف الرجولة والشهامة والمروءة بإعانة المرأة التي اضطرتها الظروف للخروج للعمل على أداء مهمتها، حتى تسرع بالعودة إلى بيتها، وهذه متمثلة في قوله تعالى: **﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾** وهذه من صفات النفوس النبيلة، والفطرة السليمة.

رابعًا: في خروج المرأة للعمل يلزمها الشارع أن تكون على هيئة من الوقار والاحتشام والالتزام بالحجاب، فتكون نظرة المجتمع إليها أنها ما دامت قد خرجت لضرورة وهي محتشمة فهي امرأة محافظة على كرامتها، امرأة محافظة على عرضها

وشرفها، وامرأة تستحق من المجتمع الاحترام والتقدير، لذلك كان خير ما وصف به القرآن الكريم ابنة شعيب هو الحياء، قال تعالى:

﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ** ﴾ أي في غير تبرج، ولا تبجح، ولا تبذل، ولا إغواء.

خامسًا: أن المرأة حين تخرج للعمل مضطرة عليها أن تعمل على إنهاء الضرورة ما أمكنها، حتى لا تضطر للاستمرار في الخروج، ولذلك لما وجدت الفتاة الإنسان القوي الأمين طلبت استئجاره للعمل بدلاً منها، فقالت:

﴿ **يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** ﴾ إنه مطلب الأنوثة المستقيمة السليمة، والمرأة العفيفة فإنها وأختها تعانيان من رعى الغنم، ومن مزاحمة الرجال.

سادسًا: يجب أن يكون إنهاء ضرورة الخروج للعمل بحل إسلامي محض:

ولذلك فقد أخذ شعيب - عليه السلام - برأي ابنته في استئجار موسى للسقاية، مع حكمة في التصرف، وروعة في تصوير إحساس فتاة تشير على أبيها باستئجار رجل أعجبتها أمانته وقوته، لتنهى ضرورة خروجها للعمل بأسرع وقت ممكن. فيحتاط شعيب على أن لا يكون موسى أجيرًا في البيت كرجل أجنبي مع بنات، وهي أن يكون زوجًا لإحدى الابنتين، وفي نفس الوقت محرمًا للبنت الأخرى، فيزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه، ويرعى ماشيته ثماني سنوات، فإن زادها إلى عشر فهو تفضل منه لا يلزم به[1]...

﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [القصص: ٢٧].

نستخلص من هذا: أن الإسلام يرخص في خروج المرأة للعمل عند وجود ضرورة ملجئة إلى ذلك، وبشرط مراعاة حدود التستر والتزام الحياء، وعلى أن تقدر الضرورة بقدرها، وعلى أن تعمل المرأة على إنهاء تلك الضرورة في أسرع وقت ممكن.

---

(١) الحقوق العامة للمرأة بتصرف.

لطيفة: يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله –: «لقد أسندت الدعوة إلى أبيها، وعللتها بالجزاء، حتى لا يفهم موسى – عليه السلام – أنها راغبة فيه، ولئلا يوهم كلامها ريبة في نفس موسى، وفي كلامها من الدلالة على كمال العقل والعفة والحياء ما لا يخفى».

قصة: عندما التقى موسى – عليه السلام – بالشيخ، إذ هو بالعشاء، فقال له شعيب: كل. قال موسى: أعوذ بالله تعالى.

قال شعيب: ألست بجائع؟

قال موسى: بلى، ولكن أخاف أن يكون عوضًا لما سقيت لها، وإنا أهل بيت لا نبيع شيئًا من عمل الآخرة بملء الأرض ذهبًا.

قال شعيب: لا والله، ولكنها عادتي وعادة آبائي، نقرى الضيف، ونطعم الطعام فجلس موسى – عليه السلام –، فأكل[1].

أختي المسلمة ...

قد ذكرت آنفًا أن الإسلام الحنيف لم يفرض على المرأة أن تظل حبيسة في بيتها، وإنما أباح لها الخروج لأجل عمل ديني أو دنيوى مشروع ومن ذلك :

١- الخروج للصلاة في المسجد:

فعن سالم بن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهم – أن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها**» قال: فقال بلال بن عبد الله: لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دَغَلاً (أي فسادًا وخداعًا وريبة) فأقبل عليه عبد الله بن عمر، فسبه سبًّا سيئًا ما سمعته سبه مثله قط وقال: أخبرك عن رسول الله، وتقول أنت: لنمنعهن»[2].

وعن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ﷺ وهى زوجة عمر بن الخطاب ﷺ أنها كانت تستأذن عمر في الخروج إلى المسجد، فيسكت، وكان يقول لها: والله، إنك لتعلمين أني ما أحب هذا.

(١) رواه ابن عساكر عن أبي حازم.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ في القبلة وما جاء في خروج النساء إلى المساجد.

وكان عمر رجلاً غيورًا، فتقول: والله لأخرجن إلا أن تمنعني فلا يمنعها، وقد طُعن عمر، وإنها لفي المسجد.

وفي رواية:

كانت تشهد صلاة الصبح والعشاء في المسجد في جماعة، فقيل لها: لم تخرجين وأنت تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟

قالت: فما يمنعه أن ينهاني؟

قالوا: يمنعه قول رسول الله ﷺ : «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[١].

وقد كان عمر ﷺ وقافًا عند كتاب الله وأوامر رسول الله ﷺ .

٢- دعوة الخير في العيدين:

فعن أم عطية الأنصارية - رضي الله عنها - قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق والحيض، وذوات الخدور، فأما الحُيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين...

قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب؟

قال: «**لتلبسها أختها من جلبابها**»[٢].

٣- طلب العلم:

لقد أقبلت المرأة المسلمة على العلم منذ أن أكرمها الله تعالى بالإسلام، فنهلت من معينه، وأخذت منه بسهم وافر.

فهذه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بنت أبي بكر، الصديقة بنت الصديق الفقيهة الربانية، والمبرأة من فوق سبع سموات.

قال عنها عروة بن الزبير: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه، ولا بطب، ولا بشعر من عائشة[٣].

---

(١) رواه البخاري (٩٠٠) في الجمعة.

(٢) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له ورواه أحمد، والترمذي، وأبو داود.

(٣) طبقات ابن سعد (٣٩/٧).

وقال أبو موسى الأشعري ﷺ: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا».

وقال مسروق: «رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض».

وجاء في فتوح البلدان للبلاذرى:

أنَّ أم المؤمنين حفصة بنت عمر - رضي الله عنها - كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة تدعى «شفاء العدوية» فلما تزوجها رسولنا ﷺ طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه، كما علمتها أصل الكتابة[١].

٤- الخروج للعلاج:

كأن تذهب إلى الطبيبة المسلمة للعلاج، فإن لم توجد الطبيبة المسلمة فالطبيب المسلم شريطة أن يكون معها محرم.

فعن الربيع بنت معوذ قالت: كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقى القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة[٢].

ففيه جواز معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبي للضرورة...

٥- صلة الرحم وزيارة صديقاتها المسلمات:

لأن صلة الرحم مأمور بها في الكتاب والسنة قال ﷺ : «**من أراد أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[٣].

ما يجب أن تسلكه المرأة المسلمة في طريقها

أختي المسلمة ...

إذا نويت الخروج من بيتك لحاجة أو لأمر من الأمور التي ذكرتها فينبغي عليك أن تفعلي ما يأتي:

١- أن تستأذني:

من أب أو زوج، أو أخ، لأنهم المسئولون عنك وعن رعايتك، قال ﷺ : «**كلكم**

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (٢٧٧/١).

(٢) رواه البخاري.

(٣) تخرج في موضع آخر.

راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل في بيته راع ومسئول عن رعيته...»[(١)].

ولابد أن يعرف الأب أو الزوج أو من هو مسئول عنك المكان الذي سوف تذهبين إليه، فربما كان هناك خطر أو ضرر يعود عليك لكنك لا تعرفينه، فيرشدك أو ينصحك بخبرته.

٢- أن تذكري دعاء الخروج:

يسن إذا خرجت من البيت أن تقولي ما روته أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أزل أو أُزل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل عليَّ**»[(٢)].

فإذا كان خروجك مقصودًا به المسجد فقولي ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال: «**اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وعن يميني نورًا، وخلفي نورًا، وفي عصبي نورًا، وفي لحمي نورًا، وفي دمي نورًا، وفي شعري نورًا، وفي بشري نورًا**»[(٣)].

٣- أن ترتدي الحجاب الشرعي:

فينبغي على نساء المؤمنين الاستجابة إلى الالتزام بما فرضه الله عليهن من الحجاب والستر والعفة والحياء طاعة لله تعالى، وطاعة لرسوله محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد أمر رب العزة جل في علاه رسوله محمدًا ﷺ أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين عامة بالاحتشام والتستر في ملابسهن، فقال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ**

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) رواه الترمذي، وصححه، وأبو داود، وابن ماجه، وغيرهم بإسناد صحيح.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

فَلاَ يُؤْذَيْنَ...﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قالت أم سلمة - رضي الله عنها - لما نزلت هذه الآية، خرج نساء الأنصار، وكأن على رءوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها.

ففي افتراض الحجاب حكم وأسرار عظيمة، وفضائل محمودة منها:-

١- **حفظ العرض:** الحجاب حراسة شرعية لحفظ الأعراض، ودفع لأسباب الريبة والفتنة والفساد.

٢- **طهارة القلوب:** نعم هو طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات، وعمارتها بالتقوى وتعظيم الحرمات، وصدق الله إذ يقول: **﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾** [الأحزاب: ٥٣].

٣- **مكارم الأخلاق:** ففي لبس الحجاب دعوة إلى مكارم الأخلاق من عفة واحتشام وحياء، وغيرة، وحجب مساويها من التلوث بالشائنات، كالتبذل والتهتك..

٤- **علامة ظاهرة للعفيفات:** فالحجاب علامة شرعية على الحرائر العفيفات في عفتهن وشرفهن، وبعدهن عن دنس الريبة والشك: **﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ ﴾** [الأحزاب: ٥٩]. وصلاح الظاهر دليل على صلاح الباطن.

٥- **قطع الأطماع والخواطر الشيطانية:** فالحجاب يقطع الأطماع الفاجرة، ويكف الأعين الخائنة، ويدفع أذى الرجل في عرضه، وأذى المرأة في عرضها ومحارمها.

٦- **حفظ الحياء:** وهو مأخوذ من الحياة، فلا حياة بدونه، وهو خلق يودعه الله تعالى في النفوس التي أراد سبحانه تكريمها، فيبعث على الفضائل، وهو شعبة من شعب الإيمان، وهو محمود خصال العرب التي أقرها الإسلام ودعا إليها.

قال عنترة العبسي:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي ... حتى توارى جارتي مأواها

فآل مفعول الحياء إلى التحلي بالفضائل، وإلى سياج رادع، يصد النفس ويزجرها عن تورطها في الرذائل.

وما الحجاب إلا وسيلة فعالة لحفظ الحياء، وخلع الحجاب، خلع للحياء.

٧- المرأة عورة، والحجاب ساتر لها، وهذا من التقوى، قال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

قال عبد الرحمن بن أسلم -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «يتقي الله فيوارى عورته فذاك لباس التقوى».

وفي الدعاء المرفوع إلى النبي ﷺ: «اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي» وهذه الفضائل المحمودة، والفوائد العظيمة، إنما هى للحجاب الذي اجتمعت فيه الشروط الآتية:

١- أن يكون ساترًا لجميع البدن.

٢- ألاَّ يكون كثيفًا غير رقيق.

٣- ألاَّ يكون زينة في نفسه.

٤- أن يكون فضفاضًا غير ضيق، لا يجسم البدن.

٥- ألاَّ يكون لباس شهرة.

٦- ألاَّ يشبه لباس الكافرات.

٧- ألاَّ يشبه ثياب الرجال.

ثالثًا: جانبي التبرج والسفور:

فهما محرمان شرعًا.. لكن ما هى حقيقة كل منهما؟

التبرج أعم من السفور، فالسفور خاص بكشف الغطاء عن الوجه، لكن التبرج هو كشف المرأة وإظهارها شيئًا من بدنها أو زينتها المكتسبة أمام الرجال الأجانب.

والتبرج يكون بأمور:

١- يكون بخلع الحجاب، وإظهار المرأة شيئًا من بدنها أمام الرجال الأجانب عنها.

٢- يكون بإبداء المرأة شيئًا من زينتها المكتسبة مثل ملابسها التي تحت جلبابها.

٣- يكون بتثني المرأة في مشيتها وتبخترها وتكسرها أمام الرجال.

٤- ويكون بالضرب بالأرجل، ليعلم ما تخفى من زينتها، وهو أشد تحريكًا للشهوة من النظر إلى الزينة.

٥- ويكون التبرج بالخضوع بالقول والملاينة بالكلام.

٦- ويكون بالاختلاط بالرجال، وملامسة أبدانهن أبدان الرجال، بالمصافحة أو التزاحم في السيارات أو القطارات، أو الممرات الضيقة ونحوه..

قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى** ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال سبحانه: ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ** ﴾ [النور: ٦٠].

وقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[١].

ومعنى (كاسيات عاريات): أي تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها.

وأما قوله: (مائلات مميلات) أي يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن.

• رابعًا: لا تضعي العطور ولا الأصباغ:

فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أيما امرأة استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية**»[٢].

قال المباركفورى: زانية، لأنها هيجت شهوة الرجال بعطرها، وحملتهم على النظر إليها، ومن نظر إليها فقد زنا بعينيه، فهي سبب زنا العين، فهي آثمة.

حتى ولو كان هذا الطيب للصلاة في المسجد..

فعن أبي هريرة ﷺ يقول: خرجت من المسجد، فرأيت امرأة تنضخ طيبًا، لذيلها إعصار – أي غبار – فقلت لها:

---

(١) رواه مسلم، وأحمد في مسنده، والألباني في صحيح الجامع برقم (٣٧٩٩)، والصحيحة برقم (١٣٢٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٩٥٩٩) بإسناد صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٧٠١).

يا أمة الجبار، من المسجد جئت؟ قالت: نعم.

قال: وله تطيبت؟ قالت: نعم.

قال: فارجعي، فإني سمعت أبا القاسم يقول: «**لا يقبل الله لامرأة صلاة تطيبت للمسجد، أو لهذا المسجد حتى تغتسل غسلها من الجنابة**»[(١)].

▪ خامسًا: لا تغيري خلق الله بصورة من الصور:

وذلك كوشم الأبدان، ووشر الأسنان، ونمص الحواجب..

ففي الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ **لعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة**»[(٢)].

وفي حديث ابن مسعود ﷺ قال: «**لعن الله الواشمات، والمستوشمات والنامصات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، والمغيرات خلق الله**».

قال العلماء: يحرم على المرأة المسلمة إزالة شعر الحاجبين، أو إزالة بعضه بأي وسيلة من الوسائل، كالحلق والتقصير، أو استعمال المادة المزيلة له، أو لبعضه، لأن هذا هو النمص الذي لعن الرسول ﷺ من فعلته.. وكذلك وصل الشعر بما يسمى (الباروكة) فهو حرام شرعًا..

▪ سادسًا: عدم المشي في وسط الطريق:

فعن أبي أسيد الأنصارى أنه رأى رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «**استأخرن، فإنه ليس لكنَّ أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق**» فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إنَّ ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[(٣)].

▪ سابعًا: تجنب الخلوة:

لقول رسول الله ﷺ: «**ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما**»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، وابن ماجه في سننه (٤٠٠٢)، وعبد الرزاق في مصنفه وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤١٧٤).

(٢) رواه البخاري، ومسلم وغيرها.

(٣) رواه أبو داود (٥٢٧٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٨٥٦).

(٤) رواه الترمذي، وأحمد وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٩٣٤).

فلا يجوز للمرأة أن يختلى بها رجل أجنبي عنها في أي مكان، ومن تساهل في ذلك، فلا يأمن على نفسه الوقوع في الفاحشة، أو وقوع أهله فيها.

▪ ثامنًا: لا تصافحي الرجال الأجانب:

قال ﷺ: «**لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»[1].

ونبينا محمد ﷺ لم يصافح امرأة قط.. فقد قال في مبايعته للنساء: «**إني لا أصافح النساء، وما قولى لامرأة واحدة إلا كقولي لمائة امرأة**».

تاسعًا: عليك بالرفقة الصالحة:

ينبغي على المرأة المسلمة أن تدقق فيمن تصاحب، فيمن تصادق، فيمن تسير معها وما أحسن ما ضربه لنا رسول الله ﷺ مثلاً لذلك، فقال: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**»[2].

ولأن الإنسان لابد أن يتأثر ويؤثر فيمن يصاحبه ويصادقه ويجالسه، نجد أن النبي ﷺ يقول: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**».

لذلك فإن المرأة الصالحة هى التي تختار من ترضى دينها وخلقها وأمانتها...

وصدق الشاعر حين قال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... إنّ القرين بالمقارن يقتدى

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردي فتردى مع الردى

فكم من فتاة عرفت طريق الشيطان بسبب رفقة السوء!

وكم من فتاة عرفت طريق الله بسبب الرفقة الصالحة!

يقول الشافعي -رحمه الله-: لولا القيام بالأسحار، وصحبة الأخيار، ما اخترت البقاء في هذه الدار.

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٩٢١).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

وقال بعض السلف: عليك بصحبة أهل الخير، ممن تسلم منه في ظاهرك، وتعينك رؤيته على الخير، ويذكرك الله.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ :

«لا تتكلم فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله - عز وجل - ويطيعه، ولا تمش مع الفاجر، فيعلمك من فجوره، ولا تطلعه على سرك، ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله».

▪ عاشرًا: امشي في أدب ووقار وتواضع:

فالتواضع: أن لا ترين لنفسك فضلاً على غيرك.. والتواضع المطلوب هو التواضع الذي لا يؤدي إلى منقصة ولا مذلة، ولا يقدح في شرف الإنسان ولو بطريق غير مباشر.

قال ﷺ : «**طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسألة، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره..**»[١].

لكن كيف يكون التواضع لله - عز وجل -؟

يكون بعدة أمور:

١- النظر في مبدأ خلقها من أين خلقت؟ ومم خلقت؟

قال تعالى: ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ* خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ** ﴾ [الطارق: ٥-٧]. فإذا فكر وتدبر عرف قدرة نفسه التي لا تساوى شيئًا...

٢- النظر إلى مصيرها ومستقرها، وماذا قدمت لنفسها من عمل صالح؟

فأنت خلقت من التراب، وإلى التراب تعودين، والموت أقرب إليك من شراك نعلك، وبعده تتساوى الرءوس، ويوضع الرئيس بجانب المرءوس، فإذا عرفت ذلك المصير المحتوم تهون عليك الدنيا بما فيها.

---

(١) رواه الطبراني بإسناد رجاله ثقات.

٣- النظر فيما أعده الله للمتواضعين، وما أعده للمتكبرين، فقد أعد الأجر العظيم للمتواضعين والمتواضعات.

قال ﷺ : «**إنّ من أحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدقون والمتفيهقون**» قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعز إزاري، فمن نازعني في واحدة منهما عذبته**»(٢). أي عذبته في دنياه وآخرته فالعذاب عذابان: دنيوي وأخروي، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [القلم: ٣٣].

وفي الصحيحين من حديث حارثة بن وهب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل-** » أي غليظ - جواظ - المختال - مستكبر»(٣). فلو نظرت المتكبرة المختالة إلى هذا الوعيد الشديد الذي توعد الله به أهل الكبر، لضاقت عليها الدنيا بما رحبت، وضاقت عليها نفسها، وأخذ منها الخوف كل مأخذ..

• الحادي عشر: الدعاء عند دخول المنزل:

قال الإمام النووي في الأذكار: يستحب أن تقول: بسم الله، وأن تكثر من ذكر الله تعالى وأن تسلم سواء كان في البيت آدمي أم لا لقول الله تعالى: ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً** ﴾ [النور: ٦١].

وفي الترمذي عن أنس ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ : «**يا بني، إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك**»(٤).

وفي سنن أبي داود عن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا ولج**

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وأحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن جابر.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

(٤) رواه الترمذي وحسنه.

الرجل بيته – أو المرأة – فليقل: اللهم إني أسالك خير المولج، وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله»[١].

وعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته** – وكذا المرأة – **فذكر الله تعالى عند دخوله، وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء»**[٢].

موعظة[٣]

إماء الله:

إنّ من نظرت إلى الدنيا بعين البصيرة، أيقنت أن نعيمها ابتلاء، وحياها عناء، وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، إما بنغمة زائلة أو بلية نازلة، أو أمنية قاضية.

مسكينة من اطمأنت بدار حلالها حساب، وحرامها عقاب، إن أخذت من حلالها حوسبت عليه، وإن أخذت من حرامها عذبت به.

والناس في الدنيا قسمان:

فطناء قد وفقهم الله، فعلموا أنها ظل زائل، ونعيم حائل، وأضغاث أحلام، بل فهموا أنها نعم في طيها نقم، وعرفوا أنها حياة فانية، وأنها معبر وطريق إلى الحياة الباقية، فرضوا منها باليسير، وقنعوا منها بالقليل، فاستراحت أبدانهم من نصبها وعنائها، وسلم لهم دينهم، وكانوا عند الله هم المحمودين..

جعلوا النفس الأخير وما وراءه نصب أعينهم، وتدبروا ماذا يكون مصيرهم، وفكروا كيف يخرجون من الدنيا وإيمانهم سالم لهم، وما الذي يبقى معهم في قبورهم.

أدركوا كل هذا فتأهبوا للسفر الطويل، وأعدوا الجواب للحساب، وقدموا الزاد للمعاد، وخير الزاد التقوى، فطوبى لهم، خافوا فأمنوا، وأحسنوا ففازوا وأفلحوا.

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود, والسلسلة الصحيحة برقم (٢٢٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) دروس الزمان للسلماني.

إن لله عـــــبادًا فطـــــنًا طلقــوا الدنــيا وخافوا الفتنا
نظــروا فــيها فــلما عــلموا أنهــا ليســت لحــي ســكنا
جعلوهـــا لجـــة واتخـــذوا صـــالح الأعمـــال فـــيها سفنًا

والقسم الثاني من الناس:

جهال عُمى البصائر، لم ينظروا في أمرها، ولم يكشفوا سوء حالها ومآلها، برزت لهم الدنيا بزينتها ففتنتهم، فإليها أخلدوا، وبها رضوا، ولها اطمأنوا، حتى ألهتهم عن الله تعالى، وشغلتهم عن ذكر الله وطاعته. ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ** ﴾ [الحشر: ١٩].

قال علي بن أبي طالب ﷺ :

من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا، ولا عن النار مهربًا: من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الآخرة فطلبها.

❁❁❁

نسأل الله رب العالمين أن يوفقنا لسلوك مناهج المتقين، وأن يجعلنا بكرمه وفضله من عباده المخلصين، وأن يوفقنا لصالح الأعمال، وأن يجنبنا الأهوال وأن يؤمننا يوم الفزع الأكبر، يوم الزحف والزلزال، وأن يستر عيوبنا، وأن يهدي نساءنا ونساء المسلمين، يا رب العالمين.

سلوكيات المرأة المسلمة

في

الكلام

خطر اللسان

أختي المسلمة ...

إنّ الإنسان لم يفضل على سائر الكائنات إلا بالنطق المترجم عن مطالب عقله الذي أنعم الله به عليه.

لـولا الكـلام لما تبينا الهدي ... وتعطلـت في دينـنا الأحكام

فـزن الكلام إذا أردت تكلمًا ... ودع الفضول ففي الفضول ملام

وأداة هذا الكلام هى «**اللسان**» وهو من أخطر أعضاء الإنسان نفعًا، وضررًا، لهذا قال معلم البشرية ﷺ : «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[١].

وقال لمعاذ رضي الله عنه : «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»[٢] فهو أطيب ما في البدن، إن طاب، وهو أخبث ما فيه إن خبث.. لذلك لما أمر لقمان الحكيم أن يذبح شاة ويأتي لسيده بأطيب عضوين، أحضر القلب واللسان، ثم أمره سيده مرة أخرى أن يذبح شاة ويأتيه بأخبث عضوين، فأحضر له القلب واللسان، فتعجب سيده قائلاً له: لقد أمرتك أن تأتيني بأطيب عضوين، فأتيت بالقلب واللسان، وأمرتك أن تأتيني بأخبث عضوين، فأتيت بالقلب اللسان، فما سر ذلك؟

قال لقمان: يا سيدي، هما أطيب ما في البدن إذا طابا، وأخبث ما فيه إذا خبثا ولخطره العظيم دون سائر الأعضاء، فإنها تناشده كل يوم بأن يتقى الله فيها يقول سيد الخلق ﷺ : «**إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء تذكر اللسان فتقول له: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، إذا استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوجنا**»[٣].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ورواه ابن ماجه (٣٩٧٣)، والألباني في صحيح الجامع (٣٢٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٠٩)، وابن خزيمة، والبيهقي في الشعب وذكره الألباني في صحيح الجامع (٣٥١).

أختي المسلمة ...

أتعلمين لماذا خلق الله - عز وجل - لك لسانًا واحدًا وأذنين؟

يقول أبو الدرداء ﷺ:

أنصف أذنيك من فيك، إنما جعل لك أذنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تتكلم

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ يقول: يا لسان، قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن شر تسلم، من قبل أن تندم[1].

وكان يقول: والله الذي لا إله إلا هو، ليس شيء أحوج إلى طول سجن من لساني.

أختي المسلمة ...

والكلام الذي نتكلمه على عدة أضرب :

١- إما أن يكون فيه حذر محض فلابد من السكوت عنه.

٢- وإما أن يكون فيه ضرر ومنفعة، فإن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح.

٣- وإما أن يكون لا منفعة فيه ولا ضرر، فهو حينئذ فضول، واشتغالك به مضيعة للوقت الذي هو رأس مالك.

٤- وإما أن يكون لحاجة أو منفعة، وهو الذي يجب أن يُطلق به اللسان.

قال عطاء بن أبي رباح[2]:

إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام، ما عدا كتاب الله تعالى أن يُقرأ، أو أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو أن تنطق في حاجتك في معيشتك التي لابد لك منها، أتنكرون: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ* كِرَاماً كَاتِبِينَ** ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]. ﴿ **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ* مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق: ١٧، ١٨] أما يستحى أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره، كان أكثر ما فيها، ليس من أمر دينه ولا دنياه[3]؟

(١) رواه البيهقي في الشعب وذكره ابن أبي الدنيا في الصمت والهيثمي في المجمع وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات (١٠/٢٩٩).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٨٤)، والزهد لأحمد والحلية (١/١٣٤).

(٣) حلية الأولياء (٥/٣) لأبي نعيم.

أختاه ...

إنّ كثرة الكلام مدعاة لطول الحساب!

وكثرته مذهبة للهيبة والبهاء !

كثرته مذهبة للرزانة والوقار !

وكثرته مدعاة لكثرة الأخطاء !

أختاه ...

طيب الكلام .. طريق يقرب إلى دار السلام

إذا تكلمت فليكن كلامك طيبًا، وحين يكون ذلك كذلك، تكوني قد اقتربت بطيب الكلام من دار السلام، يقول سيد الأنام ﷺ : «**إنَّ في الجنة غرفًا يُرى بطونها من ظهورها، وظهورها من بطونها**».

فقام إليه أعرابي، فقال: لمن هي يا رسول الله؟

قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وصلى لله بالليل والناس نيام**»[1].

وعن محمد بن المنكدر –رحمه الله– قال: «يمكنكم من الجنة إطعام الطعام، وطيب الكلام»[2].

وما حض رسولنا ﷺ على هذه الخصلة العظيمة، وأرشدنا إلى التحلى بها، إلا لعلمه بخطرها، وعلو شأنها، وارتفاع مكانها بين خصال الخير..

وطيب الكلام من شيم الكرام، ودليل على حسن الأخلاق، وقد كان ﷺ كما وصفته السيدة عائشة - رضي الله عنها – لما سُئلت عن أخلاقه قالت: «**كان أحسَن الناس خلقًا، لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا صخابًا في الأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح**»[3].

إذًا طيب الكلام من حسن الأخلاق وكلاهما يثقل الميزان، قال ﷺ : «**أثقل ما يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة: حسن خلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء**»[4].

---

(١) رواه الترمذي، وأحمد في مسنده عن أبي مالك الأشعري وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١٤٩/٣)، وابن أبي الدنيا.

(٣) رواه الترمذي في السنن، وأحمد وابن أبي الدنيا وإسناده صحيح.

(٤) رواه ابن حبان، وابن أبي الدنيا في الصمت وابن سعد في الطبقات وإسناده صحيح.

أكثري في حديثك من ذكر الله

فالذاكرون والذاكرات يذكرهم الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وفي الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»[١].

﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وذكر الله يطمئن القلوب، ويرطب الألسن، ويقوى الأبدان.

قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقد أرشد النبي ﷺ ابنته فاطمة - رضي الله عنها - إلى ما هو خير لها من خادم فقال لها، لما جاءت تسأله خادمًا.

«**ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تسبحين الله ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثًا وثلاثين، وتكبرين الله أربعًا وثلاثين حين تأخذين مضجعك**»[٢].

فبذكر الله ترفع الدرجات، وتحط الخطيئات، وتغفر الذنوب والزلات.

وبذكر الله يخنس الشيطان، ويهدأ الغضبان.

فعليك بذكر الله، والإكثار منه، وذكرى الناس بالله في كلامك، واذكريه عند بيعك وشرائك، عند دخولك وخروجك، وذهابك وإيابك، ومجلسك ومقامك، وسائر أحوالك...

ذكر الله يرضى الله عنك، ويجلب محبته لك، ومن ثم يُحبب فيك الخلق، فإذا أحب الله عبدًا دعا جبريل، فقال: «**إني أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل ثم يوضع له القبول في الأرض**»[٣].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه البخاري، وأحمد وغيرهما.

قولي للناس حسنًا

أختي المسلمة ...

فإن كان لابد من الكلام فليكن قولك حسنًا جميلاً فهذا هو الأصل في التخاطب قال سبحانه: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً** ﴾ [البقرة: ٨٣]. فتلك وصية الله لعباده.. فالكلمة الطيبة تحول العدوة اللدودة إلى صديقة حميمة بإذن الله تعالى.. وتجعل الضغائن التي في القلوب محبة ومودة وولاء !

قال ﷺ : «**الكلمة الطيبة صدقة**»(١).

الكلمة الطيبة يتقى بها نار جهنم – والعياذ بالله – قال ﷺ : «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة**»(٢).

فكم من مشكلة حُلت بسبب كلمة طيبة !!

وكم من بلية قد دُفعت بسبب كلمة طيبة !

وكم من مشاحنات وعداوات قد رفعت بسبب كلمة طيبة !!

وعلى العكس من ذلك، فكم من جرائم قد ارتكبت، ونيران قد استعرت، وكم من فتن قد اشتعلت بسبب كلمة خبيثة!

بل وكم من أرواح قد أزهقت، وأنفس قد قتلت، وأسر قد شردت بسبب كلمة خبيثة!

قال سبحانه: ﴿ **وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [فصلت: ٣٤].

فلتكن أختي المسلمة الكلمة الطيبة شعارك، ولتجري الكلمة الطيبة دومًا على لسانك...

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد في مسنده وابن أبي الدنيا في الصمت.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد في مسنده، وابن ماجه، والدارمي، والنسائي، وابن عساكر، وابن أبي الدنيا.

تحري الصدق وتجنبي الكذب

أختي المسلمة ...

الصدق حلية الأولياء، وشعار الأنبياء لذلك أوصانا النبي ﷺ به ونهانا عن الكذب، فقال: «**عليكم بالصدق، فإنّ الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»(١).

والكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، وقد ورد في كتاب الله تعالى أكثر من مائتين وثمانين آية كلها تنهي عن الكذب، وتبين العاقبة السيئة للمكذبين والكاذبين والكاذبات.

وقد اقترن الكذب بالنفاق والكفر قال ﷺ : «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر**»(٢).

قال أبو حاتم: إنّ الله جل وعلا فضل اللسان على سائر الجوارح، ورفع درجته، وأبان فضيلته بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده، فلا يجب على العاقل أن يعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب، بل يجب عليه، المداومة برعايته بلزوم الصدق(٣).

ابتعدي عن السب والفحش وبذاءة اللسان

أختي المسلمة ...

لا تعودي لسانك السب والشتم، فقد ورد النهي عن ذلك قال ﷺ : «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»(٤).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص٤٩).

(٤) رواه البخاري، ومسلم.

وأنت أختي المسلمة قد أمرت بالتأسي بالإمام الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ ، ولم يكن السب ولا اللعن، ولا الفحش من أخلاقه..

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : «**لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا لعانًا، ولا سبابًا وكان يقول عند المَعْتبة ماله ترب جبينه**»(١).

وقد وصف الرسول ﷺ المسلمين والمسلمات، ونفى أن تكون هذه الصفات لهم، فقال: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا بالفاحش، ولا بالبذيء**»(٢).

وليس المقصود أن تنزه المسلمة لساها فقط عن لعن مثلها، ولكن يتعدى النهي عن اللعن حتى للريح، فقد لعن رجل الريح عند رسول الله ﷺ فقال له: «**لا تلعن الريح فإنها مأمورة، من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه**»(٣).

وقد وصف رسول الله ﷺ البذيء بالإفلاس، يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال: «**المفلس: من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وحج وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(٤).

ولو لم يكن إلا كراهة الله - عز وجل - للفحش وأهله زاجرًا عن هذا الخلق الذميم لكان كافيًا.

قال ﷺ : «**إنّ الله لا يحب الفاحش المتفحش ولا الصياح في الأسواق**»(٥).

خاطبي الناس على قدر عقولهم

أختي المسلمة ...

تأملي أفهام من حولك من الناس الذين لك علاقة بهم قبل أن تتحدثي معهم،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في مسنده، والترمذي في سننه وإسناده صحيح.

(٣) رواه الترمذي (١٩٧٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٩٠٨).

(٤) رواه مسلم، والترمذي وغيرهما.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد.

ولا تفتنيهم بحديثك، فإن خاطبت جاهلة فترفقي بها، وحديثها بما يتناسب معها، خاصة إذا كان حديثك في الدين ...

قال ﷺ : «**حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذب الله ورسوله؟**» وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ قال: «**ما أنت بمحدث قومًا حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**».

لأجل ذلك كان رسولنا محمد ﷺ كان يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع العلوم والمعارف دون البعض الآخر..

ففي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ - وكان معاذ رديفه-

قال: **يا معاذ** قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثًا)

قال: **ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار**».

قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟

قال: «**إذًا يتكلوا**» وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا[1].

لا تتعالى على الناس في مخاطبتهم

كوني متواضعة، خافضة للجناح عند خطابك مع أخواتك وإخوانك من المحارم وغيرهم ممن تتعاملي معهم.

فهذا هو نبينا محمد ﷺ يخاطب هرقل في رسالته قائلا: «**بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم**»[2].

وفي ثنايا الرسالة: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذا هو نبي الله سليمان - عليه السلام – حين أرسل رسالته إلى ملكة سبأ قال

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

فيها: ﴿ **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١]. فلم يقل من نبي الله سليمان، ولا من سليمان الملك، وإنما من سليمان ...

لأجل ذلك وصفت ملكة سبأ هذا الخطاب بقولها: ﴿ **إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ** ﴾ [النمل: ٢٩] حقًا إنه كريم، لأنه التزم فيه أسلوب التواضع، ولم يتعال في خطابه فقد قال نبينا محمد ﷺ: «**إنّ الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»(١).

لا تخضعي بالقول للرجال

أختي الفاضلة ...

ليكن حديثك مع الرجال في ضرورة، وإن لم تكن هناك ضرورة فلا تتحدثي إليهم.. وإن تحدثت فابتعدي عن الكلام اللين، احذري الكلام المرقق فإن الله تبارك وتعالى قد أمر نساء النبي ﷺ – أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن- بأن لا يخضعن بالقول...

قال سبحانه: ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً** ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

والمعنى: لا ترققن الكلام، ولا تنطقن به بطريقة لينة متكسرة، تثير شهوة الرجال وتجعل مريض القلب يطمع في النطق بالسوء معكن، فإن من محاسن خصال المرأة أن تنزه خطابها عن ذلك لغير زوجها من الرجال.

وإذا كان التحذير لأمهات المؤمنين وهن الطاهرات المطهرات عن الخضوع بالقول، حتى يكنَّ في ذلك عبرة وعظة لغيرهن في كل زمان ومكان ..

ومخاطبة المرأة لغير زوجها من الرجال بطريقة لينة مثيرة للشهوات، والغرائز، تؤدي إلى فساد كبير.. لذلك قال سيد الخلق ﷺ: «**اتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم، وابن ماجه، وأحمد.

لا تخوضي في الباطل

وهو الكلام في المعاصي، وأعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثر خوضًا في الباطل وكانت الإشارة إلى النهي عنه، فقال سبحانه: ﴿ **وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ** ﴾ [المدثر: ٤٥].

وقد كان الربيع بن خثيم –رحمه الله– يقول: لا خير في الكلام إلا في تسع: تهليل وتسبيح، وسؤالك من الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءتك للقرآن[١].

لا تكثري من الحلف والأيمان

لأن الإكثار من الحلف والأيمان شأن أهل الكفر والنفاق، قال تعالى مخاطبًا حبيبه محمدًا ﷺ : ﴿ **وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ** ﴾ [القلم: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿ **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [المنافقون: ٢].

وقد أمرك الله تعالى وكل المؤمنين والمؤمنات بحفظ الأيمان، فقال سبحانه: ﴿ **وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ** ﴾ [المائدة: ٨٩].

أما إذا دعت الحاجة إلى الحلف أو اليمين فلا بأس بذلك إذا كان لنفي تهمة، أو لتثبيت حكم أو لتأكيد مودة ومحبة ونحو ذلك..

ويجوز الحلف لتأكيد أمر من الأمور، أو لبيان أهمية الأمر، فقد كان النبي ﷺ يؤكد يمينه فيقول: «**والذي نفسي بيده...**»[٢].

ولما سرقت المخزومية وأراد أسامة بن زيد أن يشفع لها قال ﷺ : «**وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**»[٣]. وكان يقسم ويقول: «**ومقلب القلوب**» وإذا أقسمت أو حلفت فلا تقسمي ولا تحلفي إلا بالله تعالى أو بصفة من صفاته قال ﷺ : «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»[٤].

---

(١) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/١٢٩)، وابن أبي الدنيا في الصمت.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري، ومسلم وغيرهما.

(٤) رواه البخاري، ومسلم.

لا تفعلي كما تفعل الجاهلات وتحلف بأبيها أو أمها أو جدها... فهذا مخالف لما كان عليه السلف الصالح – رضوان الله عليهم- قال ﷺ : «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» لأن القسم أو الحلف تعظيم للمحلوف به، وليست العظمة لأحد إلا لله تعالى.

لا تمدحي أحداً بما ليس فيه

أختي المسلمة ...

والمدح منهى عنه، لأنه كما قال العلماء يدخله ست آفات: أربع في المادح، واثنتان في الممدوحة، فأما المادحة:

الأولى: أنها قد تفرط فيه، فينتهي بها إلى الكذب.

الثانية: أنها قد يُداخلها الرياء والنفاق.

الثالثة: أنها قد تقول ما لا تتحققه، ولا سبيل لها إلى الاطلاع عليها.

الرابعة: أنك قد تفرحين الممدوحة وهى ظالمة أو فاسقة، وذلك غير جائز.

وأما الممدوحة فيضرها المدح من وجهين:

الأولى: يحدث لها كبرًا أو إعجابًا وهما مهلكان:

الثانية: أنك إذا أثنيت على أحد فرح وفتر ورضى عن نفسه، وقل تشميره للعمل.

وقد كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يحترزون من الكبر والمدح، فعندما كان أبو بكر الصديق ﷺ إذا مدحه أحد قال: «**اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مما يظنون**».

وفي الحديث: «**إذا كان أحدكم لابد مادحًا أخاه فليقل: أحسب فلانًا، ولا أزكى على الله أحدًا**»(١).

وقد سمع عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً يثنى على رجل، فقال: أسافرت معه؟

قال: لا. قال: أخالطته في المبايعة والمعاملة؟ قال: لا.

قال: فأنت جاره صباحه ومساءه؟ فقال: لا.

فقال: والله الذي لا إله غيره لا أراك تعرفه(٢).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد في مسنده.

(٢) الصمت لابن أبي الدنيا.

ابتعدى عن المراء والجدال

والمراء هو: الطعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله، وإظهار مرتبته عليه.

وأما الجدال: فهو عبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه كوصفه بالجهل.

وكلاهما منهى عنه ..

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان، حتى يدع المراء وإن كان محقًا، ويدع كثير من الحديث مخافة الكذب**»[(١)].

وكان من وصية لقمان لابنه قوله: «أي بني، لا تعلم العلم تباهي به العلماء أو تماري به السفهاء، أو ترائى به في المجالس». .

وسمع الربيع بن خثيم يلاحي رجلاً، فقال: مه – أي ما هذا؟ - لا تلفظ إلا بخير، ولا تقل لأخيك إلا ما تحب أن تسمعه من غيرك، فإن العبد مسئول عن لفظه، مُحصى عليه ذلك كله ﴿ **أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ** ﴾[(٢)] [المجادلة: ٦].

أختي الفاضلة ...

إنّ أكثر الجدال وأغلبه سائد في عامة النساء، وهى صفة ذميمة سيئة. فابتعدي عنها، حتى ولو كان لك الحق فيه، فقد بشرك نبي الخير ﷺ بالجنة، قال ﷺ : «**أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك الجدال وهو محق**»[(٣)].

إياك والتقعر في الكلام

والتقعر في الكلام هو التشدق به، وقد قال ﷺ : «**يأتي الناس زمان يتخللون فيه الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها**»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، وابن أبي الدنيا في الصمت.

(٢) ابن أبي الدنيا في الصمت والغزالي في الإحياء.

(٣) صحيح سنن أبي داود للألباني.

(٤) رواه الترمذي، وأحمد، وأبو داود بإسناد صيحح.

والمعنى: أنه يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في إظهار بلاغته، وخص البقر لأنها تجمع النبات بلسانها لا بأسنانها.

والتقعر في الكلام أصحابه هم المتنطعون، قال ﷺ: «**ألا هلك المتنطعون**» ثلاث مرات(١).

وإياك والثرثرة

فالثرثرة الكلامية سبب في شقاء الكثير من النساء، فكفاهن أن الله يبغضهن قال ﷺ : «**إنَّ أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**».

قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين – وهم الذين يكثرون الكلام بلا داع – وقد علمنا المتشدقين، فما المتفيهقون؟

قال: «**المتكبرون**»(٢).

فإذا كان ما يخرج من لسانك يحصيه ملكان فلماذا تتكلمين فيما لا يفيد؟

﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق: ١٨].

يقول الحَسنَ في تفسير هذه الآية: كأن الله - عز وجل – يقول: يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك، فيحفظ عليك حسناتك، وأما الذي عن شمالك، فيحفظ عليك سيئاتك، فاعمل بما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة(٣).

أختاه ...

فالأولى بك أن تعي مسئولية الكلمة التي تنطقين بها، حتى تلبسي ثوب الوقار، وتأمني مؤنة الاعتذار.

قال بعض البلغاء: الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار.

---

(١) رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود.

(٢) رواه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، وأبو نعيم في الحلية والطبراني في الكبير وإسناده حسن.

(٣) ذكره ابن جرير في تفسيره (٦/ ١٠٠).

لا تتكلمي فيما لا يعنيك

أختي المسلمة ...

عليك أن تعرفي قدر زمانك، واعلمي أنك محاسبة على القليل والكثير، فالزمي الصمت فيما لا يعنيك قال ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»(١). وقد كان لقمان عبدًا حبشيًّا أسود اللون، فأعطاه الله الحكمة وفصل الخطاب فسئل يومًا: ما بلغ بك ما نرى؟

قال: بتركي ما لا يعنيني(٢).

وعن زيد بن أسلم قال: دُخل علي ابن أبي دجانة وهو مريض، ووجهه يتهلل، فقال: «ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنتين: لم أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليمًا»(٣).

ولله در من قال:

فإن عبت قومًا بالذي فيك مثله … فكيف يعيب الناس من هو أعور

وإن عبت قومًا بالذي ليس فيهم … فذلك عند الله والناس أكبر

ابتعدي عن الهمز واللمز

أختي المسلمة ...

ابتعدي عن الهمز واللمز في حديثك مع الآخرين، فهما من أخبث الأمراض قال تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** ﴾ [الهمزة: ١].

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وذكر عنده رجلاً بسوء، وإذ بعمر رضي الله عنه يقول له: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبًا، فأنت من أهل هذه

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٨)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وأحمد في مسنده (١٧٣٧) بإسناد صحيح وصححه الألباني.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٢/١٦٣).

(٣) ذكره ابن سعد في الطبقات (٣/١٠٢)، والذهبي في السير (١/٢٤٣)، وابن أبي الدنيا في الصمت.

الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات: ٦]. وإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ* مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ [القلم: ١١، ١٢]. وإن شئت عفونا عنك.

فقال الرجل: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا.

لا تفشين سرا

المؤمنة الصادقة هي التي تجعل لسانها من وراء قلبها، فإن كانت الكلمة فيها إرضاء الله تعالى أمضاها على لسانها، وإن كانت غير ذلك استغفرت الله وتابت إليه، ومن بيت النبوة نتعلم كيف نحافظ على الأسرار، فتروى أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فتقول: كنا أزواج النبي ﷺ جميعًا لم تغادر منا واحدة، فأقبلت فاطمة - رضي الله عنها - إلى رسول الله ﷺ تمشي، ولا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ فلما رآها رحب بها، قال: «**مرحبًا بابنتي**» ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم سارَّها، فبكت بكاء شديدًا، فلما رأى حزنها سارَّها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلت لها: أنا من بين نسائه خصك رسول الله ﷺ بالسر من بيننا، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها عما سارَّك؟

قالت: ما كنت لأفشى على رسول الله ﷺ سره، فلما توفى رسول الله ﷺ قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحق، لما أخبرتيني.

قالت: أما الآن، فنعم، فأخبرتني قالت: أما حين سارَّني في الأمر الأول فإنه أخبرني أنّ جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وإنه قد عارضني العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا وقد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك.. قالت: فبكيت بكائي الذي بكيت.. فلما رأى جزعي سارَّني الثانية قال: «**يا فاطمة، الا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء الأمة**»(١).

ومن أدب النبوة في البيوت؛ حفظ أسرار الزوجية...

قال ﷺ : «**إن من شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه**»(٢).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

وفي رواية: «**إن من أعظم الأمانة عند الله تعالى يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه، ثم ينشر سرها**»(١).

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: القلوب أوعية الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ مفاتح سره.

لا تكوني ذات لسانين ولا ذات وجهين

قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ** ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وقال ﷺ : «**إنَّ من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتِي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**»(٢) فلا تقابلي هذه بوجه، وتلك بوجه آخر، ولا تظهري الحب لبعض أخواتك المسلمات أمامها وفي حضرتها، ثم تكنين لها، وتضمرين الحقد والبغضاء..

اغضضي من صوتك

وتلك وصية الحكيم لقمان لولده، قال سبحانه: ﴿ **وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ** ﴾ [لقمان: ٢].

وغض الصوت: أي خفضه، والمقصود التوسط في الصوت فلا يكون مخفوضًا لدرجة أنه لا يُسمع، ولا يكون مرتفعًا فيزعج، بل بين بين، حتى يفهم على الوجه المطلوب...

وخفض الصوت مطلوب عند مخاطبة أهل الفضل، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ** ﴾ [الحجرات: ٢].

قال عروة بن مسعود الثقفي يصف صحابة رسول الله ﷺ مع نبيهم فيقول: «... وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيمًا له..»(٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد في مسنده.

(٣) رواه البخاري (٢٧٣١).

وقد كان هذا معهودًا حتى عند أهل الكفر في الجاهلية، فقد قال أمية بن خلف – وقد كان كافرًا – لسعد بن معاذ ﷺ لما رفع سعد صوته على أبي جهل: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي[١].

لا تسبقي من هى أكبر منك بالحديث

فللكبيرة حق، وقد قال ﷺ : «**ليس منا من لم يعرف حق كبيرنا**»[٢]. ولذلك لما جاء حويصة ومحيصة إلى رسول الله ﷺ ، وذهب محيصة يتكلم قال له النبي ﷺ : «**كبِّر كبِّر**» يريد السن، فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة[٣].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – أنّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ من الشجر شجرة مثلها كمثل المؤمن، فأردت أن أقول: هى النخلة، فإذا أنا أصغر القوم، فسكت**، قال النبي ﷺ : «**هى النخلة**»[٤].

وفي صحيح مسلم من حديث سمرة بن جندب، قال: لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالاً أسن[٥].

أعرضي عن الجاهلين

أختي المسلمة ...

لا ينبغي للعاقلة الحليمة الرشيدة أن تقابل الجاهلة بجهلها، ولا أن تؤاخذها بقولها، فقد قال الله سبحانه: ﴿ **خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وقال في وصف عباد الرحمن: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً** ﴾ [الفرقان: ٦٣]. وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال:

«قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس وكان من النفر الذين

---

(١) رواه البخاري (٣٩٥٠).

(٢) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٤٤٤).

(٣) رواه البخاري (٧١٩٢).

(٤) رواه البخاري، ومسلم.

(٥) رواه مسلم.

يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبابًا.

فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه.

قال: سأستأذن عليه.

قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هى يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر، حتى هم به، فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إنّ الله قال لنبيه ﷺ: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وإنّ هذا من الجاهلين.

فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله[١].

وتأملي أختي المسلمة ...

كيف كان رد صفية بنت حيي - رضي الله عنها - حين ذهبت جارية لها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت له:

إنّ صفية تحب السبت، وتصل اليهود!

فبعث عمر رضي الله عنه يسألها، فقالت - رضي الله عنها - : «أما السبت فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود، فإن لي فيهم رحمًا، فإنا أصلها..

ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟

قالت الجارية: الشيطان.

قالت صفية: فاذهبي فأنت حرة»[٢].

فتلك علامات المنافقين والمنافقات، وهؤلاء شرار الناس قال سيد الناس ﷺ: «**شر عباد الله المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة**»[٣].

وعن عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان له وجهان في الدنيا، كان له لسانان من نار يوم القيامة**»[٤].

---

(١) ورواه البخاري (٤٦٤٢).

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب.

(٣) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد بنحوه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٨٧٣) والصحيحة برقم (٨٨٩).

وعن عريب الهمداني، قال: قلت لابن عمر - رضي الله عنهما - إنا إذا دخلنا على الأمراء زكيناهم بما ليس فيهم، فإذا خرجنا دعونا عليهم؟

قال: كنا نعد ذلك النفاق(١).

إياك والشماتة في الغير

أختي المسلمة ...

والشماتة معناها: الفرح المؤقت لبلاء يقع لغيرك حسدًا له، وحقدًا عليه، وهى دليل العداوة والبغضاء، فإنه لا يشمت أحد بأحد إلا لعداوة بينهما...

قال تعالى: ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وقد نهى الرسول ﷺ عن الشماتة بالغير، فقال: «**لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك**».

والمؤمنة الصادقة هى التي تجعل للصلح موضعًا، ولا تجعل للشيطان عليها سبيلاً، ولا يدنس قلبها بهذه الآفة البغيضة، وهى تعلم أن الدهر ذو غِيَرٍ، يوم لها، ويوم عليها.. وقد صدق الشاعر حين يقول:

الـــناس للناس ما دام الحياء بهم ... والعسر واليسر ساعات وأوقات

لا تقطعن يد المعروف عن أحد ... مـــا دمت ترجى فالأيام تارات

إياك والنجوى

والنجوى: هى: أن تتحدث امرأة مع أخرى بصوت خافت في وجود ثالثة.. وقد نهى سيد البشر ﷺ عن ذلك كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن يحزنه**»(٢).

ففي الحديث أدب من آداب الصحبة في الطريق، وفي المجلس، وغير ذلك، فإن من حسن الصحبة أن تلتقى المسلمة مع أخواتها المسلمات على خير، وأن يتعاملن

---

(١) رواه البخاري، وأحمد، وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وأبو داود، والترمذي.

فيما بينهن على المعروف، وأن تحرص كل واحدة منهن على مشاعر غيرها..

وهذا الأدب تعرفه أصحاب الأذواق السليمة، والهمم العالية، فهن اللاتي يميزن ما هو ضار، وما هو نافع.

والتي تتناجى مع الأخرى شيطانة من الإنس تتعاون مع شيطان الجن في إدخال الحزن على أختها المسلمة، قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ* إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [المجادلة: ٩، ١٠].

اختاري الكلمات المناسبة لكل مناسبة

فكما قال القائل: لكل مقام مقال..

فينبغي على الأخت المسلمة أن تراعي مناسبات الكلام، فإن كنت في تهنئة زواج مثلاً، فلا تذكرى الموت، بل يستحب أن تقولى للعروسين: بارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير..

وإن كان غير الزواج كالتهنئة بالنجاح أو غير ذلك، فينبغي اختيار الألفاظ التي تدل على البشر والتفاؤل والسرور..

وإن كانت الأخت المسلمة في واجب عزاء أو نحو ذلك اختارت الكلمات التي تدل على المشاركة في الأحزان دون اعتراض أو سخط على قضاء الله، واختارت كذلك كلمات تحمل معنى الصبر وثوابه...

والمهتدية إلى القول الطيب من هداها الله - عز وجل - قال تعالى: ﴿ **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ** ﴾ [الحج: ٢٤]. وكان النبي ﷺ يدعو الله قائلاً: «**واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت**»[١].

ورحم الله القائل:

جـــاز المسيء بإحسان لتملكه   وكن كعود يفوح الطيب في الضرم

---

(١) رواه مسلم.

ومن تطلب خلا غير ذي عوج   يكن كطالب ماء من لظى الفحم

قدمي مشيئة الله في أقوالك

فهكذا أمرنا ربنا جل في علاه، قال سبحانه: ﴿**لاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

وقد أكثر من ذلك رسول الله ﷺ فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: لما كان رسول الله ﷺ بالطائف قال: «**إنا قافلون غدا إن شاء الله...**»[١].

وعن عتبان بن مالك ﷺ قال:

كنت أصلي لقومي، فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أنكرت بصري، وإن السيول تحول بيني وبين مسجد قومي، فوددت أنك جئت فصليت في بيتي مكانًا حتى أتخذه مصلى، فقال ﷺ : «**أفعل إن شاء الله**»[٢].

وكذلك كان أنبياء الله - عز وجل - كانوا يقدمون المشيئة في الأمور كلها.. فهذا أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - يقول لقومه: ﴿ **وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً** ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وهذا شعيب - عليه السلام - يقول كما القرآن الكريم: ﴿ **وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا** ﴾ [الأعراف: ٨٩].

لا تسكتي الناس لتتكلمي أنت

لقول رسول الله ﷺ: «**إذا قلت للناس أنصتوا وهم يتكلمون فقد ألغيت على نفسك**»[٣].

لأن في هذا نوعًا من الأنانية وحب الذات، وتقديمًا لها على غيرها، وهذا يتنافى مع أخلاق المؤمنات الصالحات، لأن ذلك فيه نوع من الكبر.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

لكن إذا كان هناك ضرورة، كأمر هام يُراد إعلام الناس به فهذا لا بأس به..

لأن رسول الله ﷺ فعله، فقد قال ﷺ في حجة الوداع: «**يا جرير استنصت الناس**»[١] ثم خطب...

ومعنى استنصت الناس: أي اطلب من الناس أن ينصتوا لأتكلم.

لكن الأفضل إذا كانت أخواتك المسلمات يتحدثن فتمهلي واستمعي إلى حديثهن حتى ينتهين منه، فإن كان لديك استدراك، أو لديك فائدة فتقدمي بها فحينئذ يُقبل منك..

لا تسترسلي في الحديث وأنت غضبانة

أختي المسلمة ...

فإذا كنت تتحدثين ووصلت في حديثك مع الناس إلى درجة عالية من الغضب فتوقفي عن الكلام، فإن الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، فكأن الغضب جمرة توقد في قلب ابن آدم، والشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم في العروق.

والغضب مظنة الخطأ في الأقوال والأفعال، ولذلك أوصى رسول الله ﷺ السائل الذي جاء يطلب منه الوصية، فقال له: «**لا تغضب**»[٢]. فكرر عليه السؤال، فكرر الرسول ﷺ الوصية بعدم الغضب...

فإذا غضبت فتوضئ، فإن الوضوء يطفئ الغضب، أو اجلسي إن كنت واقفة، وتعوذي بالله من الشيطان الرجيم..

تحملي كلمات أهل الفضل

أختاه ...

إذا صدر من أهل الفضل قولاً تظنين أن فيه نوعًا من أنواع الإيذاء فتحمليه، فإن

---

(١) رواه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥)، والترمذي (٢١٩٣)، وقال حسن صحيح وأحمد وابن ماجه.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦٦٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٣٧٣).

أهل الفضل لا يريدون لك إلا الخير.

فقد تحمل هارون - عليه السلام - موسى لما أخذ برأسه يجره إليه، قال تعالى: ﴿ **وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ** ﴾ [الأعراف: ١٥٠]. ﴿ **قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي** ﴾ [طه: ٩٤].

وقد وصف موسى - عليه السلام - رسولنا محمدًا ﷺ بأنه غلام، فعن أنس ﷺ أنه ﷺ قال في حديث المعراج: «... **فأتيت على موسى، فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي، فلما جاوزت بكى، فقيل: ما أبكاك؟ قال: يا رب، هذا الغلام، الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي**»(١).

وتحمل عمر بن الخطاب ﷺ مقولة أزواج النبي ﷺ لما استأذن عمر وكن عنده، فقمن يتبادرن الحجاب، فقال: أتهبنني ولا تهبن رسول الله يا عدوات أنفسهن؟ فقلن: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله(٢)؟

مُري بالمعروف وانهى عن المنكر

أختي المسلمة ...

ما كنا أفضل الأمم، ولا فزنا بإكرام الله لنا، إلا لأن من صفات هذه الأمة، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...** ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وليس الأمر فقط للرجال بل عام قال سبحانه: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [التوبة: ٧١].

فينبغي على الأخت المسلمة أن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر في حدود استطاعتها سواء كان ذلك في بيتها، أو في مدرستها، أو في طريقها، قال ﷺ : «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(٣). فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف من خصال الإيمان.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد.

(٣) رواه مسلم، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، وأحمد وصحيح الجامع للألباني برقم (٦٢٥٠).

وقال ﷺ: **«من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»**[1].

وما صار إليه حالنا الآن بسبب تركنا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ﷺ **«والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث الله عليكم عذابًا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم»**[2].

فلتحذر الأخت المسلمة أن ترى منكرًا وتستطيع أن تغيره بأي أسلوب من الأساليب التي يمكن أن تغير بها ثم تترك ذلك..

قال ﷺ: **«ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمهم الله تعالى منه بعقاب»**[3].

إياك أن تنهي عن خلق وتأتين مثله

لأنك إن فعلت ذلك كنت محلاً للسخرية، ومحطًا لازدراء من حولك بك، وإنك بذلك تقعين في سخط الرب جلا و علا..

قال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقد ذم الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ من تخالف قولها فعلها فقال ﷺ: **«ما من نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس ذلك من الإيمان حبة خردل»**[4].

---

(١) رواه مسلم، وأحمد في مسنده وصحيح الجامع للألباني برقم (٦٢٣٤).

(٢) رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٦٢)، ومشكاة المصابيح (٥١٤٠).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٩٢٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي دود (٤٣٣٩)، وابن ماجه.

(٤) رواه مسلم.

ورحم الله القائل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإن انتهيت عنه فأنت حكيم

فهناك ينفع ما تقول ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

يمكنك مداراة سيىء الخلق

فبذيئة الأخلاق تداري، ويتقى شرها، ويدفع بلاؤها، إما بالسكوت عنها، أو بإلانة القول لها، لاتقاء فحشها، وسوء خلقها...

فعن عائشة - رضي الله عنها - استأذن على النبي ﷺ فقال: «**ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة**» فلما دخل عليه آلان له القول...

قال النووي - رحمه الله -:

في هذا الحديث مداراة من يتقى فحشه، وجواز غيبة الفاسق المعلن فسقه، ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه... والنبي ﷺ لم يمدحه، ولا ذُكر أنه أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه، إنما تألفه بشيء من الدنيا مع لين الكلام[١]...

ولذلك تعجبت عائشة - رضي الله عنها - فقالت:

يا رسول الله، قلت له الذي قلت، ثم ألنت له القول؟

قال: «**يا عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة مَنْ وَدَعَهُ الناسُ أو تركه الناس اتقاء فحشه**»[٢].

ولهذا قال العلماء بجواز مداراة مثل هذا الرجل اتقاء شره، ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى.

والمداراة: هي بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين، أو هما معًا، وهي مباحة، وربما استحبت، لكن المداهنة: هي ترك الدين لصلاح الدنيا.

وفي البخاري ومسلم من حديث المسور بن مخرمة أنه قال:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

«قسم رسول الله ﷺ أقبية – وهو جمع قُباء وهو ما يلبس فوق الثياب – ولم يُعط مخرمة شيئًا، فقال مخرمة: يا بني، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فانطلقت معه، قال: ادخل فادعه لي، قال: فدعوته له، فخرج عليه وعليه قباء منها، فقال: «**خبأت هذا لك، خبأت هذا لك**».

فقال: فنظر إليه، فقال: رضي مخرمة[1].

❀❀❀

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، وأمنا يوم الفزع الأكبر يا رب العالمين.

---

(١) رواه البخاري (٢٥٩٩)، و مسلم (١٠٥٨).

سلوكيات المرأة المسلمة

في

استثمار وقتها

كيف تستثمر المرأة المسلمة وقتها؟

الوقت هو رأس مالك ...

الوقت هو رأس مال العبد، والعاقلة هي التي تعرف قدر وقتها وزمانها، فلا تضيع ساعة واحدة من عمرها إلا في خير للدنيا أو للآخرة.

وعمر الإنسان هو موسم الزرع في هذه الدنيا، وحصاد ما زرع يكون في الآخرة وطوبى لمن بادرت عمرها القصير، فعمرت بها دار المصير، وتهيأت لحساب الناقد البصير قبل فوات القدرة، وإعراض النصير.

فلا تكوني في غفلة، وانتبهي من رقدتك، ولا تضيعي أوقاتك.

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

وقد اهتم رسولنا ﷺ بأن ينبه أتباعه، ويوقظ أذهانهم فقال ﷺ : «**اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»(١).

فمن استعملت فراغها في طاعة الله فهي المغبوطة، ومن استعملتها في معصية الله تعالى فهي المغبونة، لأن الفراغ يعقبه شغل، والصحة يعقبها السقم قال ﷺ : «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(٢). فمن جهلت قيمة وقتها الآن فسيأتي عليها وقت تعرف فيه قدره ونفاسته، وقيمة العمل فيه، لكن متى يكون ذلك؟ يكون ذلك بعد فوات الأوان.

وقد ذكر القرآن الكريم موقفين يندم الإنسان فيهما أشد الندم على ضياع وقته حيث لا ينفعه الندم.

■ **الموقف الأول**: ساعة الاحتضار، حين يستدبر الإنسان دنياه، ويستقبل أخراه، فيتمنى ساعتها لو منح فترة ولو قليلة من الزمن يسترجع فيها نفسه، ويصلح ما أفسده، ويتدارك فيها ما فاته، قال سبحانه: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ**

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي في الشعب والألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٢).

رَبِّ ارْجِعُون* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

• الموقف الثاني: يوم القيامة حين توفى كل نفس بما كسبت، يندم أهل الجنة لكن كيف يتحسر من فاز؟ أليس قد نال مراده؟ وبلغ ما أمل...

قال ﷺ : «ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عزَ وجل فيها»(١).

فعجيب أمر أهل الجنان يتحسرون لا لأنهم عصوا الله في دنياهم، ولكن لأنهم تركوا فيها ساعة دون ذكر لله - عز وجل -..

وأهل النار يتحسرون ويتمنون لو يعودون مرة أخرى إلى الحياة الدنيوية، ليعملوا أعمالاً صالحة .. لكن هيهات .. هيهات .. قال تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٧].

فإذا كنت بالأمس اقترفت إساءة ... فثق بإحسان وأنت حميد
ولا ترج فعل الخير يومًا إلى غد ... لعل غدًا يأتي وأنت فقيد
ويومك إن عاتبته عاد نفعًا ... إليك وما ضحى الأمس ليس يعود

قيمة الوقت في القرآن الكريم

والوقت من أعظم النعم التي مَنَّ الله بها على عباده، قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾ [الفرقان: ٦٢].

ويريد ربنا سبحانه وتعالى أن يلفت أنظارنا إلى قدر الوقت وقيمته، فيقسم بالوقت في آيات كثيرة من قرآنه جل في علاه.. فتارة يقسم بالليل والنهار فيقول: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى* وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ [الليل: ١، ٢].

وتارة يقسم بالضحى والليل.. فيقول: ﴿ وَالضُّحَى* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ [الضحى: ١، ٢]. وتارة يقسم بوقت الفجر.. فيقول: ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾

---

(١) رواه الطبراني وغيره، وذكره الألباني في صحيح الجامع.

[الفجر: ١، ٢]. وتارة يقسم بالعصر.. فيقول: **﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...﴾** [العصر: ١-٣].

وقد أقسم مولانا سبحانه بهذه الأوقات لشرفها وعظم شأنها، وله سبحانه أن يُقسم بما شاء على ما شاء.

ولأهمية الوقت في القرآن الكريم وفي حياة الإنسان المسلم فرض مولانا على أهل الإيمان خمس صلوات في اليوم والليلة وحدد أزمان كل وقت من أوقات الصلاة.. فالصبح له وقت محدد، وكذلك الظهر..

وحدد لنا وقتًا للصوم وهو شهر رمضان، وأوقاتًا للحج والعمرة.. وجعل الوقت مهمًّا في فرض الزكاة وذلك بمرور الحول على بعض أصنافها أو أنواعها.. وجعله مهمًّا في عدة المرأة حيث جعل لكل نوع عدة خاصة، فعدة المطلقة ليست كعدة المتوفى عنها زوجها .. وحدد مدة الإيلاء.. وجعل الزمن هامًّا للكفارات مثل كفارة الظهار وغيرها.. وجعلها صوم شهرين متتابعين .. وغيره وجعل الوقت هامًّا في المعاملات.. فخيار البيع مدته ثلاثة أيام ونحو ذلك.. وها هو نبيك ﷺ يعلمك ويعلم الأمة أجمع شرف الأوقات، فيقول ﷺ : «**لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسمه فيما أبلاه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟**»[١].

خصائص الوقت

واعلمي أختي المسلمة أن من خصائص الوقت أنه يمر مرَّ السحاب، ويجرى جرى الرياح... فالأيام تمر، والأشهر وراءها تسحب معها السنين، وتمر خلفها الأعمار، وتطوى حياة جيل بعد جيل..

وبين يدي الملك العلام سيعلم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم، وضيعوا أوقاتهم وأعمارهم، سيعلمون وكأنهم ما لبثوا في هذه الدنيا إلا ساعة من نهار..

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٩) وقال: حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠٠).

العَادِّينَ * قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤].

ومن خصائص الوقت أنه إذا مضى لا يعود أبدًا «**ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد، فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة**» كان الحسن البصري دائمًا يقول ذلك.

الوقت وحرص السلف الصالح عليه

أختي المسلمة ...

لقد حرص سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - حرصًا شديدًا وها هم يعلموننا كيف نحرص عليه، فيقول عبد الله بن مسعود ﷺ : ما ندمت على شيء كندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي.

وقال الفضيل بن عياض: أعرف من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة.

ودخلوا على رجل من السلف، فقالوا: لعلنا أشغلناك؟ فقال: أصدقكم، كنت أقرأ فتركت القراءة لأجلكم[١].

وكان عثمان الباقلاني دائم الذكر لله تعالى، فقال: إني وقت الإفطار أحس بروحي كأنها تخرج، لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر!

ومتى لان المزور طمع فيه الزائر، فأطال الجلوس فلم يسلم من أذى وقد كان جماعة قعودًا عند معروف، فأطالوا، فقال: إنَّ ملك الشمس لا يفتر عن سوقها أفما تريدون القيام؟

وجاء رجل من المتعبدين إلى سرى السَّقطى، فرأى عنده جماعة، فقال: صرتَ مُناخَ البطَّالين! ثم مضى ولم يجلس.

ثم يقول ابن الجوزي:

وهذه الأيام مثل المزرعة، فكأنه قيل للإنسان: كلما بذرت حبة أخرجنا لك ألف حبة، فهل يجوز للعاقل أن يتوقف في البذر ويتوانى[٢]؟!

وكان الحسن البصري يقول: عجبت لأقوام أمروا بالزاد ونودى فيهم بالرحيل، وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون.

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص٤١٢) ط/ التوفيقية.

(٢) المرجع السابق لابن الجوزي.

وكان يقول: يا ابن آدم، السكين تشحذ، والتنور يسجر، والكبش يعتلف.

وقال أبو حازم: إنَّ بضاعة الآخرة كاسدة، فاستكثروا منها في أوان كسادها، فإنه لو جاء وقت نفاقها لم تصلوا فيها إلى قليل ولا كثير.

وكان أبو بكر بن عياش يقول: لو سقط من أحدهم درهم لظل يومه يقول: إنَّا لله ذهب درهمي، وهو يُذهب عمره، ولا يقول: ذهب عمري، وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات، ويحفظون الساعات، ويلازمونها بالطاعات[١].

فِيمَ تستثمرين وقتك؟

أختي المسلمة ...

١- استثمري وقتك في الذكر، فقد قيل لعمر بن هانئ: لا نرى لسانك يفتر من الذكر، فكم تسبح كل يوم؟ قال: مائة ألف[٢].

وعن عكرمة أنَّ أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنتي عشر ألف تسبيحة[٣].

٢- استثمري وقتك في قراءة القرآن الكريم: فقد كان سعيد بن جبير -رحمه الله- يختم القرآن الكريم في كل ليلة مرتين وكان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل. وكانت أم حيان السلمية تقرأ القرآن الكريم في كل يوم وليلة..

وهذه حفصة بنت سيرين – رحمها الله- كانت تقول ناصحة لك ولغيرك: «**يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني والله ما رأيت العمل إلا في الشباب**»[٤].

يقول عنها عبد الكريم بن معاوية: ذكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة.. حتى كان ابن سيرين -رحمه الله- إذا أشكل عليه من القرآن شيء قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأه[٥].

---

(١) أبو نعيم في الحلية (٨/٣٠٣)، وابن الجوزي في اليواقيت الجوزية (ص٢٢) مكتبة السنة.

(٢) أبو نعيم في الحلية (٥/١٥٧)، والذهبي في السير.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٦١٠).

(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/١٥، ١٦).

(٥) كالسابق.

وكانت غصنة وعالية -رحمهما الله تعالى - من العابدات وكانت إحداهما تقوم من الليل، فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف في كل ركعة[١].

٣- استثمري وقتك في العلم النافع: فقد خاطب الله تعالى أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – فقال سبحانه: ﴿ **وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ** ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. وقال ﷺ : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[٢] ونتيجة لهذا الحث بحاجتها إلى طلب العلم ذهبت إحدى النساء إلى معلم البشرية ﷺ تطلب منه مجلسًا خاصًّا بالنساء قائلة: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال ﷺ : «**اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا**» فاجتمعن فعلمهن مما علمه الله»[٣].

وقد جاء في «فتوح البلدان» للبلاذري أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما – كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى «**الشفاء العدوية**» فلما تزوجها ﷺ طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه، كما علمتها أصل الكتابة».

وهذا هو الحافظ ابن عساكر أوثق رواة الحديث عقدة، وأصدقهم حديثًا، حتى لقبوه «بحافظ الأمة» كان له من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء، فهل سمع الناس في عصر من العصور، وأمة من الأمم أن عالمًا واحدًا يتلقى عن بضع وثمانين امرأة علمًا واحداً؟

لقد بلغت الكثيرات من العالمات المسلمات منزلة علمية رفيعة، فكان منهن الأستاذات والمدرسات لكل من (الإمام الشافعي، والبخاري، وابن خلكان، وابن حيان وذلك مثل السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ .

وتلك هى ابنة الإمام مالك – رحمه الله – فقد كان الإمام يُقرأ عليه «**الموطأ**» فإن لحن القارئ في حرف، أو زاد أو نقص، تدق ابنته الباب، فيقول أبوها للقارئ:

---

(١) المرجع السابق (٢٥/٤).
(٢) رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٩١٣).
(٣) رواه البخاري ومسلم.

(ارجع فالغلط معك) فيرجع القارئ، فيجد الغلط.

٤- استثمري وقتك في عبادة ربك: فما خلقت في هذه الدنيا إلا لأجل العبادة، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والعبادة تشمل الصلاة والصيام وغير ذلك من القربات والطاعات، وقد كانت نساء السلف الصالحات مثالاً عظيمًا للعبادة والاجتهاد وفيها ومن ذلك:

١- أم حسان الكوفية:

فعن عبد الله بن المبارك قال: ذكر سفيان الثوري امرأة بالكوفة يُقال لها: «**أم حسان**» وقد كانت ذات اجتهاد وعبادة، فدخلنا بيتها فلم نر فيه شيئًا غير قطعة من الحصير، فقال لها الثوري: لو كتبت رقعة إلى بعض بني أعمامك، لغيروا من سوء حالك!

فقالت: يا سفيان، قد كنت في عيني أعظم، وفي قلبي أكبر منذ ساعتك هذه، إني ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها، ويحكم فيها، فكيف أسأل من لا يقدر عليها، ولا يقضى ولا يحكم فيها؟!

يا سفيان، والله ما أحب أن يأتي عليَّ وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله تعالى بغير الله، فأبكت سفيان.. قال عبد الله: فبلغني أن سفيان تزوج بها[١].

٢- زوجة رياح القيسي:

قال أبو يوسف البزاز: تزوج رياح القيسي امرأة فبنى بها، فلما أصبحت قامت إلى عملها في البيت تعجن، وتنظف، وتكنس وتطبخ، فقال لها: لو نظرت امرأة تكفيك هذا؟! فقالت: إنما تزوجت رياحًا القيسي، ولم أرني تزوجت جبارًا عنيدًا، فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل، ثم نادته: قم يا رياح، فقال: سأقوم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم، ولم يقم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته: يا رياح، مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم! ليت شعري مَنْ غرني بك يا رياح[٢].

قال رياح: وقامت الربع الباقي.

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/٩٦، ٩٧) ط/ دار الفكر.

(٢) المرجع السابق.

قال: ذكرت لي امرأة فتزوجتها، فكانت إذا صلت العشاء الآخرة تطيبت وتعطرت، ولبست ثيابها، ثم تأتيني فتقول: ألك حاجة؟

فإن قلت: نعم، كانت معي، وإن قلت: لا، قامت فنزعت ثيابها ثم صفت بين قدميها حتى تصبح[١].

فياليت نساءنا يسلكن هذا المسلك، فيقلن للرجال: يا ليت شعرنا، من غرنا بكم؟! من غرنا بك عندما أفسدتنا، وما اتقيت الله فينا؟!

٣- امرأة الهيثم بن جماز:

قال زوجها الهيثم: كانت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا نعست ترش عليَّ الماء في أثقل ما أكون من النوم، وتنبهني برجلها وتقول: أما تستحي من الله؟! إلى كم هذا الغطيط؟! فوالله إن كنت لأستحي مما تصنع.

٤- معاذة العدوية زوجة صلة بن أشيم:

كانت رحمها الله تحيي الليل صلاة، فإذا غلبها النوم قامت تجول في الدار وتقول: يا نفس، النوم أمامك، لو قدمت لطالت رقدتك في القبور على حسرة أو سرور.

وكانت تقول: عجبت لعين تنام، وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور[٢]!

فما بال النساء في زماننا قد جهلت ما كان عليه نساء السلف الصالح!

٥- حبيبة العدوية:

وتلك هي حبيبة العدوية التي قال عنها عبد الله المكي: كانت إذا صلت العشاء قامت وشدت عليها خمارها وأخذت تناجي ربها وتقول: إلهي .. غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك... ثم تقبل على صلاتها، فإذا كان السحر قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري، هل قبلت مني ليلتي، فأُهنَّئ؟ أم رددتها عليَّ فأُعزى؟! فوعزتك لهذا دأبي أبدًا ما أبقيتني، وعزتك، لو انتهرتني ما برحت عن بابك، ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك[٣]!

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/٢٧).

(٢) المرجع السابق (٤/١٤).

(٣) نفس المرجع (٤/١٩، ٢٠).

أختاه ...

هل رأيت أفضل من هؤلاء النسوة؟ أرأيت كيف استطعن أن يستثمرن أوقاتهن في عبادة رب العزة جل في علاه؟!

٥- استثمري وقتك بعد ذلك في طاعة زوجك:

قال ﷺ : «**إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت**»(١).

وقد كانت فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وابنة سيد المرسلين ﷺ في بيت زوجها عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقد كانت تطحن الشعير والقمح وتخبز الخبز لبيتها، وكانت توقد تحت القدر حتى تغبرت ثيابها.

وتلك هي أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - تتزوج بالزبير بن العوام فكانت تعلف له فرسه، وتكفيه مؤنته، وتدق له النوى، وتعلفه، وتسقيه الماء، وتعجن وتطبخ.

وهي مع ذلك لم تكن تغفل عن عبادة ربها، بل كانت صوامة قوامة.. يقول زوجها الزبير بن العوام: دخلت على أسماء وهي تصلي - أي قيام الليل - فسمعتها وهي تقرأ: ﴿ **فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ** ﴾ [الطور: ٢٧]. فاستعاذت، فقمت وهي تستعيذ، فلما طال عليَّ أتيت السوق، ثم رجعت وهي في بكائها تستعيذ(٢).

٦- ويجوز لك أختي المسلمة أن تقضي وقتًا في المباحات:

مثل: النوم، والأكل والشرب وغير ذلك .. فإن هذه المباحات تتحول بحسن القصد إلى عبادات.. فلو نويت بنومك هذا أنه يعينك على أداء العبادات أو أداء حق الزوج لصار هذا النوم عباده تثابين عليها، فالمرء يثاب على حسن نيته وإخلاص قصده.

وكذلك لو أردت قضاء شهوتك مع زوجك بالحلال تكوني قد حولت الشهوة المباحة إلى عبادة تثابين عليها، أما سمعت حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «... **وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٦٦١)، وصححه أحمد شاكر والألباني في صحيح الجامع برقم (٦٦٠).
(٢) حلية الأولياء (٢/٥٥) لأبي نعيم الأصفهاني، والدر المنثور للسيوطي (٧/٦٣٥).

فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[١]. فإذا قصدت بها أداء حق زوجك وإعفاف نفسك، وغض بصرك.. تحولت إلى عبادة من العبادات.

وكذلك الطعام المباح إذا نويت به أن تكوني قوية على أداء حق الله تعالى وحق الزوج، وغير ذلك، تحولٍ من عادة مباحة إلى عبادة من العبادات فعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله تعالى ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[٢].

وقيامك على خدمة زوجك وخدمة أبنائك بما يلزمهم من نحو غسل وطهي وتنظيف.. تحول هذا العمل بالنية الصادقة إلى عبادة يجزيك الله تعالى عنها أعظم الجزاء لقول سيد العظماء ﷺ : «كلكم راع ومسئول عن رعيته.. والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها..»[٣].

عوائق تصرفك عن الاستفادة من الوقت

(١) العائق الأول: اتباع الهوى :

والهوى هو ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه في هذه الدنيا، فلولا ميله إلى المطعم ما أكل، ولولا ميله إلى المشرب ما شرب، ولولا ميله إلى المنكح ما نكح.. وكذلك كل ما يشتهيه..

فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب دفاع عنه ما يؤذى، فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يُذم المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح، ودفع المضار.

أختي المسلمة ...

واعلمي أن مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبتها، وهو

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه مسلم، والترمذي، وأحمد.

(٣) رواه البخاري.

يحث على نيل الشهوات عاجلاً، وإن كانت سببًا للألم والأذى في الآجل..

فالعاقلة اللبيبة هى التي تنهي نفسها عن لذة تعقب ألمًا، وشهوة تورث ندمًا، وبهذا القدر فُضل الآدمي على البهائم، لأن البهائم لا نظر لها إلى عاقبة، ولا فكر لها في مآل.

يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - ما ذكر الله الهوى في موضع من كتابه إلا وذمه، قال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ** ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وحذر نبيًا كريمًا من أنبيائه من الهوى فقال: ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [ص: ٢٦].

وخاطب حبيبه ومصطفاه بقوله: ﴿ **وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾ [الكهف: ٢٨].

فالهوى يهوى بصاحبه إلى الشرور في الدنيا وفي الآخرة، وفي الحديث: «**ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، أما الثلاث المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: فخشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الرضا والغضب**»[(١)].

فترى المسلم أو المسلمة تقضى الساعات الطويلة أمام المسلسلات والأفلام والمسرحيات الهابطة، فإذا سألتيها عن سبب ذلك تقول: أضيع الوقت.. هى لا تدري أنها تضيع عمرها، بل وتقتل نفسها، لأن الإنسان مجموعة من الأيام فإذا انقضى يوم من أيامها استقبلت الآخرة، واستدبرت به الدنيا.. كما كان لقمان يقول لولده: يا بني، إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا، استدبرت الدنيا، واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها.

فالهوى من أخطر العوائق التي تصرفك عن استثمار وقتك فيما يرضى الله - عز وجل - قال أبو بكر الوراق: «أصل غلبة الهوى، مقاربة الشهوات، فإذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب، ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر، ساء الخلق،

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني (١٨٠٢) وصحيح الجامع (٣٠٤٥) وقال رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر.

وإذا ساء الخلق، أبغضه الخلق، وإذا أبغضه الخلق أبغضهم، وإذا أبغضهم جفاهم، وإذا جفاهم صار شيطانًا رجيمًا».

▪ **العائق الثاني: «طول الأمل» :**

وما من آفة هى أعظم من طول الأمل، ولولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلاً، وإنما تقدم المعاصي، وتؤخر التوبة، لطول الأمل.. وتبادر الشهوات، وتنسى الإنابة لطول الأمل..

أختي المسلمة ...

جميل أن تحملي أملاً في قلبك لتعمري الكون، فالإنسان مفطور على حب الحياة ولا تنكر ذلك إلا جاهلة بالكتاب والسنة..

جميل أن يكون أملك في تعمير بيت لأبنائك !

جميل أن تتمنى الوصول إلى أعلى المناصب، لكن الخطر أن يحول طول الأمل بينك وبين طاعة الله جل في علاه !

ولقد حذرك نبي الأمة ﷺ من طول الأمل فقال لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**»[(١)].

وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال:

«**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا**» هذا هو الفهم الحقيقي للأمل.. قال تعالى: ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الحجر: ٣].

قال الحسن البصري – رحمه الله – : «ما أطال عبدٌ الأمل، إلا أساء العمل».

وقد كان أحد الصالحين ينشد قائلاً:

وما هـذه الأيام إلا مراحل	**يحث بها داع الموت قاصد**
وأعجب شيء لو تأملت أنها	**منازل تطوى والمسافر قاعد**

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٣) وغيره.

• العائق الثالث : «الفراغ»

وإن كان الفراغ نعمة من أعظم النعم لكننا لا ندري، فمن استغل فراغه في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعمله في معصية الله فهو المغبون.

وقد قسم علماؤنا الفراغ إلى أنواع:

١- فراغ قلبي: وهذا من أخطر أنواع الفراغ، وهو فراغ القلب من الإيمان والقلب إذا فرغ من الإيمان فقد مات صاحبه، وحينئذ يكون متعرضًا للفتن قال ﷺ : «**تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مُربادًا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض**»(١).

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: تفقد قلبك في مواطن ثلاثة: عند قراءة القرآن، وعند مجالس الذكر، وعند الخلوة بينك وبين ربك، فإن لم تجد قلبك عند هذه الثلاثة فابحث عن قلبك، فإنه لا قلب لك.

٢- فراغ نفسي: فراغك في نفسك التي بين جنبيك.. نفسك الأمارة بالسوء ونفسك إن لم تشغليها بالحق، شغلتك بالباطل.

وكلا الطريقين أمامها.. قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٧-١٠].

فالمرأة إذا لم تجد عملاً تقوم به في بيتها، ورأت نفسها في فراغ، انشغلت بالمعاصي، انشغلت بالأفلام والمسلسلات، انشغلت بقراءة المجلات الخليعة.

أختي المسلمة:

إنك إن ألجمت نفسك بلجام الطاعة انقادت لك، وإن تركتها قادتك إلى الهلاك والخسران.

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم (٢٣٣٣٢)، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٩٦٠).

٣- الفراغ العقلي:

لقد كرَّم الله تعالى الإنسان بالعقل، وجعله متميزًا به دون سائر المخلوقات فالعقل دواء القلوب، ومطية المجتهدين، وبذر حراثة الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا، وعُدَّته في وقوع النوائب، ومن عدم العقل لم يزده السلطان عزًّا، ولا المال يرفعه قدرًا، ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه.

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه
يعيش الفتى في الناس بالعقل إنه على العقل يجرى علمه وتجاربه
يزيد الفتى في الناس جودة عقله وإن كان محظورًا عليه مكاسبه(١)

أختي المسلمة ...

وما دام الله قد رزقك عقلاً مفكرًا، وقلبًا واعيًا، فاشغليه بالعلم والحكمة، فالمرأة العاقلة هي التي تكون بما أحيا عقلها من الحكمة أكلف منه بما أحيا جسدها من القوت، لأن قوت الأجساد المطاعم، وقوت العقل الحكم.. فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب، فكذلك العقول إذا فقدت قوتها من الحكمة ماتت فاشغلي فراغ عقلك بمطالعة الكتب المفيدة، والجاحظ يوصيك بالكتاب المفيد والمطالعة المفيدة فيقول:

«والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملك، والمستميح الذي لا يسترثيك، والجار الذي لا يستبطيك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق ولا يحتال لك بالكذاب..

والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك، و شحذ طباعك، وبسط لسانك، وجوَّد بنانك، وفخَّم ألفاظك، وبجبح نفسك، وعمَّر صدرك، ومنحك تعظيم العوام، وصداقة الملوك..

والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويطيعك في السفر كطاعته في

(١) روضة العقلاء لابن حبان (ص١٨).

الحضر، ولا يعتلُّ بنوم، ولا يعتريه كلل السهر، وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يخفرك، وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة، وإن عزلته لم يدع طاعتك، وإن هبت ريح أعاديك لم ينقلب عليك ...

وقال ابن الجهم عن الكتاب:

«وإذا غشيني النعاس في غير وقت نوم، تناولت كتابًا من كتب الحِكَم فأجد اهتزازي للفوائد، والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة، والذي يَغشى قلبي من سرور الاستنابة وعزِّ التبين أشد إيقاظًا من نهيق الحمير...».

• العائق الرابع: انشغالك بأمور تافهة :

قال الشيخ عائض القرني[1]:

في حياتنا اليومية ثلاثة أخطاء تتكرر :

١- ضياع الوقت.

٢- التكلم فيما لا يعني: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[2].

٣- الاهتمام بتوافه الأمور.

وقال: ينبغي ألا تضيع صحة جسمك، وفراغ وقتك بالتقصير في طاعة ربك، والثقة بسالف عملك، فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك، والعمل فرصة فراغك، فليس كل الزمان مستعدًّا، ولا ما فات مستدركًا، وللفراغ زيغ أو ندم، وللخلوة ميل أو أسف.

قال بعض البلغاء: لا تمض يومك في غير منفعة، ولا تضع نفسك في غير صنيعة، فالعمر أقصر من أن ينفد في غير المنافع، والمال أقل من أن يُصرف في غير الصنائع، والعاقل أجل من أن يُفنى أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره»[3].

وأبلغ من ذلك قول عيسى ابن مريم - عليه وعلى نبينا السلام-: البرُّ ثلاثة: المنطق، والنظرة والصَّمت، فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير نكر فقد لها.

---

(١) لا تحزن (٢٦٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٧٣٧) وغيره، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٩١١).

(٣) نقلاً من كتاب لا تحزن للشيخ عائض القرني.

أمور تعاونك على الاستفادة من وقتك

أختي المسلمة ..

هناك أمور تجعلك توظفين وقتك فيما هو نافع ومفيد لك ولمن حولك ومن هذه الأمور:

١- معرفة الأزمنة الفاضلة :

ففي بعض الأيام أو الشهور نفحات مباركة فيها تتضاعف الحسنات ومنها:

١- شهر رمضان:

وقد فضل شهر رمضان بنزول القرآن الكريم فيه، قال تعالى: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وشهر رمضان فيه خيرات كثيرة ليستْ في غيره قال ﷺ : «**إذا جاء رمضان تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين وفيه ليلة خير من ألف شهر**»(١).

فرمضان خير كله، صيام نهاره، وقيام ليله، والنفقة فيه كالنفقة في سبيل الله قال ﷺ : «**من صام رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢). شهر رمضان.. له مميزات خاصة بين سائر الشهور حتى قال عنه الإمام ابن الجوزي:

الشهور الاثنا عشر كمثل أولاد يعقوب - عليه السلام -، وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علاّم الغيوب.

وقال: إنْ كان في يوسف من الحلم والعفو ما غمر جفاهم حين قال: ﴿ **لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ** ﴾ [يوسف: ٩٢]. فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات، والنعمة والخيرات، والعتق من النار، والغفران من الملك القهار ما يغلب جميع الشهور، وما اكتسبنا فيه من الآثام والأوزار.

---

(١) رواه أحمد في مسنده، والبيهقي في الشعب والنسائي، وذكره الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، و أحمد وغيرهم.

٢- يوم الجمعة:

فهو خير يوم طلعت فيه الشمس، وهو سيد الأيام قال سيد الأنام ﷺ: «**إنّ خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن يسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه إياه**»(١). وهو أعظم عند الله من يوم الفطر، ويوم النحر، قال ﷺ: «**يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الفطر، ومن يوم النحر وفيه خمس خصال: فيه خلق الله آدم، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه توفى، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حرامًا، وفيه تقوم الساعة، وما من ملك مقرب عند ربه، ولا في السماء ولا في الأرض إلا وهو يشفق من يوم الجمعة**»(٢).

٣- يوم عرفة :

فهو من أشق الأيام على ألد أعدائنا وهو إبليس اللعين، قال النبي الأمين ﷺ: «**ما رُئي الشيطان يومًا هو فيه أصغر، ولا أدحر، ولا أحقر، ولا أغيظ منه يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة ..**»(٣).

٤- الأيام العشر الأول من ذي الحجة :

وهي التي أقسم بها مولانا في صدر سورة الفجر كما بين علماء التفسير، قال سبحانه: ﴿**وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾ [الفجر: ١-٢].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**» يعني العشر الأول - قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء**»(٤).

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم (١٥٤٨٥) بإسناد حسن (٢٢٥/١٢) لأجل عبد الله بن محمد، ورواه ابن ماجه (١٠٨٤) والبيهقي في الشعب وأبو نعيم (٣٦٦/١) في حلية الأولياء.

(٣) رواه مالك في الموطأ مرسلا (٤٢٢/١) وقال الزرقاني في شرح الموطأ وصله الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء. والدحر: هو الطرد والإبعاد.

(٤) رواه البخاري، ومسلم وغيرهما.

٥- ويوم عاشوراء:

فقد ورد في سنن أبي داود من حديث أبي قتادة: «**وصيام عرفة، إني أحتسب على الله أن يُكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصوم يوم عاشوراء، إني أحتسب على الله أن يُكفر السنة التي قبلها**»(١).

وقد ورد أن الله تعالى تاب على آدم - عليه السلام - في يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي رفع فيه إدريس مكانًا عليًّا، وكذلك رُفع فيه عيسى - عليه السلام -، ونجى الله فيه موسى من فرعون وأغرق فرعون، وأخرج فيه يونس من بطن الحوت، وفيه اتخذ الله إبراهيم خليلاً. لكن ذلك لم يثبت بآثار صحيحة.

أختي المسلمة ...

فاغتنمي هذه الأيام المباركة، وتلك الأزمان الفاضلة، ولا تتركي الفرصة تضيع من بين يديك تنالي العزة والكرامة في الدنيا وفي الآخرة.

الأمر الثاني: اختاري الجليسة الصالحة:

وقد شبه الرسول ﷺ الجليسة الصالحة الطيبة بحاملة المسك ... قال ﷺ «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن تجد منه رائحة طيبة، وإما أن يحذيك منه، وإما أن تبتاع منه، وأما الجليس السوء فإما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة منتنة**»(٢).

وهذا الحديث وإن كان للذكور إلا أن العبرة بعموم اللفظ، فيشمل الجليس الصالح الذكر مع صاحبه، ويشمل الجليسة الصالحة الأنثى مع نظيرها من النساء وقد قال ﷺ : «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(٣).

فاصحبي من إذا مدت يدك إليها بالخير مدها، وإذا رأت منك حسنة عدها، وإن رأت سيئة سترها.

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني (٢٤٢٥)، ورواه مسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وأبو داود، والألباني في صحيح الجامع برقم (٥٨٢٩) عن أبي موسى الأشعري.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

اجلسي مع من إذا قُلت صدقت قولك، وإن تنازعت مع زوجك أو أهل بيتك أصحلت من أمرك..

اجلسي مع من تكتم سرك، وتستر عيبك، وتكون معك في النوائب، وتقف معك في الشدائد.

الأمر الثالث: الخوف من الله تعالى في السر والعلانية :

أختي المسلمة ...

لقد بلغ من خوف الصالحات القانتات أهن كن يبكين بكاء شديدًا من شدة خوفهن من الله – عز وجل –، ومن هؤلاء الصالحات:

١- **منيفة بنت أبي طارق**: وكانت بالبحرين، وكانت – رحمها الله – تقوم الليل وتقرأ القرآن الكريم، وتبكي، وفي ليلة قرأت: ﴿ **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [آل عمران: ١٠١]. فما زادت عليها وأخذت ترددها وتبكي.

٢- **بردة الصريمية**: وكانت من عابدات البصرة، كانت تقوم الليل، فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون، نادت بصوت حزين: هدأت العيون، وغارت النجوم، وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوت بك يا محبوبي، أفتراك تعذبني وحبك في قلبي(١)؟

وكانت تبكي حتى يرحمها من رآها، ولقد بكت حتى ذهب بصرها فلاموها على ذلك، فقالت: لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة، لقلتم إن هذا البكاء كاللعب(٢).

٣- **شعوانة –رحمها الله–** :كان من خوفها وخشيتها تقول: وددت أني أبكي حتى تنفد دموعي، ثم أبكى الدماء حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم، وأنّي لي البكاء، فلم تزل تردد «**وأنّي لِيَ البكاء**» حتى غشى عليها.

وكانت تترنم بهذين البيتين:

أذرى جفونك إمّا كنت شاجية ... إنّ النـــياحة قد تشفى الحزينينا

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/٢٢).

(٢) تنبيه المغترين للشعراني (ص١١٦).

جدي وقومي وصومي الدهر دائبة فإنما الدَّوب من فعل المطيعينا[١]

اطردي فراغك بالأعمال النافعة

أختي المسلمة ...

يوم تجدين في حياتك فراغًا فتهئ حينها للهم والغم والفزع، لأن هذا الفراغ يسحب لك ملفات الماضي والحاضر والمستقبل من أدراج الحياة، فيجعلك في أمر مريج، ونصيحتي لك ولنفسي أن تقومي بأعمال مثمرة بدلاً من هذا الاسترخاء القاتل، لأنه وأدٌ خفي، وانتحار بكبسول مسكن.

إنَّ الفراغ أشبه بالتعذيب البطيء الذي يُمارس في سجون الصين، بوضع السجين تحت أنبوب يقطر كل دقيقة قطرة، وفي انتظار السجين لهذه القطرات يُصاب حينها بالجنون.

الراحة غفلة، والفراغ لص محترف، وعقلك هو فريسة ممزقة لهذه الحروب الوهمية[٢].

إذا قمت الآن فصلي لله ركعات، أو اقرئي ما تيسر من القرآن، أو سبحي الله - عز وجل - أو حمديه، أو هللي وكبري، أو رتبي أثاث بيتك، أو أصلحي من شأن أولادك بالتعليم والنصح لهم والإرشاد، حتى تقضي على الفراغ وإني لك لمن الناصحين.

اذبحي الفراغ بسكين العمل - أقصد أعمال الأسرة المنزلية وغيرها - ويضمن لك أطباء العالم ٥٠٪ من السعادة مقابل هذا الإجراء الطارئ فحسب...

أختاه ...

اعملي عمل قصيرة الأمل، ولا تمسي حتى تنظري فيما مضى من يومك، فإن رأيت ذلة فامحيها بتوبة، وإذا أصبحت فتأملي ما مضى في ليلك، ثم صوري لنفسك قصر العمر، وقوة الندم على التفريط عند الموت.

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي.

(٢) لا تحزن للشيخ عائض القرني (ص٢٣) بتصرف ط/ مكتبة ابن تيمية.

أختاه ...

لا تضيعي الوقت فالعمر قصير، لا تضيعيه بالنوم والبطالة والأحاديث الفارغة، وطلب اللذات.. واعلمي أن الراحة لا تنال بالراحة، ومعالي الأمور لا تُنال بالفتور، ومن زرع حصد، ومن جد وجد.

اللهم إنّ حسناتنا من عطائك، وسيئاتنا من قضائك، فجد اللهم بما أعطيت على ما قضيت حتى تمحو ذلك.

اللهم إنا نعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، ونعوذ بك من حياة تمنع خير الممات، ونعوذ بك من أمل يمنع خير العمل، يا رب العالمين.

❁❁❁

سلوكيات المرأة المسلمة

في

المناسبات الدينية

سلوك المرأة المسلمة

في المناسبات

١- سلوكها في العيد:

وسمى العيد عيدًا لعوده كل عام، أو لعوده بالخيرات على المؤمنين والمؤمنات، وهو يدل على الفرح والسرور، والعيد يأتي بعد نوعين من الطاعة بعد صوم رمضان، ويسمى بعيد الفطر، ولذلك جاء في الحديث: «**للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه**»[١].

والثاني يكون بعد إتمام فريضة الحج والعمرة في اليوم العاشر من ذي الحجة وليس لأهل الإيمان أعياد سوى هذين العيدين.

قال أنس بن مالك ﷺ : للمؤمن خمسة أعياد:

١- كل يوم يمر على المؤمن، ولا يكتب عليه ذنب فهو يوم عيد.

٢- اليوم الذي يخرج فيه من الدنيا بالإيمان والشهادة، والعصمة من كيد الشيطان فهو عيد.

٣- اليوم الذي يجاوز الصراط، ويأمن من أهوال القيامة، ويخلص من أيدي الخصوم والزبانية، فهو عيد.

٤- اليوم الذي يدخل فيه الجنة، ويأمن الجحيم فهو يوم عيد.

٥- واليوم الذي ينظر فيه إلى ربه ومولاه، فهو يوم عيد.. قال تعالى: ﴿ **وَجُوهٌ يَوْمَئِذ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. وفي الحديث: «**إذا دخل أهل الجنةَ الجنةَ، يقولَ الله - عزَ وجل -: تريدون أن أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتجنبنا من النار؟!**

قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»[٢].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٩٣٩٢)، بإسناد صحيح وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٥١٨٣).

(٢) رواه مسلم.

ثم تلا قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ...﴾ [يونس: ٢٦]. قال علماء التفسير: الحسنى هى الجنة، والزيادة رؤية وجه الله الكريم.

حكم صلاة العيدين

واختلف العلماء في حكم صلاة العيدين: فبعضهم قال بأنها واجبة، لمواظبة النبي ﷺ عليها من غير ترك، وقد أمر بالخروج إليها حتى النساء، وذوات الخدور.

ويرى جمهور الفقهاء وهو الراجح أن صلاة العيدين سنة مؤكدة لحديث طلحة ابن عبيد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من قبل نجد، ثائر الرأس، يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : «**خمس صلوات في اليوم والليلة**» قال: هل عليَّ غيرهن؟

قال: «**لا، إلا أن تطوع**»[1].

ويستحب للمرأة استحبابًا أكيدًا الخروج لصلاة العيد في المصلى، وشهود دعوة الخير من المسلمين، من غير فرق بين البكر والثيب، والعجوز والشابة، والحائض وغيرها، حتى المرأة لو لم تجد جلبابًا، فإنها تستعير من أختها ...

فعن أم عطية - رضي الله عنها - قالت: كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد، حتى نخرج البكر من خدرها، حتى نُخرج الحُيَّض، فيكنَّ خلف الناس، فيكبرون بتكبيرهم ويدعون بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته[2].

وفي رواية: فقالت: يا رسول الله، على إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج؟ فقال ﷺ: «**لتلبسها صاحبتها من جلبابها، فليشهدن الخير، ودعوة المؤمنين..**»[3].

وقت صلاة العيد

ذكر الفقهاء أن صلاة العيد تكون من ارتفاع الشمس قدر رمح أو رمحين، وهو ما يقدر بثلث الساعة، إلى ما قبل الزوال.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، وأبو داود.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود.

(٣) رواه البخاري (٩٨٠)، وأحمد في مسنده (٢٠٦٦٨)، وصحيح سنن أبي داود للألباني (١١٣٦).

لقول يزيد بن خُمير: خرج عبد الله بن بسر ﷺ مع الناس في يوم عيد فطر أو أضحى، فأنكر إبطاء الإمام، فقال: إنَّا كنا مع النبي ﷺ قد فرغنا ساعتنا هذه، وذلك حين التسبيح(١).

يعني دخول وقت السبحة، وهي النافلة، وذلك بعد ارتفاع الشمس.

ويسن عند بعض الفقهاء تعجيل صلاة الأضحى، وتأخير صلاة الفطر..

كيفية صلاة العيد

وصلاة العيد ركعتان، يُكبر في الأولى تكبيرة الإحرام، ثم يكبر بعدها سبع تكبيرات، ويُفصل بين كل تكبيرة وأخرى بقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.. أو بقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير..

وفي الركعة الثانية بعد تكبيرة القيام من الأولى، تكبر خمس تكبيرات.. ويستحب قراءة سبح اسم ربك الأعلى بعد الفاتحة من الركعة الأولى، وسورة الغاشية في الركعة الثانية بعد الفاتحة، لقول سمرة بن جندب ﷺ «كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية»(٢) أو بسورة ق، واقتربت الساعة.. أو ما تيسر من القرآن. يخطب الإمام بعد الصلاة، ويستحب أن يخص النساء بموعظة.

ما ينبغي للأخت المسلمة أن تسلكه يوم العيد

١- غسل العيد:

ومن الاغتسالات المسنونة غسل العيدين، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يغتسل يوم عيد الفطر، وعيد الأضحى.

وقد ورد أنَّ رجلاً سأل عليًّا ﷺ عن الغسل؟ قال: اغتسل كل يوم إن شئت، فقال: لا، الغسل الذي هو الغسل؟

---

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني (١١٣٥)، و ابن ماجه (١٣١٧).

(٢) رواه أحمد، والطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات كما ذكره الهيثمي في المجمع (٢/٢٠٣).

قال: يوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم الفطر[١].

وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يغتسل يوم الفطر، ويوم النحر.

٢- لبس أحسن الثياب وأجملها:

وينبغي للمرأة المسلمة أن تحرص على ارتداء أحسن الثياب وأجملها شريطة أن لا تكون مخالفة للزى الإسلامي المشروع للمرأة المسلمة .

فقد كان النبي ﷺ يخص يوم العيد بلبس برده الأحمر، كما روى البيهقي من حديث جابر ﷺ قال: كان ﷺ يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة[٢]..

٣- أن تأكل قبل الخروج في الفطر دون الأضحى:

لحديث أنس قال: «كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات»[٣].

ولقول بريدة: كان النبي ﷺ يوم الفطر لا يخرج حتى يُطعم، ويوم النحر لا يُطعم حتى يرجع، فيأكل من كبد أضحيته[٤].

ويستحب أن تكون التمرات وترًا.

▪ **والحكمة في استحباب الأكل يوم الفطر**: لئلا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلى العيد وقيل: إنه لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصيام، استحب تعجيل الفطر مبادرة إلى امتثال أمر الله تعالى.

والحكمة من تأخيره يوم الأضحى، لأنه يوم تشرع فيه الأضحية، والأكل منها.

٤- الخروج إلى المصلى:

وخروج المرأة إلى المصلى مبكرة بحيث تخرج متسترة غير متبرجة ولا متطيبة، ولا متحلية بما يثير الفتنة.

تقول عائشة - رضي الله عنها - : قد كانت تخرج الكعاب من خدرها لرسول الله ﷺ في العيدين[٥].

---

(١) مسند الشافعي برقم (١١٤) ومن طريقه البيهقي وسنده صحيح موقوف.

(٢) رواه البيهقي وابن خزيمة.

(٣) رواه البخاري، وأحمد، والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٤) رواه أحمد، والترمذي، والبيهقي، والحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٥٣٨٩) بإسناد صحيح ورواه ابن أبي شيبة بسند رجاله رجال الصحيح.

ولقول أم عطية - رضي الله عنها - أمرنا رسول الله ﷺ أن تخرج العواتق، وذوات الخدور، والحيَّض يوم الفطر، ويوم النحر، فأما الحُيَّض فيعتزلن المصلى، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين[1].

٥- ينبغي أن يُصلي العيد في جماعة:

فالجماعة في العيد سنة مؤكدة، وتصح منفردة، وتقضى إن فاتت ومن أدركت إمام العيد في التشهد، فقد أدركت العيد، فإذا سلم الإمام قامت المسبوقة، فصلت ركعتين، تأتي فيهما بتكبير العيد اتفاقًا لعموم حديث أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «**إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**»[2].

٦- هنئى أخواتك المسلمات بالعيد:

وتباح التهنئة بالعيد لأخواتك المسلمات أو لذوى رحمك من الآباء والأمهات والعمات والخالات ونحو ذلك.

والتهنئة تكون بنحو: تقبل الله منا ومنك، أو نحو هذا اللفظ وتزيين عليه: وغفر الله لنا ولك.

فهو دعاء لأختك المسلمة، والدعاء مستحب، لكن كره علماؤنا التهنئة بنحو «عيد مبارك، أو يوم مبارك، أو صبحك الله بالخير، أو غير ذلك...» ويُسن للمسلم أو المسلمة أن تهنئ أخواتها في المناسبات الطيبة، وقد ذكر الإمام السيوطي رسالة في التهاني سماها (وصول الأماني بأصول التهاني) ذكر فيها إحدى عشرة تهنئة غير التهنئة بالعيد، وها هي ملخصها:

الأولى: يسن تهنئة من حصل على درجة عالية، ومنزلة رفيعة، لقول أنس بن مالك ؓ نزل على النبي ﷺ: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ [الفتح: ١، ٢]. بعد رجوعه من الحديبية، فقال: «**لقد أنزلت**

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والبيهقي والدارمي.
(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

عليّ آية أحب إليّ مما على وجه الأرض» ثم قرأها عليهم، فقالوا للنبي ﷺ : هنيئًا لك مريئًا يا رسول الله(١).

ولقول أسامة بن زيد ﷺ تبعت رسول الله ﷺ إلى بيت حمزة فلم نجده، فقالت امرأته: جئت يا رسول الله، وأنا أريد أن آتيك وأهنئك فأخبرني أبو عمارة (أي حمزة) أنك أعطيت نهرًا في الجنة يُدعى الكوثر(٢).

ولحديث البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» فقال عمر بن الخطاب ﷺ : هنيئًا لك يا علي أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة(٣).

الثانية: ويسن التهنئة بالتوبة ونحوها، كالبراءة من عيب نُسب إليه: لقول كعب ابن مالك في قصة توبته: (وانطلقت أتيمم رسول الله ﷺ - أي أقصده - ويتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئوني بتوبتي ويقولون: ليهنك - أي ليكن هنيئًا لك - توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ حوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، فكان كعب لا ينساها لطلحة، فلما سلمتُ على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذُ ولدتك أمك»(٤).

الثالثة: ويسن التهنئة بالبرء من المرض، لقول خوات بن جبير: مرضتُ فعادني النبي ﷺ ، فلما برأت، قال: «صح جسمك يا خوات»(٥).

ولقول مسلم بن يسار: كانوا يقولون للرجل إذا برأ من مرضه: ليهنك الطهر.

الرابعة: ويسن التهنئة بالحج: بنحو: بَرَّ نُسكك، وقبل الله حجك، وكفر ذنبك.

الخامسة: ويسن تهنئة القادم من الجهاد والسفر بنحو: الحمد لله الذي سلمك، أو: الحمد لله الذي جمع الشمل بك.. لقول عائشة - رضي الله عنها - كان رسول

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي وهذا لفظه.

(٢) رواه الحاكم.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٥٢٤).

(٤) رواه البخاري، ومسلم.

(٥) رواه الحاكم.

الله ﷺ في غزوة، فلما دخل استقبلته، فأخذت بيده، فقلت: الحمد لله الذي نصرك، وأعزك وأكرمك[١].

السادسة: ويسن التهنئة بالنكاح، لحديث أبي هريرة ؓ أنَّ النبي ﷺ كان إذا تزوج رجل قال له: «**بارك الله لك وبارك عليك، وجمع بينكما في خير**»[٢].

السابعة: ويسن التهنئة بالمولود.. لقول السرى بن يحيى: ولد لرجل ولد، فهنأه رجل، فقال: ليهنَك الفارس، قال الحسن البصري – رحمه الله-: وما يدريك؟

قال: جعلهَ الله مباركًا عليك، وعلى أمة محمد[٣].

الثامنة: ويُسن التهنئة بشهر رمضان...

التاسعة: ويسن التهنئة بالثوب الجديد، لقول أم خالد بنت خالد: إنَّ رسول الله ﷺ كساها خميصة، فألبسها بيده، وقال: «**أبلي وأخلقي**» مرتين[٤]. ولقول ابن عمر: إنَّ رسول الله ﷺ رأى على عُمر قميصًا أبيض، فقال: «**ثوبك هذا غسيل أم جديد؟**»

قال: لا، بل غسيل، فقال: «**البس جديدًا، وعش حميدًا، ومت شهيدًا**»[٥].

العاشرة: ويستحب التهنئة بالصباح والمساء:

لحديث ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال لرجلٍ: **كيف أصبحت يا فلان؟** قال: أحمد الله إليك يا رسول الله.

فقال ﷺ : «**ذاك الذي أردت منك**»[٦].

الحادية عشرة: قال الغزالي في الإحياء: في أدب الحمام، لا بأس بقول الرجل لغيره: عافاك الله. وقال النووي في الأذكار: لو قال إنسان لصاحبه على سبيل المودة والمؤانسة: دام لك النعيم، ونحوه من الدعاء، فلا بأس به[٧].

٧- خالفي طريق الذهاب في العودة:

فيستحب أن تعودي من طريق آخر غير طريق الذهاب لقول جابر ؓ : كان

(١) رواه ابن السني وغيره.
(٢) رواه ابن ماجه، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح.
(٣) ذكره الطبراني في الدعاء.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.
(٦) رواه الطبراني بإسناد حسن.
(٧) نقلاً من الدين الخالص للشيخ محمود خطاب السبكي (٣٥٦/٤-٣٥٨) بتصرف.

النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق. ولقول ابن عمر - رضي الله عنهما - إنَّ النبي ﷺ أخذ يوم العيد في طريق ثم رجع في طريق آخر(١).

والحكمة من ذلك: أن يشهد لك الطريقان، وسكانهما من الإنس والجن، ولإظهار شعائر الإسلام، وأن تعم البركة الطريقين.. ولو رجعت من الطريق الذي ذهبت إلى المصلى منه فلا بأس...

٨- يسن لك أن تتصدقي بما تجود به نفسك:

لما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: خرج رسول الله ﷺ يوم فطر، فصلى ركعتين، لم يُصلِّ قبلهما، ولا بعدهما، ثم أتى النساء ومعه بلال، فأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تُلقي خرصها وسخابّها(٢).

ولحديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: شهدت الصلاة مع رسول الله ﷺ في يوم عيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، فلما قضى الصلاة قام متوكئًا على بلال، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ الناس، وذكرهم وحثهم على طاعته، ثم مضى إلى النساء ومعه بلال، فأمرهن بتقوى الله، ووعظهن، وحثهن على طاعته، ثم قال: «**تصدقن، فإن أكثركن حطب جهنم**» فقالت امرأة من سفلة النساء، سفعاء الخدين: لَم يا رسول الله؟ قال: «**لأنكن تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير**» فجعلن ينزعن حليهن وقلائدهن وقرطهن وخواتمهن يقذفن به في ثوب بلال، يتصدقن به(٣).

٩- جواز اللهو واللعب والغناء:

والمقصود اللهو واللعب المباحان، لترويح النفس، لحديث عائشة - رضي الله عنها - أن أبا بكر الصديق ﷺ دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى، تغنيان، وتضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى بثوبه، فانتهرهما، فكشف رسول الله ﷺ وجهه، وقال: «**دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد**»(٤).

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني برقم (١١٥٦)، ورواه البخاري وأحمد.

(٣) رواه مسلم، وأحمد، والنسائي، والبيهقي.

(٤) رواه مسلم وأحمد في مسنده .

ولقول عائشة – رضي الله عنها – : دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقولت به الأنصار يوم بعاث، وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ؟ – وذلك في يوم عيد – فقال رسول الله ﷺ : «**يا أبا بكر، إنَّ لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا**»(١).

هذا ولكي يعلم أهل الكفر والضلال أن في ديننا فسحة ..

١٠- ويستحب صنع طعام شهي:

ويستحب للمرأة المسلمة التوسعة على الأهل والأبناء أو الإخوة والأخوات، بصنع طعام شهي، أو مأكولات شهية بلا إسراف أو تبذير، قال تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الأعراف: ٣١]. وقال سبحانه: ﴿ **وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً** ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

١١- اشهدي الأضحية إن كان لديك أضحية تقدمينها لله - عز وجل -:

لحديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «**يا فاطمة، قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملتيه، وقولي: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين**»

قال عمران:يا رسول الله، هذا لك ولأهل بيتك خاصة. فأهل ذلك أنتم – أو للمسلمين عامة؟ قال: «**بل للمسلمين عامة**»(٢).

لأن التضحية سنة مؤكدة في حق الموسر أو الموسرة عند الجمهور، وإن كان لدي الزوج أو الأب أضحية فلا مانع من أن تشهديها كذلك.

---

(١) رواه البخاري، وأحمد وغيرهما.

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورواه الحاكم وصححه وردَّ بأن في سنده أبا حمزة الثمالي وهو ضعيف.

بدع العيد

أختي المسلمة ...

إن الشيطان للإنسان عدو مضل مبين، وقد آلى على نفسه أن يغوى الناس، ويصدهم عن طريق الهداية، ويُحسن لهم سبل الضلال، ليحول بينهم وبين رحمة الله وغفرانه، ويقذف بهم في مهاوي الخزى والحرمان، فحسن لهم البدع والعادات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فارتكبوا في هذه الأيام الفاضلة بدعًا كثيرة، تعرضوا بها لغضب الله ومقته.. وتحقق فيهم قول عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: «ما أتى على الناس عام، إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن» وبدع العيد كثيرة منها:

١- الإسراف في الطعام والشراب:

وأشد الأمور، وأكثر الأشياء التي تداوم عليها المرأة ما يسمى بـــ «كعك العيد» وربما ترهق الزوج، وربما تحمله مالا يطيق بسبب هذا الذي اتخذته النساء عادة قبيحة.. بل إنني أعلم أن هناك نساء كثيرات يتنازعن مع أزواجهن حتى يكاد البيت ينهار بسبب ما نسميه (كعك العيد) وهذا ليس له أصل لا في الكتاب، ولا في السنة، ولا هو فعل أحد السلف.. رضوان الله عليهم.

٢- الإسراف كذلك فِما يسمى بـ(ملابس العيد):

وأيضًا نرى الكثير من السيدات يرهقن أزواجهن بملابس العيد، ونحو ذلك من المشتريات وهذا مرفوض أيضًا في الشريعة الإسلامية.. فليس العيد بلبس الجديد، والكن العيد لمن خاف يوم الوعيد..

في يوم من أيام العيد جاءت بنات عمر بن عبد العزيز، وقلن له: يا أمير المؤمنين، العيد غدًا، وليس عندنا ثياب جديدة نلبسها.. فماذا يفعل؟

لقد نظر إليهن وقال: يا بناتي، ليس العيد من لبس الجديد، إنما العيد لمن خاف يوم الوعيد..

وإذا بوزير ماليته يقول له: يا أمير المؤمنين، ما ضر لو صرفنا لك راتب شهر مقدمًا؟ فنظر إليه نظرة غضب وقال له: ثكلتك أمك، وهل اطلعت على علم الغيب، فوجدتني سأعيش يومًا واحدًا بعد الآن.

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ.. ﴾ [لقمان: ٣٤].

ودخل رجل على عليٍّ بن أبي طالب ﷺ وهو أمير المؤمنين – في يوم عيد، فوجده يأكل خبزًا خشنًا.. فقال له: يا أمير المؤمنين، يوم العيد، وتأكل خبزا خشنًا!

فقال: اليوم عيد من قُبل صومه، وشُكر سعيه، وغفر ذنبه.. اليوم لنا عيد، وغدًا لنا عيد، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد..

٣- السهر ليلتي العيد في غير طاعة:

بل الاشتغال بزخارف الدنيا واللهو واللعب، كسماع الأفلام والمسلسلات المضيعة للأوقات..

٤- خروج النساء والرجال إلى المقابر:

ومن العادات السيئة التي تعود عليها نساء العصر الذهاب إلى المقابر يوم وقفة عيد الفطر أو يومه، أو وقفة عيد الأضحى ويومه.. فهذا كله مخالف لسنن الدين، ومناقض لما عليه طريق المؤمنين .. قال تعالى: **﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾** [النساء: ١١٥].

٥- ومن البدع: انصراف الناس عن العبادة:

مرَّ أحد الصالحين على شباب يلعبون يوم الفطر، فقال: يا هؤلاء، إن كان صومكم قد قُبل، فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان صومكم لم يقبل فما هذا فعل المحزونين، فوقع كلامه في قلوبهم، وتركوا لهوهم.

سلوكيات المرأة المسلمة في رمضان

شهر رمضان، شهر لياليه أنور من الأيام، وأيامه مطهرة من دنس الآثام، وصيامه أفضل الصيام، وقيامه أجل القيام.

شهر فضل الله به أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.. شهر أنزل الله فيه كتابه، وفتح للتائبين فيه أبوابه.. شهر فيه السيئات فيه مغفورة، والأعمال الحسنة فيه موفورة، والمساجد بذكر الله فيه معمورة، وقلوب المؤمنين والمؤمنات بالتوبة فيه مسرورة.. قال ﷺ : «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين، وغلقت أبواب النيران، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يُغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر**»(١).

شهر رمضان.. شهر الصوم، والصوم هو العبادة الوحيدة التي وعد الله أصحابها أن يعطيهم الثواب بنفسه، لذا أضافه إلى نفسه، فقال سبحانه في الحديث القدسي الجليل: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به..**»(٢).

الصوم يشفع لأصحابه يوم القيامة.. ودعوة الصائمين والصائمات لا ترد.. فطوبى لمن جوعت نفسها ليوم الشبع الأكبر، وطوبى لمن ظمأت نفسها ليوم الرى الأكبر، وطوبى لمن تركت شهوة حاضرة لموعد غيب لم تره، وطوبى لمن تركت طعامًا، ينفد في دار تنفد، لدار ﴿ **أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا** ﴾ [الرعد: ٣٥].

وهناك في شهر الصيام آدب ينبغي للمرأة المسلمة أن تسلكها وها هي:

١- التوبة النصوح:

ينبغي للأخت المسلمة أن تستقبل شهر رمضان بتوبة صادقة إلى الله – عز وجل –، وبهذه التوبة تتخلى الأخت المسلمة عن كل الرذائل، فتبدل الكذب بالصدق، والرياء بالإخلاص، والثرثرة بالصمت، وقراءة المجلات بقراءة الكتب النافعة، وقراءة كتاب

(١) رواه ابن ماجه، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٤٩).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

الله تعالى وسنة حبيبه محمد ﷺ .. لأن رمضان موسم الخيرات والطاعات، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرمت منها، حرمت الخير كله.

٢- الاستعداد لشهر رمضان:

والاستعداد لهذا الشهر المبارك بم يكون؟ أيكون بتجهيز الأطعمة والأشربة؟ أيكون بإعداد الموائد؟ أيكون بما نسميه (ياميش رمضان)؟

لا .. بل يكون بالأعمال الصالحة، والتخلي عن كل قبيح، والتحلي بكل ما هو مليح كان رجل من السلف عنده جارية، وقبل حلول رمضان قال لها: هيا بنا نذهب إلى السوق لنشتري طعام رمضان.. فقالت له: أي الطعام تريد؟ أطعام الأرواح أم طعام الأجساد؟ قال: صفيهما لي.. قالت: طعام الأرواح هو الذكر والعلم والتقرب إلى الملك العلام، لقد كنت عند قوم كانت حياتهم كلها رمضان...

٣- احرصي على تلاوة القرآن الكريم:

فهو شهر القرآن .. ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...** ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فينبغي أن تكثري من تلاوته وحفظه، وتدبره، فقد كان جبريل - عليه السلام - يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان، وعارضه في عام وفاته مرتين، وكان عثمان بن عفان ؓ يختم القرآن في كل يوم مرة، وكان بعضهم يختم القرآن في كل ثلاث مرة، وكان الشافعي -رحمه الله- يختمه في شهر رمضان ستون ختمة.

٤- بادري إلى أداء عمرة:

لأن العمرة في رمضان لها فضل كبير، وثواب عظيم عن غير رمضان، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ ، لما رجع من حجة الوداع، قال لامرأة من الأنصار - اسمها - أم سنان- «**ما منعك أن تحجي معنا؟**».

قالت: أبو فلان - تعني زوجها - له ناضحان - أي بعيران - يركب أحدهما، والآخر نستقى عليه الماء، فقال لها النبي ﷺ : «**فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن**

عمرة فيه تعدل حجة» أو قال: «حجة معي»[١].

٥- عليك بقيام الليل:

فإنها فرصة عظيمة، لأن في أيام الدهر نفحات، فتعرضي لها، فعسى أن تصيبك نفحة من هذه النفحات فلا تشقين بعدها أبدًا ..

قال ﷺ : «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»[٢].

قال ابن الحاج: وفي القيام من الفوائد أنه يحط الذنوب، كما يحط الريح العاصف الورق الجاف من الشجرة، وينور القبر، ويحسن الوجه، ويذهب الكسل، وينشط البدن، وترى الملائكة موضعه من السماء، كما يتراءى الكوكب الدري لنا من السماء.

٦- تحرى ليلة القدر:

فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣].

وكان النبي ﷺ يتحرى ليلة القدر، ويأمر أصحابه بتحريها، وكان يعتكف لذلك، وكان يوقظ أهله في ليالى العشر رجاء أن يدركوها.

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: «قولى: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»».

٧- تجنبي الغيبة والنميمة :

ليكون صومك من أفضل أنواع الصيام، فقد قسمه العلماء إلى ثلاثة أقسام:

١- صوم العوام.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم (متفق عليه).

(٢) رواه الترمذي، والبيهقي، والحاكم في المستدرك عن بلال وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٩٥٨).

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وأبو داود وغيرهم.

٢- صوم الخواص.

٣- صوم خواص الخواص.

فالأول: هو الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة، والثاني: الامتناع عن ذلك مع حفظ السان والبصر، وصوم الأعضاء عن كل شر.

فينبغي لمن أصبحت صائمة أن تقول للسانها: إنك اليوم صائم من الكذب والنميمة، وقول الزور والباطل، والغيبة..

وتقول لعينيها: إنكما اليوم صائمتان عن النظر إلى ما لا يحل لكما...

وتقول للأذنين: إنكما اليوم صائمتان عن الاستماع إلى ما يكره ربكما...

ولليدين: إنكما اليوم صائمتان من البطش فيما حرم الله عليكما من الغش في البيع والشراء، والأخذ والعطاء..

وللبطن: إنك اليوم صائمة عن المطعم، فانظري على ماذا تفطرين؟ وتجنبي المطعم الخبيث، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

وللقدمين: إنكما اليوم صائمتان من السعي إلى ما يُكتب عليكما وزره، ويبقى عليكما إثمه ... وأما النوع الثالث: فصوم القلب عما سوى الله تعالى..

أختاه ...

من صامت عن الطعام والشراب فصومها عادة، ومن صامت عن الحرام، وأفطرت على الحلال من الطعام فصومها عدة وعبادة، ومن صامت عن الذنوب والعصيان وأفطرت على طاعة الرحمن فهى صائمة راضية.

٨- اجتهدي في الدعاء :

لأن لك دعوة لا تُرد، قال ﷺ : «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والمسافر حتى يرجع، والمظلوم**»[(١)].

واجتهدي في الدعاء أثناء الإفطار أو عنده، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو عند إفطاره ويقول: «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني برقم (٣٠٩٧) في صحيح الألباني والصحيحة برقم (١٨١٠).

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٢٩٩) وصحيح سنن أبي داود للألباني (٢٣٥٧).

٩- أكثري من النوافل والذكر:

لأن من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فيه فريضة.. وذكر الله تعالى هو غذاء القلوب والأرواح .. هذا وإن كان الذكر مستحبًّا في رمضان وفي كل الأوقات والأيام لكنه أكثر ثوابًا في رمضان.

١٠- لا تضيعي أوقاتك:

لأن وقتك هو رأس مالك .. هو عمرك، وسوف تُسألين عن هذا الوقت أمام الله - عز وجل -.. قال ﷺ : «**لا تزولا قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسمه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟**»(١).

فاحذري أن تضيعي أوقاتك أمام التلفاز، لا تضيعي وقتك في سماع ما لا يفيد كالمسلسلات والأفلام، والمسرحيات، وغير ذلك، بحجة أنك تُسلين وقت صيامك.

(موعظة)

أختاه ...

أفيقي من السكرات .. أترضين يا مسكينة أن يرد صومك في وجهك من غير قبول من الله - عز وجل -؟

هنيئًا لك إن أطعت الملك الرحمن، في شهر الرحمة، شهر رمضان.. أقبلي على الخير تفوزي بسرور دائم.. تاجري مع مولاك، فإنك تربحين، وعامليه فسوف تفلحين .. واعتذري إليه يقبل عذرك.. واستغفريه يغفر ذنبك، وارغبي إليه يكشف كربك، واسأليه من فضله، فإنه يوسع رزقك، وتوبي إليه يعظم حظك..

أختاه ...

هذا الشهر المبارك تستر فيه القبائح والعيوب، وتلين فيه النفوس والقلوب، وتغفر فيه الأوزار والذنوب، ويُنفس فيه عن الحزين والمكروب. توجهي إلى الله تعالى بقلب خاشع، ولسان صادق، وقولي:

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٣٠٠).

اللهم اجعل قلوبنا مملوءة بحبك، وألسنتنا رطبة بذكرك، ونفوسنا مطيعة لأمرك، وارزقنا الزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة، واغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين، يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين ..

❁❁❁

سلوكيات المرأة المسلمة

في

مواساة الناس ومشاركتهم

في مصائبهم

مواساة الناس ومشاركتهم في مصائبهم

أختي المسلمة ...

المواساة باب عظيم من أبواب الخير، لأنه يوطد العلاقات، ويجلب المودة، وينشر المحبة بين الناس.

وتوطيد العلاقات، ونشر المحبة بين الناس هدف من أسمى الأهداف الإسلامية ألا تتأملين نصائح رسول الإنسانية، ورسول البشرية ﷺ، عندما يقول لأصحابه وأتباعه: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله .. قال: «**أفشوا السلام بينكم تحابوا**»[(١)]؟

ألم يحثنا على التزاور في الله؟! ألم يحثنا على أداء الحقوق لكل المسلمين والمسلمات عندما قال: «**حق المسلم على المسلم ست** ...»[(٢)] وذكرها

▪ والمواساة تطلق في الأصل على: المداواة والإصلاح والعلاج، فكأن المواسى يعالج المواسَى ويداويه، ويخفف عنه ما هو فيه.

بمَ تكون المواساة ؟

وتكون المواساة بالمشاركة والمعاونة، والمساهمة لتخفيف ما حل بأختك المسلمة أو أخيك المسلم.

ولها صور متعددة.. يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله- [(٣)]:

والمواساة للمؤمنين أنواع:

مواساة بالمال .. ومواساة بالجاه .. ومواساة بالبدن والخدمة .. ومواساة بالنصيحة والإرشاد .. ومواساة بالدعاء والاستغفار .. ومواساة بالتوجع ..

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان، ضعفت المواساة،

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، ومسلم، وأحمد، وأبو داود، وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.

(٣) الفوائد لابن القيم الجوزية (ص١٨٩) ط/ دار الحياة بيروت.

وكلما قوى، قويت.. وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله .. انتهى .

ومن أبواب المواساة: عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتعزية أهل الميت، والوقوف بجانب الضعفاء، والسداد عن أصحاب الديون شيئًا من دَيْنهم.. والمشاركة في حل مشاكل الناس.. وإقالة العثرات ونحو ذلك من المساهمات والمشاركات..

واسى بالمال إن استطعت

أختي المسلمة ...

واسى بالمال إن استطعت، أو كان ذلك في مقدورك، فالمواساة بالمال من أجل وأنفع أنواع المواساة،، لأن النفس غالبًا ما تحب المال فتضن به، وتبخل.. قال تعالى: ﴿ **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾ [الفجر: ٢٠].

وهو مقصد عظيم من أجل المقاصد التي شرعت لها الزكاة.. قال سبحانه: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة: ١٠٣]. ففيها مواساة للفقراء والمساكين، والغارمين، وأبناء السبيل وغيرهم..

أختاه ...

الأيام دول .. يوم لك، ويوم عليك.. يوم عسر، ويوم يسر، يوم فرح، ويوم حزن.. وهكذا.

فإذا حلت بأختك المسلمة حاجة كفقر، أو مسكنة، أو حلت بها جائحة احتاحت مالها، وذهبت به ، فقومي إلى جوارها بشيء يسير من مالك، لتخففين عنها شيئًا مما ألم بها ..

واعلمي أختاه أن الله جلت قدرته سوف يعوضك على هذا، ويجزيك الجزاء الأوفى.. قال سبحانه: ﴿ **وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً...** ﴾ [المزمل: ٢٠].

وسوف يخلف عليك رب العالمين، قال جل في علاه : ﴿ **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [سبأ: ٣٩].

كل هذا شريطة أن تكون هذه المواساة، وتلك النفقة يقصد بها: ابتغاء مرضاة

الله، قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً ﴾ [الإنسان: ٩]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

أستاذ البشرية ﷺ يحثك على المواساة

أحاديث كثيرة في فضل المواساة منها:

حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**أربعون خصلة - أعلاهن منيحة العنز - ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها، إلا أدخله الله بها الجنة**»(١).

قال ابن حجر في الفتح: المنيحة بالنون والحاء المهملة على وزن عظيمة، وهى في الأصل: العطية، قال أبو عبيد: المنيحة عند العرب على وجهين:

أحدهما: أن يعطى الرجل صاحبهُ صلة، فتكون له، والآخر: أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بحلبها، ووبرها زمنًا ثم يردها... والمراد بها هنا: عارية ذوات الألبان، ليؤخذ لبنها ثم ترد هى لصاحبها. اهـ(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ نهى .. فذكر خصالاً، فقال: «**من منح منيحة غدت بصدقة، وراحت بصدقة صبوحها وغبوقها**»(٣).

وعن أبي بكر ﷺ أنّ أصحاب الصُّفة كانوا أناسًا فقراء، وأن النبي ﷺ قال ذات مرة ليحث غيرهم على مواساهم: «**من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة، فليذهب بخامس أو سادس...**»(٤).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ، إذ جاء رجل على راحلة له، قال فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ : «**من كان معه فضل ظهر** - أي زيادة فيما يُركب - **فليعدْ به على من لا ظهر له، ومن**

---

(١) رواه البخاري (٢٦٣١)، وأحمد في مسنده (٦٤٨٨)، وصحيح الجامع برقم (٨٩١).
(٢) فتح الباري (٥/٢٤٣).
(٣) رواه مسلم (١٠٢٠) وأحمد بنحوه.
(٤) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد في مسنده.

كان له فضل من زاد، فليعدْ به على من لا زاد له»[١].

وفي حديث أم عطية لما أمر الرسول ﷺ النساء أن يخرجن إلى المصلى ..

سألته إحدى النساء قائلة: يا رسول الله : فإن لم يكن لإحداهن - أي للعوائق، أو ذوات الخدور، أو الحُيّض – قال ﷺ : «**تلبسها أختها من جلبابها**»[٢]. فهلا تفعل نساء العصر بهذه الوصية المباركة، فتعطى المرأة الموسرة المرأة المعسرة شيئًا من مالها أو ثيابها!

هلاّ أعطت صاحبة العقارات والعمارات من ليس لهن شيئًا من ذلك!

هلاّ تصدقن بشيء مما مَنَّ الله به عليهن على الفقيرات أو الفقراء!

هلاّ وقعت إحدى الطبيبات الكشف على مريضة بلا أخذ أجرة !

هلاّ عاونت المدرسة أو المربية بعض تلميذاتها في شرح الدروس بلا أجرة!

أختي المسلمة ...

ومن المواساة أن تضعي شيئًا من الدين عن المدين، وإمهال الدائن، حتى يوسع الله عليه.. قال ﷺ : «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر أو يضع عنه**»[٣].

ولقد وعد النبي ﷺ من أنظرت المعسرين والمعسرات بظل في عرش الرحمن جل جلاله يوم لا ظل إلا ظله..

فعن أبي اليسر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله**»[٤].

بل إنّ هؤلاء هم أول من يظلهم الله في ظل عرشه، فقد جاء هذا الحديث في رواية للطبراني بلفظ: «**إنَّ أول الناس، يستظل في ظل الله يوم القيامة، لرجل أنظر معسرًا، أو تصدق عليه**»[٥].

ومعنى (أنظر معسرًا) أي أمهل مديونًا فقيرًا، ومعنى (وضع عنه) أي حط عنه من

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، وأحمد في مسنده.

(٢) تخرج في موضع آخر.

(٣) رواه مسلم (١٥٦٣).

(٤) رواه مسلم، وأحمد، والبخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه، والبيهقي.

(٥) رواه الطبراني بإسناد رجاله ثقات.

دينه، أو وهب له، ومعنى أظله: أي وقاه من حر يوم القيامة .. قال تعالى: ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ** ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

قال ابن كثير: يأمر الله تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء..

ولقد فعل رسول الله ﷺ ذلك وأصحابه، ففي الصحيحين من حديث كعب بن مالك ﷺ أنّ ابن أبي حدرد تقاضى دينًا كان له في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفعت أصواقهما حتى سمعهما رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما، ونادى: «**يا كعب بن مالك، يا كعب**...» قال: لبيك يا رسول الله، فأشار إليه أن ضع الشطر – أي النصف – من دينك ...

قال كعب: قد فعلت يا رسول الله .. قال رسول الله ﷺ : «**قم فاقضه**».

صحابة رسول الله ﷺ يضربون أروع الأمثلة في المواساة :

أختي المسلمة ...

وقد كان للأنصار – رضوان الله عليهم – الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر في التخلق بهذا الخلق العظيم، والنهج لهذا السلوك القويم، وقد حق لهم أن يمدحهم الله تعالى بقوله جل شأنه: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ من قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩].

روى البخاري وغيره أن المهاجرين لما قدموا المدينة، آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع.. فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفين.. ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدهما، فتزوجها.

قال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقعاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يومًا وبه أثر صفرة، فقال النبي ﷺ : «**مهيم؟**».

قالت: تزوجت. قال: **كم سقطت إليها؟** قال: نواة من ذهب[1]..

---

(١) رواه البخاري وغيره.

وروى ابن حبان وغيره من حديث أنس ﷺ أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، إنّ لفلان نخل، وإنما أقيم حائطي بها، فأمره أن يعطيني إياها حتى أقيم حائطي بها، فقال له النبي ﷺ : «**أعطها إياه بنخلة في الجنة**» فأبى فأتاه أبو الدحداح، فقال: بعني نخلتك بحائطي. قال: ففعل. قال: فأتى النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله، إني قد ابتعت النخل بحائطي، فاجعلها له وقد أعطيتكها، فقال رسول الله ﷺ : «**كم من عذق رواح لأبي الدحداح في الجنة**» قالها مرارًا.

قال: فأتى امرأته، فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط مالي قد بعته بنخلة في الجنة، فقالت هذه المرأة المسلمة التي تعرف قدر الثمن : «**ربح البيع .. ربح البيع**»[(١)].

مواساة الضعفاء والفقراء :

أختي المسلمة ...

عليك بمواساة الضعيفات الفقيرات، فإن لهؤلاء حقًّا كبيرًا من المواساة وحظًّا كبيرًا منها.. فقد أمر الله رسوله ﷺ بمواساة هذين الصنفين حيث خاطبه بقوله: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا...**﴾ [الكهف: ٢٨]. وقد شرع رب العزة جل وعلا في سورة النساء هذه المواساة، فقال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً** ﴾ [النساء: ٨].

وعن عائذ بن عمرو ﷺ أنّ أبا سفيان أتى على سلمان الفارسي وصهيب وبلال في نفر. فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها.

قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال ﷺ : «**يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن أغضبتهم لقد أغضبت ربك**».

فأتاهم أبو بكر ﷺ فقال: يا إخوتاه! أغضبتكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك يا أبا بكر[(٢)].

---

(١) رواه ابن حبان في موارد الظمآن وإسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم، وأحمد في مسنده.

وقد كان ﷺ يواسي المساكين، فيقول: «**اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين**»(١).

وكان سليمان بن دواد عليهما السلام مع ما أوتيه من الملك، إذا دخل المسجد يجالس المساكين، ويقول: مسكين جالس مساكين(٢).

وكان عيسى - عليه السلام - يحب أن يُنادي بـ (يا مسكين) ولم يكن أحب إليه إلا هذا الاسم.

وكان الفضيل بن عياض - رحمه الله - يقول: بلغنا أنَّ نبيًّا من الأنبياء قال: يا رب، كيف لي أن أعلم رضاك عني؟ فأوحى الله تعالى إليه: أن انظر رضا المساكين عنك(٣).

ومن المواساة الزيارة في الله :

أختي المسلمة ...

ومن المواساة أيضًا زيارة بعض أخواتك المسلمات في الله، وخاصة ممن هن أقل درجة منك في الحياة الاجتماعية أو العلمية أو نحو ذلك، وقد ذكرنا ذلك في موضع آخر وقد كان النبي ﷺ يزور أم سليم - رضي الله عنها - .

قال أنس بن مالك ﷺ : كان النبي ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه، إلا أم سليم، فإنه كان يدخل عليها، فقيل له في ذلك، فقال: «**إني أرحمها، قُتل أخوها معي**»(٤).

مواساة الغرباء وأبناء السبيل

أختي المسلمة ...

قد شرع الله تعالى في دستوره الحكيم حقًّا، فقال سبحانه: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ...**﴾ [البقرة: ١٧٧]. فإن كان لك جيران غرباء.. أو جارة غريبة قد نزلت

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٢٦) بإسناد رجاله ثقات ورواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢٦١).

(٢) تنبيه المغترين للشعراني (ص٢٣٥) ط/ بيروت.

(٣) كالسابق.

(٤) رواه مسلم.

بمحل إقامتك، واستاجرت شقة أو مسكنًا، فلا شك أنها تشعر بالضعف والانكسار، لقلة معارفها، وانعدام الأقارب. فينبغي عليك أن تواسى مثل هذه، وأن تتجاوزي عن بعض زلالتها، وأن تقفي بجوارها، وتشدى من أزرها، وأن تنصحيها، وتخبريها بما لم تعرفه عن هذا المكان، حتى لا تشعر بالوحدة والانكسار والذلة..

مواساة المرضى :

والمرضى ينبغي أن نواسيهم بعيادتهم، ويواسون بالدعاء، فقد كان النبي ﷺ يدعو للمرضى عندما يعودهم.

ففي الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا أو أُتي به إليه قال: «**اذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[1].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن جبريل أتى النبي ﷺ ، فقال: يا محمد، اشتكيت؟ فقال: «**نعم**» قال: **باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»[2].

أختي المسلمة ...

ومن مواساة المريض أو المريضة أن تذكري بالأجر والثواب عند الصبر على هذا البلاء، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب، فقال: «**مالك يا أم السائب، أو يا أم المسيب، تزفزفين**؟ أي ترتعدين؟ قالت: الحمى، لا بارك الله فيها.

فقال ﷺ : «**لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد**»[3].

ذكرى من عُدت من المرضى بأن أهل الفضل والصلاح، هم الذين ابتلاهم الله تعالى، وشدد عليهم البلاء، فصبروا واحتسبوا ذلك عند مولاهم..

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد في مسنده والألباني في صحيح الجامع برقم (٨٥٥).

(٢) رواه مسلم، وأحمد في مسنده.

(٣) رواه مسلم (٤٥٧٥).

فقال قال ﷺ : «**أشد الناس بلاءً: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلى حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**»(١) وقد ذكر لنا مولانا - عز جاهه- في القرآن بلاء أيوب - عليه السلام - قال سبحانه: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

ومن **صور المواساة أيضًا للمرضى**: الذهاب معهن عند الأطباء، أو الاطمئنان عليهن ولو بالهاتف إذا لم يتيسر لك الذهاب إلى المريضة أو المريض..

وكذلك إرشاد المريض أو المريضة إلى طبيب حاذق، أو دواء ناجع..

ومن حضرتها الوفاة فذكريها بجميل فعالها، وبأنها مقبلة على رب غفور، كما في قصة مقتل عمر ﷺ فقد جاء شاب إليه، وقال له: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله(٢)...

مواساة من مات لها ميت :

أختي المسلمة:..

الموت مصيبة كبرى سماها القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿ **فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ** ﴾ [المائدة. ١٠٦]. فإذا مات زوج لصديقة لك، أو أخ لها، أو قريب فقفي بجانبها، لتخففي عنها، وذكريها بالصبر، وتقوى الله - عز وجل - وكذلك لو مات لها ابن أو أب أو غير ذلك من الأحباب والأقارب.

ففي البخاري من حديث أنس ﷺ قال:

• «أُصيبَ حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ ، فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يكن في الجنة، أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى، ترى ما أصنع فقال: «**ويحك - أو هَبِلتِ - أو جنة واحدة هي؟ إنها**

---

(١) رواه الترمذي وغيره وهو حسن بشواهده.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧٠٠).

جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس»[١].

والتعزية من صور المواساة، وتكون بكلمة طيبة تخفف الهموم، وتزيل الأحزان، ففي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنهما – قال: «كنا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه، وتخبره، أنّ صبيًّا لها، أو ابنًا لها، في الموت، فقال الرسول الله ﷺ : ارجع إليها، فأخبرها، أنّ لله ما أعطى، ولله ما أخذ، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر، ولتحتسب» فعاد إليها وأخبرها، فقالت له اذهب، وقل له : إنها قد أقسمت لتأتينها، فقام النبي ﷺ ومعه سعد بن عُبادة، ومعاذ بن جبل، وانطلقت معهم، فرُفع إليه الصبي، ونفسه تقعقع كأنها في شنة – أي قربة – ففاضت عيناه ..

فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟! قال: «هذه رحمة، جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[٢].

أختاه ...

وإذا رأيت عند أهل من مات شيئًا ما يستدعي الإنكار، أو النصح، فافعلى ما يستدعيه المقام دون إحداث منكر أعظم منه..

فإذا وجدت من تصيح وتنوح، أو تلطم الخدود، أو تشق الجيوب، فذكريها بقول سيد البشر ﷺ : «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»[٣]. عظيها وذكريها بأن رسولنا ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة.. والصالقة هى التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: هى التي تحلق شعرها عند المصيبة.. والشاقة هى التي تشق ثوبها عند المصيبة أو البلاء.. وإذا زرت أو عزيت أختًا لك مات لها ولد، فذكريها بأنه مذخور لها عند الله - عز وجل -.. ففي صحيح مسلم من طريق أبي حسان قال:

قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال:

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٢).

(٢) رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).

(٣) رواه البخاري (١٢٩٤)، وأحمد (٤٢١٥) وغيرهما والألباني في صحيح الجامع برقم (٥٤٤٤).

قال رسول الله ﷺ : «**صغارهم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه، فيأخذ بثوبه – أو قال: بيده – كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا – أي بطرفه – فلا ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة**»(١). ودعاميص: أي صغار أهل الجنة..

وعن أبي هريرة ﷺ قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ بصبي لها قالت: يا نبي الله، ادع الله له، فلقد دفنت ثلاثة .. قال: «**دفنت ثلاثة ؟**» قالت: نعم. قال: «**لقد احتظرت بحظار شديد من النار**»(٢). أي امتنعت بمانع وثيق منها.

الرسول ﷺ يواسي فاطمة حين استشعر الموت

فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: إنّ رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارَّها، فبكت، ثم سارَّها، فضحكت! فقالت عائشة – رضي الله عنها –: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارك به رسول الله ﷺ فبكيت؟ ثم سارَّك فضحكت؟ قالت: سارَّني، فأخبرني بموته، فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله، فضحكت(٣).

وفي رواية أخرى: أنَّ فاطمة – رضي الله عنها – قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره، قالت عائشة – رضي الله عنها – : فلما توفى رسول الله ﷺ قلت لها: عزمت عليك، بما لي عليك من الحق، لما حدثتيني بما قال لك رسول الله ﷺ؟

فقالت فاطمة – رضي الله عنها – : أما الآن، فنعم، أمَّا حين سارني في المرة الأولى، فقد أخبرني: «**أنَّ جبريل – عليه السلام – كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة وإنه عارضني الآن مرتين، وإني لأرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك**».

قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي، سارَّني الثانية، فقال: «**يا فاطمة، أما ترضى أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟**» قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٥)، وأحمد في مسنده (١٠٢٧٤)، والألباني في صحيح الجامع برقم (٣٧٦٤).

(٢) رواه مسلم (٢٦٣٦) وغيره.

(٣) رواه مسلم (٢٤٥٠).

(٤) رواه مسلم (١٩٠٤).

مواساة المطلقة

أختي المسلمة ...

ومن المواساة أيضًا: إذا رأيت إنسانة مطلقة، وقد كُسر بخاطرها، فقولي لها: لعل في هذا الطلاق خيرًا، وذكريها بقول الله تعالى: ﴿ **وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢١٦]. ذكريها بأن هذه إرادة الله - عز وجل -، ولا راد لما أراد.

ذكريها بأن الله تعالى عنده خيرٌ كثير، وفضل واسع، وعسى أن يرزقها بزوج آخر يكون أنفع لها ولدينها..

وإذا كان معها أولاد فقولي لها: لا تذهب نفسك عليهم حسرات، فالله يتولاهم، لأنه بيده كل شيء... فمثل هذه الكلمات الطيبة تخفف عنها آلامها وأحزانها..

صور أخرى من المواساة

١- ذكرى من لم ترزق بالولد بقوله تعالى: ﴿ **لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً** ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. ذكريها بأن نبي الله يحيى - عليه السلام – لم ينجب لذلك قال الله تعالى: ﴿**سَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِياً مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [آل عمران: ٣٩].

٢- ذكري من رزقت بالبنات أن تحمد ربها، وتشكره، فإن لها ثوابًا عظيمًا، وذكريها بأن غيرها لم يرزق أصلاً لا ذكور، ولا بنات، وذكريها بأن سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ رزق بالبنات، ومات الذكور جميعًا.

٣- واسى من رزقت بزوج ظالم غشوم، وذكريها بأن آسية بنت مزاحم كان زوجها فرعون اللعين، ولذلك قالت: ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [التحريم: ١١].

٤- ذكرى من اتُّهمن زورًا وبهتانًا، بأن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها – قد اتهمت زورًا وبهتانًا، وظلمًا بحادثة الإفك، ومن قبلها الصديقة، مريم - عليها السلام -،

فقد قال لها قومها: ﴿ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِياًّ ﴾ [مريم: ٢٨]. وكذلك يوسف الصديق - عليه السلام -، فقد اتُّهم هو الآخر في شرفه مع امرأة العزيز..

٥- ذكرى من رزقت بولد أو ابنة معوقة بأنَّ نبي الله سليمان - عليه السلام - رزق بولد مُعاق (نصف إنسان) وهذا كله ابتلاء من الله تعالى فعلى العبد أن يصبر مع الله - عز وجل - ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

٦- ذكري من أصيبت بشدة أو فقر، بأن كل ذلك يهون ما دام المآل إلى جنات النعيم، جنات فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ذكريها بحديث سيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ حين قال:

«يؤتى بأنعم أهل الدنيا، من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب!

ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا. والله! يا رب، ما مرَّ بي بؤس قط، وما رأيت شدة قط»[1].

اللهم املأ قلوبنا بك فرحًا، وألسنتنا ذكرًا، وجوارحنا فيما يرضيك شغلاً اللهم امح عن قلوبنا كل ذكر إلا ذكرك، وكل حب إلا حبك، وكل ودٍّ إلا ودك، وكل إجلال إلا إجلالك، وكل خوف إلا منك، وكل رغبة إلا إليك، وكل رهبة إلا لك، وكل سؤال إلا منك.. يا رب العالمين ..

❁❁❁

(١) رواه مسلم (٢٨٠٧) وغيره.

سلوكيات المرأة المسلمة

عند

الموت

سلوكيات المرأة المسلمة عند الموت

أختي المسلمة ...

هيا بنا لنواصل رحلتنا الإيمانية مع هذه السلوكيات المباركة التي إذا ما تتبعتها كل امرأة مسلمة، تتمسك بدينها، وتعمل بسنة نبيهاﷺ لفازت بخيري الدنيا والآخرة ..

ومع سلوك جديد، وهو سلوكها عندما يموت لها من يخصها، سواء كان أبًا أو أمًّا، أو أختًا، أو ابنًا، أو بنتًا، أو زوجًا، أو جارة لها، أو صديقة، أو غير ذلك.. كيف تستطيع مواجهة هذه المصيبة؟ وكيف تعزيهن؟ وكيف تحد على زوجها أو غيره؟ وما مدة هذا الحداد؟

فهيا بنا لنقف مع تلك الأمور التي ينبغي لكل امرأة مسلمة أن تسلكها...

•• الموت

أختاه ...

الموت .. هاذم اللذت، مفرق الجماعات، ومكدر الشهوات، زائر غير محبوب ووارد غير مطلوب..

الموت الذي يفرق بين الأحبة، ويمضي في طريقه لا يتوقف، ولا يتلفت، ولا يستجيب لصرخة ملهوف، ولا لحسرة مفارق، ولا لرغبة راغب، ولا لخوف خائف...

قال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. وقال سبحانه: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

كل نفس تذوق هذه الجرعة، وتفارق هذه الحياة، لا فارق بين نفس ونفس في تذوق هذه الجرعة من هذه الكأس الدائرة على الجميع ..

يموت الصالحون والصالحات، ويموت الطالحون والطالحات، ويموت الجبابرة..

يموت كل أمير ووزير، ويموت كل عزيز وحقير، وكل عزيزة وحقيرة، وكل غنية وفقيرة يموت كل زاهد وزاهدة، وكل مريض ومريضة، ويموت كل صحيح وصحيحة.. الموت أول وارد علينا من ربنا.. الموت أكبر واعظ... من أرادت واعظًا فالقرآن يكفيها، ومن أرادت الغنى فالقناعة تكفيها، ومن أرادت مؤنسًا فالله يكفيها، ومن لم يكفها شيء من ذلك، فإن النار تكفيها ...

الموت حتم لازم

أختي المسلمة ...

نعم الموت حتم لازم، لا تمنع منه حصانة القلاع، ولا يحول دونه الحجاب ولا ترده الأبواب، قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨].

يروى أن سليمان - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - كان يتبدى له ملك الموت فيجلس معه، فيحادثه، فدخل عليه رجل يومًا من الأيام وملك الموت معه، فإذا بملك الموت يحد النظر إلى هذا الرجل، فلما مضى ملك الموت، قال الرجل: يا نبي الله، من هذا؟

قال سليمان: هذا ملك الموت.

قال الرجل: ويلي! إنه كان ينظر إليّ نظرًا شديدًا، فأريد يا نبي الله أن تأمر الريح أن تحملني من هنا إلى أقصى بلاد الهند.

فأمر سليمان الريح فحملته إلى أقصى بلاد الهند، وبعد يوم جاء ملك الموت، فقال له سليمان: مالك كنت تنظر إلى هذا الرجل نظرًا حديدًا؟

قال: لأنني كنت أعجب من أمره، لأنني أمرت أن أقبض روحه بعد لحظات في بلاد الهند، فلما جاء الوقت المحدد، فلا مفر، لا محيص من تنفيذ أمر الله، فذهبت إلى المكان المحدد، فوجدته هناك، فقبضت روحه.

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان: ٣٤]. ﴿ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

الموت غيب لا يدري الإنسان متى يدركه، فمن أحبت أن لا تموت إلا وهى مسلمة، فسبيلها أن تكون منذ هذه اللحظة مسلمة، وأن تكون في كل لحظة مسلمة.. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أختاه ...

لا تتمني الموت

فقد قال رسولنا محمد ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيًا، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»[1] وفي رواية:

«**لا يتمنى أحدكم الموت، إما محسنًا لعله يزداد، وإما مسيئًا فلعله يستعتب**»[2].

أختي المسلمة ...

إنَّ الإنسان بطبعه يكره الموت، ويحب الحياة، ولكن قد يعرض له ما يُدخل على نفسه اليأس منها، فيستطيل عمره في هذه الدنيا، ويتمنى انقطاعه لكي يستريح مما يعانيه من مرض شديد، أو فقر مدقع، أو دين موجع.. إلى غير ذلك.. لكن هل تدرين إن كنت ستجدين الراحة بعد الموت أم لا تجديها؟! فقد تموتين مثقلة بالذنوب، ولو عشت ربما رزقك الله التوبة، ووفقك للعمل الصالح.. ففوضى الأمر لله، وتأدبي مع من خلقك فسواك فعدلك.. ولهذا علمنا الرسول ﷺ هذا الدعاء، الذي يدل على منتهى التفويض والتسليم، والرضا والاعتراف لله - عز وجل - بالعلم والحكمة وسعة الفضل والرحمة ..

أختي الفاضلة ...

وما دام الأمر كذلك فما حكم تمنى الموت ؟

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن ماجه، والترمذي، وأبو داود والنسائي.

(٢) رواه البخاري، وأحمد، والنسائي.

قال الإمام النووي في شرح مسلم :

فيه التصريح بكراهة تمنى الموت لضر نزل، من مرض أو فاقه أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، أما إذا خاف ضررًا في دينه، أو فتنة فيه، فلا كراهة فيه، لمفهوم هذا الحديث وغيره، وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم(١) ..

والأصح أن النهي في الحديث للتحريم إذا كان التمني بسبب ضرر دنيوي، أما إن كان بسبب ضرر لحقه في دينه فالتمني جائز، لكن ليس على إطلاقه كما زعم بعض أهل العلم.

أما احتجاجهم بيوسف - عليه السلام -، فليس في محله، لأن يوسف لم يتمن الموت لذاته، ولكن تمنى الموت على الإسلام، فهو يرجو بدعائه حسن الختام، وليس تعجيلاً بالموت..

وأما مريم - عليها من الله السلام-، فهى لم تقل أمتني يا رب، ولكنها تمنت الموت كما قال سبحانه حكاية عنها: ﴿ **يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِياً** ﴾ [مريم: ٢٣]. فليس هذا من قبيل الدعاء كما هو واضح، والمنهي عنه في الحديث دعاء المرء على نفسه بالموت يأسًا من الحياة وقنوطًا من رحمة الله..

قال علي بن أبي طالب ﷺ في يوم الجمل: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة(٢).

وكان العرباض بن سارية ﷺ يقول -وقد كبرت سنه-: اللهم كبرت سني، ووهن عظمي، فاقبضني إليك(٣).

وكان أبو رجاء العطاردى يقول: لأنا إلى من في بطنها أشوق مني إلى من في ظهرها.. قال ﷺ : «**خير الناس من طال عمره، وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره، وساء عمله**»(٤).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) كتاب المتمنيين لابن أبي الدنيا (ص٦٢).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١٤/٢).

(٤) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح ورواه الترمذي والحاكم وصححه. الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٤٩٧).

الموتى يتحسرون

أختي المسلمة ...

الموتى في قبورهم يتحسرون على زيادة في أعمالهم بتسبيحة وبركعة، ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك، فلا يقدرون عليه، وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون رئي بعضهم في المنام فقال: ندمنا على أمر عظيم، نعلم ولا نعمل، وأنتم تعلمون ولا تعملون، والله لتسبيحة، أو تسبيحتان، أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها.

قال بعض السلف: كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة، وقال بعضهم: بقية عمر المؤمن لا قيمة له، يعني: أنه يمكنه أن يمحو فيه ما سلف من الذنوب بالتوبة، وأن يجتهد فيه في بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح، فأما من فرط في بقية عمره، فإنه خاسر، فإن ازداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين. الأعمال بالخواتيم، من أصلح فيما بقي غفر لما ما مضى، ومن أساء فيما بقي أُخذ بما بقي وما مضى[1].

أختي المسلمة ...

ما مضى من العمر وإن طالت أوقاته، فقد ذهبت لذاته، وبقيت تبعاته، وكأنه لم يكن إذا جاء الموت وميقاته، قال تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧]. تلا بعض السلف هذه الآيات وبكى، وقال: إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم.

قال مسروق: إذا أتتك الأربعون، فخذ حذرك.

وقال النخعي: كان يُقال لصاحب الأربعين: احتفظ بنفسك.

يا من تفرح بكثرة مرور السنين عليها، إنما تفرحين بنقص عمرك..

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يدني من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا ... فإنما الربح والخسران في العمل

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي.

كيف تفرح بالدنيا مَنْ يومها يهدم شهرها، وشهرها يهدم سنتها، وسنتها تهدم عمرها؟ وعمرها خطاها إلى قبرها، كيف من يقودها عمرها إلى أجلها وحياتها إلى موتها؟

﴿ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَداً ﴾ [مريم: ٨٤].

إنّ النفس قد يخرج ولا يعود، وإنّ العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي الله - عز وجل -.

﴿ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَداً ﴾ [مريم: ٨٤].

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: نعد أنفاسهم في الدنيا.

آخر العدد فراق روحك، آخر العدد ركوب نعشك، آخر العدد دخولك قبرك، آخر العدد لقاء ربك..

آه .. إن للموت لسكرات

أختي المسلمة ...

إنّ للموت لسكرات... يا لها من ساعة لا تشبهها ساعة، يألم فيها أهل التقى فكيف بأهل الإضاعة؟

يا لها من ساعة جعلت سيد الأولين والآخرين ﷺ يقول: «**لا إله إلا الله، إنّ للموت لسكرات**» يقولها ﷺ وقد اختار الرفيق الأعلى، واشتاق إلى لقاء الله، فكيف بمن عداه؟

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩].

قال ابن كثير: يقول الله - عز وجل -: وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق، أي كشف لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه .. هذا الذي كنت منه تفر قد جاءك فلا محيد ولا مناص، ولا فكاك ولا خلاص...

﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة: ٢٦-٣٠].

كلا إذا بلغت التراقي .. إذا بلغت الروح الحلقوم.

وقيل من راق؟ من الذي يرقيه؟ من الذي يقدم له العلاج؟ من الذي يحول بينه وبين الموت...؟

انظري إليه ! وهو من هو ؟ صاحب الأموال.. صاحب السيارات.. صاحب العمارات، صاحب السلطان..

انظري إليه.. وهو على فراش الموت .. التف حوله الأطباء.. ذاك يبذل له الرقية وذاك يبذل له العلاج.. يريدون شيئًا، وملك الموت يريد شيئًا آخر قال قتادة: أي التمسوا له الأطباء، فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئًا..

إنّ الطبيب له علم يدل به ... ما كان للمرء في الأيام تأخير
حتى إذ ما انتهت أيام رحلته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

يا لها من سكرة ملهثة، وغمرة كارثة، وأنة موجعة، وجذبة مكربة

وقد أتوا بطبيب كي يعالجني ... ولم أر الطبيب اليوم ينفعني
واشتد نزعي وصار الموت يجذبها ... من كل عرق بلا رفق ولا هون
واستخرج الروح مني في تغرغرها ... وصار في الحلق مُرًّا حين غرغرني
وسل روحي وظل الجسم منطرحًا ... على الفراش وأيديهم تقلبني

انظري إليه .. وقد اصفر لونه.. وشحب وجهه.. وبردت أطرافه، وتجعد جلده.. وبدأ الميت يشعر بزمهرير قارس.. يزحف إلى أنامل يديه وقدميه يحاول جاهدًا أن يحرك شفتيه بكلمة التوحيد، فيحس أن الشفة كالجبل، لا تريد أن تتزحزح إلا لمن يسر الله له النطق بـ لا إله إلا الله.

إلا لمن عاش على الإيمان.. ومات على الإيمان، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ** ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وينظر الميت إلى أهله.. إلى أحبابه.. فيراهم مرة يبتعدون، ومرة يقتربون ويرى الغرفة التي هو فيها مرة تضيق عليه فتصير كخرم إبرة، ومرة يراها كالفضاء الموحش.

فإذا وعى ما حوله .. في الصحوات .. بين السكرات والكربات.. نظر إليهم نظر استعطاف .. نظرة رجاء.. نظرة أمل.. وقال بلسان الحال بل وبلسان المقال:

يا أحبابي.. يا أولادي .. يا أبنائي، لا تتركوني وحدي، ولا تفردوني في لحدى فأنا أبوكم .. أنا حبيبكم.. أنا الذي بنيت لكم القصور.. أنا الذي عمرت لكم الدور .. أنا الذي نميت لكم التجارة .. افدوني بأعماركم.. من منكم يزيد في عمري ساعة..

وهنا يعلو صوت الحق..

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٦].

أختاه ...

من لك إذا ألم بك الألم، وسكت الصوت، وتمكن الندم، وأقبل لأخذ الروح ملك الموت وتبدلت بعد الحركات السكون؟

من لك عند كرب السياق، وترادف الحشارج، وتتابع الأنين، واختلاف الأضلاع واصطكاك الأسماع.. كيف لك إذا رأيت ملك الموت ولم تريه من قبل؟

قال الغزالي – رحمه الله– :

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديرًا بأن يتنغص عليه عيشه، وينكدر عليه سروره، ويفارقه سهوه وغفلته...

قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، أمر لا تدري متى يلقاك، استعد له قبل أن يفاجأك. ثم يقول: واعلم أنّ شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها.. إنّ الموت لأشد من ضرب بالسيف، ونشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح، فكيف إذا كان المقاول المباشر هو نفس الروح؟!

وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه، لأن الكرب قد بالغ فيه، وتصاعد على قلبه، وبلغ كل

موضع منه فهدَّ كل قوة، وضَعّف كل جارحة، فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل، فقد غشيه وشوشه..

وأما اللسان، فقد أبكمه ..

وأما الأطراف فقد ضعفها ..

قال شداد بن أوس: الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشد من النشر بالمناشير، والقرض بالمقاريض، وغلى في القدور، ولو أن الميت نشر - أي بعث - فأخبر أهل الدنيا بالموت، ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم.

أختاه ...

يقول عمر بن الخطاب ﷺ لو أنَّ ليّ طلاع الأرض ذهبًا لافتديت بها من هول المطلع..

فإذا كانت سكرات الموت هكذا على أوليائه وأحبابه، فما بالنا ونحن المنهمكون في المعاصي؟

فبادري بالأعمال الصالحة عمرًا ناكسًا، أو مرضًا حابسًا، أو موتًا خالسًا، فإن الموت هاذم اللذات، ومكدر الشهوات، ومفرق الجماعات، وميتم البنين والبنات فإلى الله فارغبي في التوفيق، وإياه فسلى العفو عن الذنوب، وبه فاستعيني في كل الأمور فالموت لا محالة نازل بك بكربه وغصصه ونزعه وسكراته، فكأنك قد نزل بك وشيكًا سريعًا.

فتوهمي نفسك وقد صرعت للموت صرعة، لا تقومي منها إلا إلى الحشر إلى ربك توهمي نفسك في نزع الموت وكربه وغصصه وقلقه، وقد بدأ الملك يجذب روحك من قدمك، فوجدت ألم جذبه من أسفل قدميك، ثم تدارك الجذب، واستحث النزع، وجذبت الروح من جميع بدنك، فشطت من أسفلك متصاعدة إلى أعلاك حتى إذا بلغ الكرب منتهاه، وعمت آلام الموت جميع جسمك، وقلبك وجل، محزون مرتقب، منتظرة للبشرى من الله - عز وجل - بالغضب أو الرضا وقد علمت أنه لامحيص لك دون أن تسمعي إحدى البشرتين من الملك الموكل بقبض روحك.

فبينما أنت في كربك وغمومك، وألم الموت بسكراته، وشدة حزنك لارتقابك

إحدى البشرتين من ربك، إذ نظرت إلى صفحة وجه ملك الموت بأحسن الصورة أو بأقبحها، ونظرت إليه مادًّا يده إلى فيك، ليخرج روحك من بدنك، فذلت نفسك، لما عاينت ذلك...

إذا سمعت صوته بنغمته: أبشري يا ولية الله برضا الله وثوابه، أو أبشري يا عدوة الله ببغضه وعقابه، فتستيقني حينئذ بنجاحك وفوزك، ويستقر الأمر في قلبك، فتطمئن إلى الله نفسك، أو تستيقني بعطبك وهلاكك ويحل الإيناس قلبك، وينقطع من الله - عز وجل - رجاؤك وأملك ...

أختاه ...

اعملي لهذه اللحظة.. ويا لها من لحظة..

يوم الجنائز

أختاه ...

ستخرجين من بيتك في رحلة لا ترجعين بعدها أبدًا.. وستركبين مركبًا لا تركبين مثله أبدًا..

يوم الجنائز.. يوم الراحة للطيبين والطيبات، ويوم الراحة من العاصين والعاصيات، والكافرين والكافرات.. يوم تبكي السماء فيه على الأبرار يوم تستريح الأرض من أناس...

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قيل: يا رسول الله، ماتت فلانة واستراحت فغضب رسول الله ﷺ وقال: «إنما يستريح من غفر له».

وعن أبي قتادة ﵁ أنّ رسول الله ﷺ مُرّ عليه بجنازة فقال: «مستريح أو مستراح منه» قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟

قال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب».

قال عليٌّ ﵁ : إنّ المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض، ومصعد عمله من السماء، وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مصلى، ولا في السماء مصعد عمل. فقال الله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ [الدخان: ٢٩].

يوم الجنائز .. يوم البشارة للطيبين والطيبات .. والصالحين والصالحات.

قال مجاهد: إنّ المؤمن ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ **لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ [يونس: ٦٤]. قال: يعلم أين هو قبل الموت.

وسئل الحسن عن قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: ٢٧- ٢٨]. قال: إن الله إذا أراد قبض روح عبده المؤمن، اطمأنت النفس إلى الله - عز وجل -، واطمأن الله إليها.

وقال ثابت البناني - رحمه الله-: بلغنا أن الميت إذا مات احتوشه أهله وأقاربه الذين تقدموه، فلهو أفرح بهم، وهم أفرح به، من المسافر إذا قدم إلى أهله.

• وقفة مع إكرام الله للطيبات عند موتهن :

إنّ القلم ليعجز أن يصور إكرام الله تعالى للطيبين والطيبات عند خروج الأرواح ولو لم يكن من الجزاء لهم في الدارين إلا هذا الإكرام لكفى وهذا ملخصه:

١- سلام الله عليها يبلغه إياها ملك الموت.

٢- بشارة ملك الموت لها، والسلام عليها.

٣- أن تعلم مكانها من الجنة قبل موتها.

٤- رؤيتها لملائكة الرحمة بوجوههم الطيبة.

٥- سهولة خروج روحها.

٦- خروج روحها في ضبائر ريحان الجنة ومسك الجنة.

٧- خروج روحها في كفن من الجنة وحنوط من الجنة وحريرة من الجنة.

٨- حشد ملائكة الرحمة الذين يجتمعون عند خروج روحها.

٩- إذا خرجت روحها صلى عليها كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء.

١٠- خروج الريح الطيبة منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض.

١١- نداء الملائكة لها بأحب أسمائها إليها.

١٢- يشيعها من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى بها إلى السابعة فانظري بالله عليك عدد الملائكة في كل سماء الذين يشيعون جنازتها، وقد ورد أن عدد ملائكة السماء الأولى ضعف عدد الجن والإنس من يوم أن خلقهم الله تعالى حتى يبعثهم، وعدد ملائكة السماء الثانية على الضعف من عدد الجن الإنس، وملائكة السماء الأولى، والثالثة على الضعف من الثانية حتى السابعة.

١٣- لا تمر روحها بباب من أبواب السماء إلا فتح لها، ولا ملك إلا صلى عليها وشفع.

١٤- يُشرق وجهها وتأتي ربها من الباب الذي كان يصعد عملها منه، ولوجهها برهان مثل الشمس.

١٥- نداء مناد من السماء أن صدقت أمتي، ولو لم يكن إلا ثناء الله عليها لكفاها، كفاها جزاء على الطاعة أن رضيه الله لها أهلاً فكيف بثنائها؟

١٦- لقيا روح المؤمنة لأرواح المؤمنات وفرحهن بها.

١٧- بشرى الملائكة لها بدخول الجنة، وأنه لا خوف عليها، ولا حزن على ما خلفت من أمر الدنيا من ولد وأهل..

١٨- مشاهدة روحها كيف يُمشى بها، وسماعها ثناء الناس عليها، وهي محمولة على الأعناق.

١٩- دخول روحها إلى بلاد الأفراح، ومأوى الطيبين والطيبات (الجنة) من يوم موتها، ونعيم جسدها في قبرها[1]..

القبر: نعيمه وعذابه

أختي المسلمة ...

القبر أول منزل من منازل الآخرة، إن نجوت منه، صاحبتك السلامة بعد ذلك. وإن لم تنج منه، فما بعده حسرة وندامة ..

لهذا كان الصالحون يفزعون من القبر أكثر من فزعهم من النار..

---

(١) سكب العبرات في الموت والقبر والسكرات (١/٦٢٩-٦٣١) د/ سيد العفاني بتصرف.

فعن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان بن عفان ﷺ إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته.. فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه**».

قال: وقال ﷺ : «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**»(١).

أختي المسلمة ...

هل أعددت الزاد لهذه الرحلة ؟

فعن البراء بن عازب ﷺ قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ ، إذ بصر بجماعة، فقال: «**علام اجتمع هؤلاء**» ؟

قيل: على قبر يحفرونه.. ففزع رسول الله ﷺ وبدر بين يدي أصحابه مسرعًا، حتى انتهى إلى القبر، فجثى عليه، فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا، فقال: «**أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا**»(٢).

وعن وهيب بن الورد قال: بلغنا أنّ رجلاً فقيهًا دخل على عمر بن عبد العزيز، فقال: سبحان الله، كأنه يعجب من أمره الذي هو عليه، فقال له: تغيرت بعدنا.

فقال له عمر: وتبينت ذلك، فقال له: الأمير أعظم من ذلك.

فقال له: يا فلان، فكيف لو رأيتني بعد ثلاث، وقد أدخلت قبري، وقد خرجت الحدقتان، فسالتا على الخدين، وتقلصت الشفتان عن الأسنان، وانفتح الفم ونتأ البطن، وعلا الصدر، وخرج الصديد من الدبر.

أهل القبور ... هم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، والقبور المظلمة هم أهل الغربة، وأهل الوحشة ...

هم لنا فرط سابق، ونحن لهم تبع لاحق.. أما دورهم فقد سُكنت، وأما الأزواج فقد نكحت، وأما الأموال فقد قسمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندهم؟ لو

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٦٨٤).

(٢) رواه أحمد في مسنده، وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٥٩)، والصحيحة (١٧٥١).

أذن لهم في الكلام لقالوا: إنّ خير الزاد التقوى ..

وعن الحسن البصري - رحمه الله - قال:

يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن قط: ليلة تبيت مع أهل القبور، لم تبت ليلة قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوم يأتيك البشير من الله تعالى: إما إلى الجنة، وإما إلى النار، ويوم تعطى كتابك، إما بيمينك وإما بشمالك[١].

• كلام القبور للموتى ..

أختي المسلمة ...

وهل للقبور كلام مع الموتى ؟

لقد وردت آثار تدل على كلام القبر لصاحبه، فعن عبيد بن عمير – رحمه الله- قال: يُجعل للقبر لسانًا ينطق به فيقول:

ابن آدم، كيف نسيتني؟ أما علمت أني بيت الأكلة، وبيت الدود، وبيت الوحشة[٢] وقال أسيد بن عبد الرحمن –رحمه الله-:

«بلغني أنّ المؤمن إذا مات، وحمل قال: أسرعوا بي، فإذا وضع في لحده، كلمته الأرض، فقالت له: إن كنت لأحبك وأنت على ظهري، فأنت الآن أحب إليّ، فإذا مات الكافر وحُمل قال: ارجعوا بي، فإذا وضع في لحده كلمته الأرض، فقالت: إن كنت لأبغضك وأنت على ظهري، فأنت الآن أبغض إليّ»[٣] وقيل: إنه يقول:

ويحكْ ابن آدم، أليس قد حُذِّرتني، وحذرت ضيقي، وظلمتي، ونتني، وهولي؟ هذا ما أعددت لك، فما أعددت لي[٤]؟

أتيت القبور فناديتها ... فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه ... وأين المزكى إذا ما افتخر
تفانوا جميعًا فما مخبر ... وماتوا جميعًا ومات الخبر

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في أهوال القبور.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/٢٧١) بإسناد صحيح.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد بإسناد صحيح.

(٤) المرجع السابق (١٦٣).

تُروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا أمالك فيما مضى معتبر

• **نعيم القبر:**

قال ﷺ : إنّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ (أي رسولنا محمد ﷺ) فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا، ويفسح له في قبره سبعون ذراعًا ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون.

وأما الكافر أو المنافق، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس،فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطارق من حديد، ضربة بين أذنيه،فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه[1].

ومن نعيم المؤمن أو المؤمنة في قبرها أن أعمالها الصالحة تُمثّل لها، وتذود عنها، وتؤنسها في قبرها..

ففي حديث البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت بشرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح..»[2].

ومن نعيم المؤمن والمؤمنة في القبر الكسوة الحسنة، فعن عبادة بن نسي قال: لما حضرت أبو بكر الصديق ﷺ الوفاة، قال لعائشة - رضي الله عنها - اغسلي ثوبيَّ هذين، وكفنيني بهما، فإنما أبوك أحد الرجلين: إما مكسو أحسن الكسوة وإما مسلوبًا أسوأ السلب[3].

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه وغيرهم.

(٢) جزء من حديث رواه البراء بن عازب.

(٣) رواه أحمد في الزهد، وابن سعد في الطبقات وصحح الإمام ابن حجر إسناده.

وعن حذيفة ﷺ أنه قال عند موته:

«ابتاعوا لي ثوبين، ولا عليكم أن لا تتغالوا، فإن يصب صاحبكم خيرًا يكسيني خيرًا منها، وإلا سلبها سلبًا سريعًا»[١].

أختي المسلمة ...

إنّ فتنة القبر وسؤال الملكين ثابت، وأخباره متواترة، لا تنكرها إلا كافرة، وكذلك نعيم القبر وعذابه...

وفتنة القبر هي آخر فتنة تُعرض على المؤمن، وهي عظيمة في هولها وخطرها قال الله تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال قتادة: أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر

وقال ﷺ : «**إنّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، تعوذوا بالله من عذاب النار، تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن تعوذوا بالله من فتنة الدجال**»[٢].

وقال ﷺ : «**استعيذوا بالله من عذاب القبر، إنهم يعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم**»[٣].

لطيفة :

قال شقيق البلخي: طلبنا ضياء القبور، فوجدناه في صلاة الليل، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن، وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة، وطلبنا ظل العرش، فوجدناه في الخلوة[٤].

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٢٨٣).

(٢) رواه مسلم، وأحمد في مسنده.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ورواه ابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٩٤٢)، والصحيحة برقم (١٤٤٤).

(٤) روض الرياحين لليافعي.

ما ينبغي أن تسلكه المرأة المسلمة تجاه من ماتت عندها

أختي المسلمة ...

ينبغي لك أن تعملي بهذه السلوكيات الإسلامية تجاه من مات عندك من أب أو أم أو أخ أو أي محرم من المحارم، أو أي امرأة مسلمة :

١- توجيه المحتضر إلى القبلة :

والاحتضار: هو حالة خروج الروح من الجسد، فيسن توجيه الميت إلى القبلة مضطجعًا على الشق الأيمن ..

لحديث سلمى أم أبي رافع «أن فاطمة بنت النبي ﷺ عند موتها استقبلت، القبلة ثم توسدت يمينها».

ولحديث أبي قتادة أن النبي ﷺ لما قدم المدينة سأل عن البراء بن معرور فقالوا: توفى وأوصى بثلث ماله لك، وأن يوجه للقبلة لما احتضر..

فقال النبي ﷺ : «**أصاب الفطرة، وقد رددت ثلث ماله على ولده ثم ذهب فصلى عليه ثم قال: اللهم اغفر له وارحمه، وأدخله جنتك ...**»[١].

٢- تلقين المحتضر:

فيسن تذكير من حضرتها الوفاة بكلمة التوحيد، أو الشهادتين من غير أمر بأن يُقال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» لتكون آخر كلامها في الدنيا، لتنجو من النار فقد قال النبي ﷺ : «**من لُقن عند الموت لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٢].

وقال: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٣].

وهذا التلقين سنة عند جمهور العلماء، ويسن عدم الإكثار على الميت أو الميتة – أي المحتضر – لئلا تضجر، لضيق حالها، وشدة كربها، وإذا نطق المحتضر مرة لا يكرر إلا أن يتكلم بكلام آخر، فيعاد التلقين.

(١) رواه البيهقي، والحاكم وقال: صحيح.
(٢) رواه أحمد في مسنده بإسناد جيد (١٥٨٣٧).
(٣) رواه مسلم، وأحمد.

وهذا التلقين خاص بالمسلم والمسلمة أما الكافر أو الكافرة فيعرض عليها الإسلام لحديث أنس أن غلامًا يهوديًا كان يضع للنبي ﷺ وضوءه ويناوله نعليه، فمرض، فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبي ﷺ : «يا فلان، قل: لا إله إلا الله»، فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبي ﷺ ، فنظر إلى أبيه فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أخرجه بي من النار»(١).

٣- استحباب حضور الصالحين ومن ترجى بركتهم عند المحتضر:

لحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أتي رسول الله ﷺ بعض بناته وهي تجود بنفسها، فوقع عليها، فلم يرفع رأسه حتى قبضت، قال: فرفع رأسه، ثم قال: «الحمد لله، المؤمن بخير تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى»(٢).

ولحديث أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال:

«إذا حضرتم المريض أو الميت، فقولوا خيرًا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» قالت: فلما مات أبو سلمة، أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنّ أبا سلمة قد مات، فقال: قولي: «اللهم اغفر لي وله، وأعقبني منه عقبى حسنة».

قالت: فقلت ذلك فأعقبني الله - عز وجل - من هو خير لي منه محمدًا ﷺ (٣).

٤- قراءة سورة يسّ :

فيسن قراءة سورة يسّ عند الاحتضار من الجالسين أو الجالسات حول المحتضر للتخفيف عنه، لحديث معقل بن يسار ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «يسن قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة إلا غفر له، واقرءوها على موتاكم»(٤). والمراد بقوله: موتاكم: أي من حضرته المنية، وعُبر عن المحتضر بالميت مجازًا، باعتبار ما يكون، لأنه صار في حكم الأموات.

---

(١) رواه أحمد (١٢٧٢٨) بإسناد صحيح (٨/١١)، ورواه البخاري في الجنائز، وأبو داود وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٧٠٤) بإسناد حسنه أحمد شاكر (٢٠٧/٣).

(٣) رواه مسلم، وأحمد، والبيهقي، والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه، وأحمد في مسنده، والترمذي بإسناد حسن.

• حكمة قراءتها:

إنها مشتملة على أول العقائد فيتقوى بسماعها التصديق والإيمان وجميع المسائل المعتبرة من كيفية الدعوة، وأحوال الأمم، وإثبات القدر، وإثبات التوحيد، ونفي التعدد، وأمارات الساعة، وبيان الإعادة والحشر والحساب والجزاء والمرجع.

٥- تغميض الميت :

والتغميض: إطباق الجفن الأعلى على الجفن الأسفل، ويقول من أغمضه: باسم الله، وعلى ملة رسول الله ﷺ ، اللهم يسر عليه أمره، وسهل عليه ما بعده، وأسعده بلقائك، واجعل ما خرج إليه خيرًا مما خرج عنه لحديث شداد بن أوس، أنَّ النبي ﷺ قال: «إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر، فإن البصر يتبع الروح ..»[(١)].

٦- يسن شد لحيى الميت بعصابة تربط على رأسه:

وينبغي على الأخت المسلمة إذا حضرت ميتًا أو ميتة بعد أن تغمض البصر تشد لحييه بعصابة عريضة على رأسه، والمقصود بلحييه (فكيه) حتى لا ينفتح الفم فيقبح المنظر، وربما دخل إلى الفم شيء من الهوام أو الماء عند غسله.

٧- يسن تليين المفاصل:

بأن يُمد الساعد إلى العضد ثم يرده، ويرد الساق إلى الفخذ، والفخذ إلى البطن وتُلين الأصابع، لأن ذلك أسهل في الغسل، وتخلع الثياب، لأنها تحمي الجسم فيسرع إليه التغيير، ويوضع الميت أو الميتة على سرير أو لوح، ويوضع على البطن شيء رطب كالثلج أو ثوب مبلل بالماء البارد لئلا تنتفخ.

٨- ويسن تغطية الميت بثوب يستره:

لحديث عائشة – رضي الله عنها – أنَّ النبي ﷺ حين توفى سُجِّي بثوب حبرة[(٢)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧٠٧١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٩٢).

(٢) رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود، والبيهقي.

وعلى هذا اتفق العلماء.

وحكمته: صيانة الميت وستر عورته عن الأعين، ويُلف طرف الثوب المسجى به تحت رأسه، وطرفه الآخر تحت رجليه، لئلا ينكشف منه شيء.

٩- الإسراع بتجهيز الميت :

فيطلب المبادرة بتجهيز الميت أو الميتة بعد تحقق الموت فيغسل ويصلى عليه ثم يدفن لحديث علي بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة يا علي لا تؤخرهن: الصلاة إذا آذنت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفئًا**»(١).

١٠- إياك أن تتبعي الجنازة :

فاتباع الجنازة خاص بالرجال مندوب إليه، لكن المرأة لا يجوز لها أن تتبع الجنازة إلى القبر، حتى ولو كان زوجها أو أبوها..

لحديث أم عطية - رضي الله عنها - :«**وكنا نُنهى عن اتباع الجنائز**»(٢).

١١- إياك ولطم الخدود وشق الجيوب:

فهذه الأمور محرمة لقول النبي ﷺ :«**ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**»(٣).

وكذلك تحرم النياحة على الميت، وهي رفع الصوت بالبكاء لحديث أبي مالك الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**أربع من أمر الجاهلية لا يتركن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت، والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»(٤).

أختي المسلمة ...

وإياك وخمش الوجه، لحديث أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ لعن الخامشة وجهها،

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٨٢٨) بإسناد صحيح (١/٥٢٦).

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري، وأحمد في مسنده وغيرهما، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٤٤١).

(٤) رواه مسلم، وأحمد.

والشاقة ثوبها، والداعية بالويل والثبور[١]. وقد ورد أنَّ الميت يُعذب بما نيح عليه، لحديث عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الميت يعذب في قبره بما نيح عليه**»[٢].

وحديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه**»[٣].

لكن الذي يجوز إنما هو البكاء بلا لطم وبلا نياحة وبلا ندب، فإن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب باللسان أو يرحم...

١٢- الإحداد :

والإحداد شرعًا: ترك ما يتزين به من حُلى أو كحل أو حرير أو لبس مصبوغ بما له رائحة طيبة ..

وهو واجب على المسلمة المكلفة التي مات زوجها أربعة أشهر وعشرًا تأسفًا على زوال نعمة النكاح، لأنه سبب لعفتها، وكفاية مؤنتها.

ويجوز للمرأة الإحداد على قريب غير زوج ثلاثة أيام فقط ما لم يمنعها زوجها لحديث أم عطية الأنصارية لأن النبي ﷺ قال: «**لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج، فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرًا، ولا تلبس ثوبًا مصبوغًا إلا ثوب عصب ولا تكتحل ولا تمس طيبًا، ولا تختضب، ولا تمتشط إلا إذا طهرت تمس نبذة من قسط أو أظفار**»[٤].

والحكمة في إحداد المرأة على الزوج أربعة أشهر وعشرًا أن الولد يتكامل خلقه وتنفخ فيه الروح بعد مضى (١٢٠) عشرين ومائة يوم وهى زيادة على أربعة أشهر بنقصان الأهلة، فجبر الكسر إلى العِقد، وزيد العشر احتياطًا.

١٣- التعزية :

وهى تسلية المصاب وحثه على الصبر والرضا بالقدر، وهى مستحبة، وقد ورد في فضلها أحاديث منها قول النبي ﷺ: «**ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبته إلا كساه الله – عز وجل – من حلل الكرامة يوم القيامة**»[٥].

---

(١) رواه ابن ماجه، وابن حبان بإسناد صحيح.
(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم.
(٣) رواه البيهقي والسبعة إلا البخاري، وابن ماجه.
(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٠٦٧٣) بإسناد صحيح.
(٥) رواه البيهقي، وابن ماجه (١٦٠١) وفيه قيس أبو عمارة ذكره ابن حبان في الثقات ووثقه الذهبي.

وقد شرعت التعزية لما فيها من التعاطف والتحاب والتعاون على البر والتقوى والحمل على الصبر والرضا بالقدر، والحث على الرجوع إلى الله تعالى ليحصل الثواب. ووقتها من الموت إلى ثلاثة أيام بعد الدفن.

وتحصل التعزية بأي لفظ يسلي المصاب، ويخفف عنه، والأفضل ما ورد كقوله ﷺ: «إن لله ما أعطى ولله ما أخذ وكل شيء عنده إلى أجل مسمى فلتصبر ولتحتسب»[(١)].

فإذا عزى مسلمًا بمسلم قال: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك وإن عزى مسلمًا بكافر قال: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك.

وإن عزى كافرًا بمسلم قال: أحسن الله عزاءك، وغفر لميتك.

١٤- الابتعاد عن البدع :

فمن البدع قولهم: البقية في حياتك في التعزية .

ومن البدع المستنكرة والعادات المستقبحة الأربعين، والخميس، والثانوية لأنه لم يكن في عهد النبي ﷺ ، ولا عهد الصحابة والتابعين، ولم يكن معروفًا حينئذ، والخير في اتباع من سلف، والشر في ابتداع من خلف.

١٥- صنع الطعام لأهل الميت :

يستحب عند الأئمة الأربعة وغيرهم لأقارب أهل الميت وجيرانهم تهيئة طعام لهم، فقد أتاهم من الحزن ما يشغلهم عن تهيئة الطعام لأنفسهم، وتقديمه لهم نوع من البر القريب والجار والعطف عليه.

فقد ورد حديث عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما - قال: لما نُعي جعفر حين قتل قال النبي ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعامًا فقد أتاهم ما يشغلهم»[(٢)].

ويسن الإلحاح عليهم في الأكل لئلا يضعفوا بتركه استحياء، أو لفرط الجزع، ولو كان النساء ينحن لم يجز صنع طعام لهن، لأنه إعانة على المعصية.

---

(١) رواه السبعة إلا الترمذي.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٧٥١)، ورواه ابن ماجه، والترمذي، وحسنه وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠١٥).

▪ ما تقوله من مرت بقبور المسلمين:

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم فرطنا ونحن لكم تبع، ونسأل الله لنا ولكم العافية**»(١).

وكان ﷺ إذا مرَّ بالقبور يقول: «**السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر**»(٢).

وفي رواية لابن ماجه: «**اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم**».

• فائدة: ماذا يقول إذا مرَّ بقبر كافر:

عن عامر بن سعد عن أبيه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: إنَّ أبي كان يصل الرحم، وكان وكان، فأين هو؟ قال: «**في النار**» فكأن الأعرابي وجد من ذلك – أي حزن – فقال: يا رسول الله، فأين أبوك؟

قال: «**حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار**».

قال: فأسلم الأعرابي بعد، فقال: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعبًا: ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار».

قال الشيخ الألباني: وفي الحديث فائدة هامة أغفلتها عامة كتب الفقه، ألا وهي مشروعية تبشير الكافر بالنار إذا مُرَّ بقبره، ولا يخفى ما في هذا التشريع من إيقاظ المؤمن وتذكيره بخطورة رجم هذا الكافر حيث ارتكب ذنبًا عظيمًا تهون ذنوب الدنيا كلها تجاهه ولو اجتمعت، وهو الكفر بالله – عز وجل – والإشراك به.

وإنّ الجهل بهذه الفائدة مما أودي ببعض المسلمين أن يقصدوا زيارة بعض قبور من يسمونهم بعظماء الرجال من الكفار، ويضعون على قبورهم الأزهار والأكاليل، ويقفون أمامها خاشعين محزونين مما يشعر برضاهم عنهم وعدم مقتهم إياهم، مع أنّ الأسوةْ الحْسنة بْالأنبياء – عليهم السلام – تقتضي خلاف ذلك، كما في هذا

---

(١) رواه مسلم، وأحمد، وابن ماجه، والبيهقي، والنسائي.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

الحديث الصحيح، وتأملي قول الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ [الممتحنة: ٤].

هذا موقفهم منهم وهم أحياء، فكيف وهم أموات[١]؟!

اللهم ارحم موتانا وموتى المسلمين، وارحمنا إذا ما صرنا إلى ما صاروا إليه، ثبتنا عند السؤال، وآنس وحشتنا، وارحم غربتنا يا رب العالمين ..

❀❀❀

---

(١) بدع الجنائز للألباني بتصرف يسير.

سلوكيات المرأة المسلمة

مع

الكائنات الأخرى

الحيوانات – الحشرات – الطيور

كل ما في الكون مسخر لابن آدم

أختي المسلمة ...

لقد خلق الله تعالى الإنسان في هذه الدنيا وكرمه، وجعله سيدًا في هذا الوجود، وجعله خليفته في أرضه، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وخلق سبحانه وتعالى للإنسان ما هو محتاج إليه في دنياه من أشجار وأنهار، ودواب، وسخرها جميعًا من أجله.. قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ [لقمان: ٢٠]. ومما سخر الله تعالى للإنسان: البهائم والأنعام من نحو خيل، وبغال وحمير، وبقر، وأغنام، وغير ذلك.. قال سبحانه: ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل: ٨].

ولاشك أن المرأة في حياتها اليومية تتعرض لكثير من هذه الدواب، ربما تكون في المنزل، وربما تكون في الشارع كالكلب والهرة ونحو ذلك، وربما تحتاج إليها مثل: الطيور كالدجاج والحمام ونحو ذلك.

فما السلوكيات التي تنبغي على المرأة أن تفعلها تجاه ذلك؟

أولاً: إطعامها وسقيها:

ويكون ذلك إذا جاعت أو عطشت - رحمة بها - قال ﷺ : «**من لا يرحم لا يُرحم**»[(١)] وقال: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[(٢)].

وقال ﷺ : «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي.

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورواه الحاكم، وأبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٠٩).

(٣) رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٣٧٧).

فقوله: «ارحموا من في الأرض» يشمل جميع أصناف الخلائق ومنها؛ الحيوانات والطيور.

قال العارف البوني: «فإن كان لك شوق إلى الرحمة من الله تعالى، فكن رحيمًا لنفسك، ولغيرك، ولا تستبد بخيرك...».

فارحمي البهائم بعطفك، ورفع غضبك، فأقرب الناس من رحمة الله - عز وجل - أرحمهم لخلقه ...

ألم تسمعي قول الرءوف الرحيم ﷺ حين سُئل: ألنا في البهائم لأجر؟ قال: «**نعم في كل ذات كبد رطبة أجرًا**»[1].

▪ ثانيًا: الإشفاق عليها:

لقول النبي ﷺ رحمة الله للعالمين، لما رأى بعض أصحابه قد اتخذوا حيوانًا - طيرًا- غرضًا (هدفًا) يرمونه بسهامهم: «**لعن الله من اتخذ شيئًا فيه روح غرضًا**»[2].

وقد نهى ﷺ عن صبر البهائم - أي حبسها للقتل».

كان الزمخشري في طفولته، يحبس طائرًا في بيته، فأتى هذا الطائر، وقطع الحبل، فنشبت رجله، فانقطعت مع الحبل، وذهب الطائر برجل واحدة، قالت أم الزمخشري له: قطع الله رجلك، كما قطعت رجل هذا الطائر، فذهب، فوقع في الثلج في طريقه إلى مكة، فكسرت رجله، وأصبح على رجل واحدة.

ورسولنا ﷺ حين كان في بعض أسفاره، ورأى حُمرة - أي طائرًا - تحوم فقال لأصحابه: «**من فجع هذه بولدها؟ ردوا إليها صغارها**»[3].

ثالثًا: إراحتها عند ذبحها أو قتلها:

قال ﷺ : «**من رحم ولو ذبيحة عصفور، رحمه الله يوم القيامة**»[4]. وخص العصفور بالذكر، لكونه أصغر مأكول يُذبح، وإذا استلزمت رحمته، رحمة الله مع

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن ماجه وغيرهم.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦٢٥٩) بإسناد صحيح.

(٣) رواه أبو داود، بإسناد صحيح.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦١٣٧).

حقارته، وهوانه على الناس، فرحمة ما فوقه أولى وقال ﷺ: «**إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليرح أحدكم ذبيحته، وليحد شفرته**»(١).

• رابعًا: عدم تعذيبها:

وذلك بأي نوع من أنواع العذاب، سواء كان بتجويعها، أو بضربها، أو تحميلها ما لا تطيق، أو بالمثلة بها، أو بحرقها بالنار، وذلك لقوله ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة حبستها، حتى ماتت، فدخلت فيها النار، فلا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»(٢).

حتى النملة، لا يجوز تعذيبها بالنار، فقد مرَّ نبي من الأنبياء بقرية فنام فلدغته نملة، فأمر بإحراق جميع النمل الموجود في ذلك المكان، فأوحى الله تعالى إليه: «**إن قرصتك نملة، فأحرقت أمة من الأمم تسبح**»(٣) وفي رواية: «**لا ينبغي أن يُعذب بالنار إلا رب النار**»(٤).

• خامسًا: يجوز لك قتل المؤذى من الحيوانات:

مثل الكلب العقور، والذئب، والحية والعقرب، والفأر وما إلى ذلك مما جاء في الحديث: «**خمس فواسق تقتلن في الحل والحرم: الحية، والغراب الأبقع، والفأرة والكلب العقور، والحدأة**»(٥).

وقد سميت بالفواسق، لخروجها عن حكم غيرها من الحيوان في تحريم قتله، أو حل أكله، أو خروجها بالإيذاء، والإفساد.

• سادسًا: معرفة حق الله تعالى فيها بأداء زكاتها:

وذلك إذا كانت ممن تجب فيها الزكاة كالأنعام: وهي الإبل، والبقر والغنم لقوله

---

(١) رواه مسلم، وأحمد في مسنده، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٧٩٥).
(٢) رواه البخاري، وأحمد وغيرهما.
(٣) رواه البيهقي، وأبو داود، والنسائي، وأحمد وهو في صحيح الجامع برقم (٤٣٨٨).
(٤) رواه أبو داود.
(٥) رواه مسلم، وأحمد في مسنده والطبراني في الكبير والأوسط.

تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٦٧] فنصاب زكاة الإبل يبدأ من خمس، ونصاب زكاة الغنم والماعز يبدأ من أربعين شاة، ونصاب زكاة البقر، والجاموس يبدأ من ثلاثين بقرة أو جاموسة.

ولإخراج الزكاة شروط انظريها في كتب الفقه ..

• **سابعًا: لا تنشغلي بها عن طاعة الله - عز وجل -:**

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩] وقد قال ﷺ عن الخيل: «إنه ليس من فرس عربي إلا ويُؤذن له مع كل فجر، فيدعو بدعوة، فيقول: اللهم إنك خولتني من خولتني من بني آدم، فاجعلني من أحب أهله وماله إليه»(١).

• **ثامنًا: جواز صيد بعضها :**

مثل: الكلب .. قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٤].

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتنى كلبًا إلا كلب ماشية، أو ضاريًا، نقص من عمله كل يوم قيراطان»(٢).

وفي رواية أخرى:

عن عبد الله بن مغفل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من اتخذ كلبًا إلا كلب صيد، أو كلب غنم، أو كلب زرع، فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراطان»(٣).

• **تاسعًا: معرفة الطاهر من النجس:**

ينبغي على الأخت المسلمة أن تعلم أن الكلب نجس نجاسة مغلظة، وأنه إذا ولغ في إناء من الأواني، فإنه يغسل سبع مرات إحداهن بالتراب، مصداقًا لقوله ﷺ : «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم، فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب»(٤).

---

(١) رواه أحمد، والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٤١٤).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد.

(٣) رواه مسلم (١٥٧٣)، والترمذي (١٤٨٩)، وأحمد في مسنده وابن ماجه، والنسائي.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٧٤٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٨٤٢).

وقد ثبت الإعجاز الطبى للرسول ﷺ في هذا الحديث .. فاحذري من اقتناء الكلاب كما يفعل بعض الإفرنج، فإن به ميكروبات وطفيليات تنتقل إلى الإنسان، فتصيبه بالأمراض.

اعلمي أن الملائكة الكرام لا يدخلون بيتًا فيه كلب، كما نص على ذلك النبي ﷺ حيث قال: «إنَّ الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة»(١). واعلمي أن سؤر الكلب نجس – وهو ما تبقي في الإناء بعد شربه – ومع ذلك أخبرنا النبي ﷺ بأن امرأة بغي دخلت الجنة أو غفر الله لها بسبب سقيها للكلب، فقال ﷺ : «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش، فوجد بئرًا، فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش،** – أي التراب المبلل بالندى– **فقال الرجل: إنّ هذا الكلب بلغ به العطش مثل الذي كان بلغني، فنزل البئر، فملأ خُفه، ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له..**»(٢).

لكن الهر (القطة) سؤرها طاهر على الأصح.

- **عاشرًا: معرفة ما يحل وما يحرم من هذه الحيوانات:**

قال تعالى: ﴿ **وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ** ﴾ [النحل: ٥-٧]. فكل ما ورد النص بتحريمه فهو حرام نحو: الميتة، والمنخنقة، وهى ما يموت من الحيوانات بطريق الخنق.. أو الموقوذة: وهى ما يضرب بآلة ثقيلة ليست محددة فيموت.

والمتردية : وهى التي تسقط من علو .. وكذلك النطيحة وهى ما نطحتها أخرى فماتت بسببه، وما أكل السبع المفترس، إلا ما وجد فيه حياة فذبح...

قال تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم (١٦٢٩٧)، ورواه البخاري، ومسلم والألباني في صحيح الجامع برقم (٧٢٦٢).

(٢) متفق عليه.

وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة: ٣].

ويستثنى من الميتة: السمك والجراد كما قال ﷺ: «**أحل لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان: فالسمك والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال**»[(١)].

ويحرم الحمار الأهلي كما بينت السنة، فقد نهى النبي ﷺ عن أكلها.. وكذلك تحرم السباع وكل ما له ناب قوى يعدو به على غيره.. وأما من الطيور، فيحرم كل ذي مخلب من الطير، كما في صحيح مسلم[(٢)].

- **الحادي عشر: أن تعرفي كيفية ذبح الطيور، أو بعض الحيوانات:**

لأن المرأة قد تضطر إلى ذلك، فالحيوان المقدور عليه أو الطير يشترط لذبحه:

أولاً: قطع الودجين: وهما العرقان الموجودان في صفحة العنق.

ثانيًا: قطع المرىء: وهو مجرى الطعام.

ثالثًا: يشترط جريان الدم..

رابعًا: يشترط أن يكون الذبح بآلة حادة كالسكين ونحوها.. لقوله ﷺ: «**كل ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكل، ليس السن والظفر، أما الظفر فمدى أهل الحبشة، وأما السن فعظم**»[(٣)].

خامسًا: أن تكون الذكاة من مسلم أو مسلمة، ويصح أن تكون من أهل الكتاب كاليهود والنصارى، وتحرم من الوثني أو المجوسي: **﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾** [المائدة: ٥].

سادسًا: أن تذكري الله تعالى عند ذبح الحيوان أو الطائر.. قال تعالى: **﴿ وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾** [الأنعام: ١٢١].

سابعًا: وجهي الذبيحة ناحية القبلة.

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجه وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢١٠)، والصحيحة برقم (١١١٨).

(٢) رواه مسلم (١٩٣٤)، وأبو داود، والنسائي.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

- **الثاني عشر: اعلمي أن هذه الحيوانات أطوع لله - عز وجل – من بني آدم:**

فعن جابر ﷺ قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى دفعنا إلى حائط – أي بستان – في بني النجار، فإذا فيه جمل لا يُدخل الحائط أحدٌ إلا شدَّ عليه، فذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فأتاه النبي ﷺ ، فدعاه، فجاء واضعًا مشفره على الأرض، حتى برك بين يدي النبي ﷺ ، فقال: «**هاتوا خطامًا**» فخطمه، ودفعه إلى صاحبه، ثم التفت فقال: «**إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله ﷺ إلا عاصي الجن والإنس**»(١).

الثالث عشر: اعلمي أنّ ما قطع من جسد الحيوان وهو حي فهو كميتة.. قال ﷺ : «**ما قطع من بهيمة وهي حية فهو ميتة**»(٢).

الرابع عشر: انظري قدرة الله تعالى، وتأملي عظمته من خلق هذه الحيوانات وتلك الطيور..

اللهم اجعلنا من عبادك الرحماء ... وارحمنا اللهم إذا صرنا إليك، يا أنيس الموحدين، ومجيب المضطرين..

اللهم أجرنا من النار بكرمك وعفوك يا قوي يا قهار..

اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك..

اللهم ألهمنا ذكرك، ووفقنا للقيام بشكرك، ورضنا باليسير من رزقك يا مجيب الدعوات، ويا قاضي الحاجات.. هب لنا ما سألناه، وحقق رجاءنا فيما تمنيناه، واغفر لنا برحمتك، وكرمك يا رب العالمين ...

❁❁❁

---

(١) رواه أحمد في مسنده، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٤٠٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٢١٦)، وصححه الألباني.

مراجع كتاب

جامع سلوكيات المرأة المسلمة

• أولاً: القرآن الكريم

١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم — محمد فؤاد عبد الباقي
٢- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب — فخر الدين الرازي
٣- تفسير القرآن العظيم — ابن كثير
٤- الجامع لأحكام القرآن — القرطبي
٥- لطائف الإشارات — القشيري
٦- في ظلال القرآن — سيد قطب
٧- محاسن التأويل — القاسمي
٨- تفسير الشعراوي — الشعراوي

• ثانيًا الحديث وعلومه:

٩- فتح الباري — ابن حجر
١٠- صحيح مسلم — شرح النووي
١١- صحيح سنن أبي داود — الألباني
١٢- سنن الترمذي — الترمذي
١٣- سنن ابن ماجه — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
١٤- صحيح الجامع الصغير — الألباني
١٥- السلسلة الصحيحة — الألباني
١٦- المسند — الإمام أحمد
١٧- سنن الدارمي — للإمام الدارمي
١٨- المستدرك — الحاكم

١٩- مجمع الزوائد الهيثمي

٢٠- الترغيب والترهيب المنذري

٢١- كشف الخفاء العجلوني

٢٢- الزهد الإمام أحمد

٢٣- الزهد ابن المبارك

- **ثالثًا كتب السيرة والأعلام :**

٢٤- سير أعلام النبلاء الذهبي

٢٥- صفة الصفوة ابن الجوزي

٢٦- البداية والنهاية ابن كثير

٢٧- الرحيق المختوم المباركفوري

٢٨- حياة الصحابة الكاندهلوي

٢٩- حلية الأولياء لأبي نعيم

٣٠- أسد الغابة ابن الأثير

٣١- السيرة النبوية لابن هشام

٣٢- الطبقات الكبرى ابن سعد

- **رابعًا: كتب الفقه :**

٣٣- الدين الخالص محمود خطاب السبكي

٣٤- المغني لابن قدامة الحنبلي

٣٥- الإقناع الخطيب الشربيني

٣٦- حاشية قليوبي وعميرة للنووي

٣٧- المجموع للنووي

٣٨- كفاية الأخيار الخطيب الشربيني

٣٩- نيل الأوطار الشوكاني

٤٠- سبل السلام الصنعاني

• خامسًا كتب الرقائق :

٤١- إحياء علوم الدين	الغزالي
٤٢- لطائف المعارف	ابن رجب
٤٣- جامع العلوم والحكم	ابن رجب
٤٤- منهاج العابدين	الغزالي
٤٥- مدارج السالكين	ابن القيم
٤٦- مفتاح دار السعادة	ابن القيم
٤٧- طريق الهجرتين	ابن القيم
٤٨- الداء والدواء	ابن القيم
٤٩- الفوائد	ابن القيم
٥٠- المرأة في التصور الإسلامي	عبد المتعال الجبري
٥١- المدهش	ابن الجوزي
٥٢- صيد الخاطر	ابن الجوزي
٥٣- بحر الدموع	ابن الجوزي
٥٤- بستان الواعظين	ابن الجوزي
٥٥- التذكرة في الوعظ	ابن الجوزي
٥٦- التذكرة	القرطبي
٥٧- شرح الصدور	السيوطي
٥٨- ذم الهوى	ابن الجوزي
٥٩- التبصرة	ابن الجوزي
٦٠- اللطائف	ابن الجوزي
٦١- جلاء الأفهام	ابن القيم
٦٢- عدة الصابرين	ابن القيم
٦٣- تربية الأولاد في الإسلام	عبد الله ناصح علوان
٦٤- تربية الأولاد في الإسلام	مجدي فتحي السيد
٦٥- السلوك الاجتماعي	حسن أيوب

٦٦- تنبيه الغافلين	السمرقندي
٦٧- منهاج المسلم	أبو بكر الجزائري
٦٨- المستطرف	الأبشيهي
٦٩- وسائل الإسلام في المحافظة على المرأة	صلاح عبد الغني محمد
٧٠- سمير الصالحات وأنيس المؤمنات	عبد الله بدران
٧١- حراسة الفضيلة	بكر بن عبد الله أبو زيد
٧٢- تحفة العروس	مجدي الشهاوي
٧٣- سمير الصالحين وأنيس المتقين	الشهاوي
٧٤- مساوئ الأخلاق ومذمومها	الخرائطي
٧٥- عودة الحجاب	محمد إسماعيل المقدم
٧٦- علو الهمة	محمد إسماعيل المقدم
٧٧- البر والصلة	ابن الجوزي
٧٨- الجزاء من جنس العمل	سيد العفاني
٧٩- ترطيب الأفواه	سيد العفاني

الفهرس العام لكتاب جامع سلوكيات المرأة المسلمة

المقدمة ٣

•• أولاً: سلوكيات المرأة المسلمة مع ربها:

١- أن تعبده حق عبادته ٧
٢- ما هي العبادة ؟ ٨
٣- من الذي يستحق العبادة ؟ ١٠
٤- اعتقدي أن الله واحد .. منزه عن الشريك ١٠
٥- الإيمان به سبحانه وتعالى ومعناه ١١
٦- أركان الإيمان بالله - عز وجل - ١٢
٧- أحسني الظن بالله ٢١
٨- أحسني التوكل بربك ٢٢
٩- مريم تعطيك درسًا في التوكل ٢٣
١٠- لك في رسول الله أسوة حسنة ٢٤
١١- كوني مثل هاجر في توكلها ٢٥
١٢- استحييّ من الله حق الحياء ٢٥
١٣- الحياء زينة المرأة ٢٦
١٤- راقبي الله - عز وجل - في شئونك كلها ٢٧
١٥- احفظي الله يحفظك ٢٩
١٦- أخلصي العبادة لله - عز وجل - ٣٢

١٧- اشكري ربك ٣٤
١٨- اصبري على قضاء الله ٣٧
١٩- توبي إلى الله ٤١
٢٠- أكثري من الدعاء والتضرع إليه ٤٦

•• ٢- سلوكيات المرأة تجاه رسولها محمد ﷺ :

١- مع الرسول الأعظم ﷺ ٥١
٢- محبته ﷺ ٥٢
٣- حقيقة المحبة وأقسامها ٥٣
٤- لماذا يجب علينا أن نحبه؟ ٥٤
٥- كيفية الوصول إلى محبة الرسول ﷺ ٥٥
١- بالسمع والطاعة ٥٥
٢- فداء النبي بالمهج والأرواح ٥٧
٣- دافعي عن سننه وشريعته ٥٧
٤- أكثري من الصلاة عليه ٥٨
٥- كيف تصلين على الرسول الأعظم؟ ٥٩
٦- احتكمي إلى شريعته وسنته ٦٠
٧- تحلي بأخلاقه ٦١

•• ٣- سلوكيات المرأة نحو كتاب الله - عز وجل -:

١- القرآن الكريم ٦٥
٢- قراءته والعمل به ٦٦
٣- فما ثواب قراءته؟ ٦٧
٤- اتبعي منهجه ودستوره ٦٩

٥- تعاهدي القرآن واستذكريه ٧١
٦- تأدبي بآدابه ٧٢
٧- آداب القراءة ٧٣

▪▪ ٤- سلوكياتها مع نفسها

١- حاسبي نفسك قبل أن تحاسبي ٨٠
٢- ما فوائد المحاسبة؟ ٨١
٣- اطلعي عيوب نفسك ٨٢
٤- محاسبة نفس ٨٥

•• ٥- سلوكيات المرأة المسلمة مع والديها:

١- مكانة الوالدين ٨٩
٢- بري والديك ٩٠
٣- ثواب بر الوالدين ٩٠
٤- لا تسبقي يديك يديهما في الطعام ٩٥
٥- لا تمشي أمام أحد منهما ٩٥
٦- لا تنظري إليهما شزرًا ٩٥
٧- قومي لهما ٩٦
٨- سلمي عليهما ٩٦
٩- لا ترفعي صوتك على صوتهما ٩٦
١٠- استئذني في الدخول عليهما ٩٦
١١- قومي على خدمتهما ٩٧
١٢- أنفقي عليهما إن احتاجا ٩٧
١٣- أكرمهما صديقهما ٩٧

١٤- وفي بعهدهما ٩٧
١٥- سلوكيات لا يرضاها الإسلام ٩٨
١٦- احذري طريق العقوق ٩٩
١٧- العقوق دين يستوفى ١٠٠

٦- سلوكيات المرأة المسلمة مع زوجها:

١- أطيعي زوجك ١٠٥
٢- تأملي ثواب المطيعات ١٠٦
٣- أتريدين التعرف على المرأة السوء؟ ١٠٧
٤- لا تخرجي من البيت إلا بإذنه ١٠٧
٥- لا تأذني لأحد في بيه إلا بإذنه ١٠٨
٦- لا تصومي تطوعًا إلا بإذنه ١٠٨
٧- لا تمنعي نفسك عنه ١٠٨
٨- تزيني له ١٠٩
٩- أحسني عشرته ١٠٩
١٠- احترمي مشاعره ١٠٩
١١- اتركي المطالبة بما وراء الحاجة ١١٠
١٢- لا تفرطي في ماله ١١١
١٣- اخدميه في بيته ١١١
١٤- قومي بتربية أبنائه ١١١
١٥- أحسني معاملة أهله ١١٢
١٦- احذري مواطن الشبهات ١١٢
١٧- احسني استقبال زوجك ١١٣

١٨- لا تكوني لحوحة.. ١١٤
١٩- كوني معه في الشدة ١١٤
٢٠- احذري النزاع ١١٥
٢١- احذري طلب الطلاق منه..................................... ١١٥
٢٢- لا تصفي امرأة أخرى له ١١٥
٢٣- حدي من الغيرة ١١٦
٢٤- احذري وصف رجل آخر بحضوره................................. ١١٧
٢٥- اشكريه على ما يقدمه لك.................................... ١١٧
٢٦- احذري الثرثرة.. ١١٨

•• ٧- سلوكيات المرأة المسلمة في الخطبة والزواج:

١- الزواج وعمارة الكون ١٢١
٢- الزواج هو العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة.................... ١٢٢
٣- ما هي الأسس الصحيحة لاختيار الزوج ١٢٣
٤- صرخة إلى أولياء الأمور....................................... ١٢٥
٥- عودة إلى أولياء الأمور ١٢٧
٦- يجوز لك أن تعرضي نفسك على صالح متدين ١٢٨
٧- على ولي الأمر أن يشاورها فيمن تقدم لخطبتها ١٢٨
٨- سلوكها في الخطبة ١٢٩
٩- المرأة التي تجوز خطبتها....................................... ١٣٠
١٠- النظر إلى المخطوبة... ١٣٠
١١- مقدار ما يباح النظر إليه..................................... ١٣١
١٢- أن لا يخطب المسلم على خطبة أخيه المسلم ١٣٢

١٣- عدم الخلوة بالمخطوبة ١٣٢
١٤- أن تكون الدعوة عامة........................ ١٣٣

٨- سلوكيات المرأة المسلمة أثناء الزواج:

١- استحباب خطبة الحاجة عند العقد ١٤٤
٢- تزين العروس ليلة زواجها........................ ١٣٦
٣- الضرب بالدف........................ ١٣٧
٤- التهنئة بالزواج ١٣٧
٥- الالتزام بآداب النكاح........................ ١٣٨
٦- احذري أن تفشي أسرار الزوجية........................ ١٣٩
٧- مخالفات يجب الانتهاء عنها........................ ١٤٠
١- الذهاب إلى الكوافير ١٤٠
٢- وضع الأصباغ والمساحيق ١٤١
٣- دهان الأظافر........................ ١٤١
٤- قص شعر العروسة أو لبس الباروكة........................ ١٤٢
٥- وضع العطور للعروسة........................ ١٤٢

٩- سلوكيات المرأة المسلمة كأم:

١- أفضل وظيفة للمرأة ١٤٥
٢- أمهات خرجن عظماء ١٤٦
٣- دور المرأة تجاه وليدها ١٤٩
١- مرحلة الحمل........................ ١٤٩
٢- مرحلة الولادة........................ ١٥١
٣- مرحلة ما بعد الولادة ١٥١

▪▪ ١٠- سلوكيات إسلامية عقب الولادة :

١- التأذين في أذنه اليمنى.. ١٥٢

٢- تحنيك الطفل.. ١٥٣

٣- تشميته ١٥٣

٤- حلق شعر رأسه والتصدق بمثله ذهب أو فضة.................. ١٥٤

٥- العقيقة عنه: فوائدها وقتها ١٥٤

٦- الختان: حكمه – وقته – حكمته ١٥٥

٧- ارضعي طفلك من ثديك.. ١٥٨

•• سلوكيات المرأة نحو أبنائها :

١- مرحلة الطفولة ١٦١

٢- السلوكيات الإيمانية ١٦٢

٣- علميهم الخوف من الله – والصلاة – والصوم ١٦٣

٤- السلوكيات الأخلاقية ١٦٤

علميه الصدق – حذريه من الكذب................................ ١٦٤

علميه الوفاء بالوعد... ١٦٥

عليه حسن الخلق.. ١٦٦

علميه كيف يخاطب الآخرين ١٦٦

٥- سلوكيات جسمانية:.. ١٦٧

١- النفقة من الطعام والشراب والملبس............................ ١٦٧

٢- مراعاة القواعد الصحية في الطعام وغيره........................ ١٦٨

٣- عوديه ممارسة الرياضة ١٧٠

١٢- سلوكيات المرأة المسلمة مع أقاربها :

١- صلة الرحم.. ١٧٣

٢- معنى الرحم ١٧٣

٣- حكم صلة الرحم ١٧٣

٤- معنى الصلة والقطيعة ١٧٤

٥- فضل صلة الرحم.. ١٧٥

٦- صلي رحمك وإن قاطعوك.. ١٧٨

٧- احذري قطيعة الرحم.. ١٧٩

١٣- سلوكيات المرأة المسلمة مع جيرانها:

١- المجتمع المسلم.. ١٨٣

٢- من هم الجيران؟.. ١٨٣

٣- حد الجار.. ١٨٤

٤- حقوق الجيران.. ١٨٦

٥- أحسني إليهم ١٨٦

٦- كفي الأذى عنهم.. ١٨٦

٧- تحملي إيذاءهم ١٨٨

٨- صوني عرضهم وأموالهم.. ١٨٨

٩- تعاوني مع جيرانك.. ١٩٢

١٠- زوري من مرض ١٩٣

١١- آداب الزيارة ١٩٥

١٢- هل تجوز عيادة المرأة للرجل؟.. ١٩٥

١٣- لا تستهزئي بهم ١٩٦

١٤- إياك واللمز ٩٧
١٥- إياك أن تتنابزي بالألقاب.................................. ١٩٨
١٦- إياك وسوء الظن ١٩٨
١٧- لا تتجسسي على الجيران.................................. ٢٠٠
١٨- لا تغتابي أحدًا.. ٢٠٠
١٩- خطر الغيبة ٢٠١
٢٠- دافعي عن أعراضهم...................................... ٢٠٣
٢١- انصحي لجارتك.. ٢٠٣
٢٢- سامحي من ظلمك.. ٢٠٥
٢٣- اكظمي غيظك.. ٢٠٦
٢٤- ابسطي وجهك لجارتك...................................... ٢٠٦
٢٥- أحسني أخلاقك.. ٢٠٧

•• ١٤- سلوكيات المرأة المسلمة مع اليتيم:

١- مع اليتيم ٢١٣
٢- أحسني إليه.. ٢١٣
٣- احذري أن تأكلي ماله ٢١٤
٤- احذري أن تقهري اليتيم ٢١٤
٥- جزاؤك إن أحسنت إليه ٢١٥
٦- عقوبتك إن قصرت في حقه.. ٢١٦

•• ١٥- سلوكيات المرأة المسلمة في الزيارات:

١- فضل الزيارة ٢٢١
٢- شروط الزيارة.. ٢٢٢

٣- أنواع الزيارات.. ٢٢٣
٤- زيارة الوالدين.. ٢٢٣
٥- زيارة المرضى.. ٢٢٦
٦- الزيارة لأجل العلم.. ٢٢٨
٧- زيارة الأقارب وذوى الأرحام.. ٢٢٩
٨- الزيارات المستحبة:.. ٢٣٠
١- زيارة التعزية.. ٢٣٠
٢- زيارة الجارات.. ٢٣٠
٣- زيارة الأخوات المسلمات في الله ٢٣١
٩- آداب الزيارة: استئذان الزوج.. ٢٣٢
٢- اختيار الوقت المناسب.. ٢٣٣
٣- الاستئذان – صفته – آدابه.. ٢٣٤

•• ١٦- سلوكيات المرأة المسلمة في الطريق والمواصلات:

١- حافظي على نظافة الطريق ٢٤١
٢- آداب السير في الطريق والمواصلات ٢٤١
٣- غضي بصرك – أنواع النظر.. ٢٤٣
٤- ردي السلام – ثوابه ٢٤٦
٥- متى يكره إفشاء السلام.. ٢٤٨
٦- مري بالمعروف وانهي عن المنكر.. ٢٤٩
٧- كفي الأذى ٢٥١
٨- الإسلام لا يمنع عمل المرأة لكن بشروط.. ٢٥٢
٩- قصة موسى - عليه السلام – مع بنات شعيب ٢٥٣

١٠- ما يستفاد منها ٢٥٤
١١- مظاهر خروج المرأة ٢٤٥
١- الخروج للصلاة في المسجد ٢٥٥
٢- شهودها دعوة الخير في العيدين........................ ٢٥٦
٣- طلب العلم........................ ٢٥٦
٤- صلة الأرحام........................ ٢٥٧
١٢- سلوكيات أخرى واجبة........................ ٢٥٧
١- أن تستأذني........................ ٢٥٧
٢- تذكري دعاء الخروج ٢٥٨
٣- ارتدي الحجاب الشرعي ٢٥٨
٤- فضائل ارتداء الحجاب ٢٥٩
٥- شروطه........................ ٢٦٠
١٣- جانبي التبرج والسفور : ٢٦٠
١٤- لا تضعي العطور والأصباغ: ٢٦١
١٥- لا تغيري خلق الله:........................ ٢٦٢
١٦- لا تمشي وسط الطريق........................ ٢٦٢
١٧- تجنبي الخلوة ٢٦٢
١٨- لا تصافحي الرجال الأجانب........................ ٢٦٣
١٩- تواضعي لله ولعباد الله ٢٦٤

١٧- سلوكيات المرأة المسلمة في الكلام :

١- خطر اللسان ٢٧١
٢- طيب الكلام طريق يقرب إلى دار السلام........................ ٢٧٣
٣- أكثري في حديثك من ذكر الله ٢٧٤

٤- قولي للناس حسنًا ٢٧٥
٥- تحري الصدق وتجنبي الكذب ٢٧٦
٦- ابتعدي عن السب والفحش وبذاءة اللسان ٢٧٦
٧- خاطبي الناس على قدر عقولهم ٢٧٧
٨- لا تخضعي بالقول للرجال ٢٧٩
٩- لا تخوضي في الباطل ٢٨٠
١٠- لا تكثري من الحلف والأيمان ٢٨٠
١١- لا تمدحي أحدًا بما ليس فيه ٢٨١
١٢- ابتعدي عن المراء والجدل ٢٨٢
١٣- إياك والتقعر في الكلام ٢٨٢
١٤- احذري الثرثرة ٢٨٣
١٥- ابتعدي عن الهمز واللمز ٢٨٤
١٦- لا تفشين سرا ٢٨٥
١٧- لا تكوني ذات لسانين ولا ذات وجهين ٢٨٦
١٨- اغضضي من صوتك ٢٨٦
١٩- لا تسبقي من هو أكبر منك بالحديث ٢٨٧
٢٠- أعرضي عن الجاهلية ٢٨٧
٢١- إياك والشماتة في الغير ٢٨٩
٢٢- احذري النجوى ٢٨٩
٢٣- اختاري الكلمات المناسبة ٢٩٠
٢٤- قدمي مشيئة الله في أقوالك ٢٩١
٢٥- لا تسكتي الناس للتتكلمي أنت ٢٩١
٢٦- تحملي كلمات أهل الفضل ٢٩٢

٢٧- مري بالمعروف وانهي عن المنكر ٢٩٣
٢٨- يمكنك مدارة سيء الخلق ٢٩٥

١٨- سلوكيات المرأة المسلمة في استثمار الوقت:

١- كيف تستثمر المرأة المسلمة وقتها؟ ٢٩٩
٢- قيمة الوقت في القرآن ٣٠٠
٣- خصائص الوقت ٣٠١
٤- حرص نساء السلف على الوقت ٣٠٢
٥- عوائق تصرفك عن الاستفادة من الوقت: ٣٠٨
١- اتباع الهوى ٣٠٨
٢- طول الأمل ٣١٠
٣- الفراغ ٣١١
٤- انشغالك بأمور تافهة ٣١٣
٦- أمور تعاونك على الاستفادة من وقتك ٣١٤
١- معرفة الأزمنة الفاضلة ٣١٤
٢- اختاري الجليسة الصالحة ٣١٦
٣- الخوف من الله في السر والعلانية ٣١٧
٧- اطردي فراغك بالعمل النافع ٣١٨

١٩- سلوكيات المرأة المسلمة في المناسبات الدينية:

١- سلوكها في العيد ٣٢٣
٢- بدع العيد ٣٣٢
٣- سلوكها في رمضان ٣٣٤

٢٠- سلوكيات المرأة المسلمة في مواساة الناس ومشاركتهم :

١- بم تكون المواساة؟.. ٣٤٣
٢- واسي المال إن استطعت.. ٣٤٤
٣- أستاذ البشرية يحثك على المواساة.. ٣٤٥
٤- صحابة الرسول يضربون أروع الأمثلة في المواساة.. ٣٤٧
٥- ومن المواساة: الزيارة في الله.. ٣٤٩
٦- مواساة الضعفاء والفقراء.. ٣٤٨
٧- مواساة الغرباء وأبناء السبيل.. ٣٤٩
٨- مواساة المرضى.. ٣٥٠
٩- مواساة من مات لها ميت.. ٣٥١
١٠- الرسول ﷺ يواسي فاطمة عند انتقاله إلى الرفيق الأعلى.. ٣٥٣
١١- مواساة المطلقة.. ٣٥٤
١٢- صور أخرى من المواساة.. ٣٥٤

٢١- سلوكيات المرأة المسلمة عند الموت :

١- وصف الموت.. ٣٥٩
٢- الموت حتم لازم.. ٣٦٠
٣- لا تتمني الموت.. ٣٦١
٤- الموتى يتحسرون.. ٣٦٣
٥- آه .. إن للموت لسكرات.. ٣٦٤
٦- يوم الجنائز.. ٣٦٨
٧- وقفة مع إكرام الله للطيبات عند موتهن.. ٣٦٩
٨- القبر نعيمه وعذابه.. ٣٧٠
٩- كلام القبور للموتى.. ٣٧٢

٢٢- سلوكيات المرأة لمسلمة تجاه من ماتت عندها:

١- توجيه المحتضر إلى القبلة ٣٧٥
٢- تلقين المحتضر ٣٧٥
٣- يستحب حضور الصالحين ٣٧٦
٤- قراءة سورة يس ٣٧٦
٥- أغمض عيني الميت ٣٧٧
٦- شدي لحييه بعصابة ٣٧٧
٧- غطيه بثوب يستره ٣٧٧
٨- لا تتبعي الجنازة ٣٧٨
٩- احذري لطم الخدود وشق الجيوب ٣٧٨
١٠- الإحداد ٣٧٩
١١- التعزية ٣٧٩
١٢- ابتعدي عن البدع ٣٨٠
١٣- اصنعي لأهل الميت طعامًا ٣٨٠
١٤- ما تقوله من مرت بقبور المسلمين ٣٨١
١٥- ما تقولين إذا مررت بقبر كافر أو كافرة ٣٨١

٢٣- سلوكيات المرأة المسلمة مع الكائنات الأخرى (الحيوانات والحشرات والطيور):

١- كل ما في الكون مسخر لابن آدم ٣٨٥
٢- إطعام الحيوانات وسقيها ٣٨٥
٣- الإشفاق عليها ٣٨٦
٤- إراحتها عند ذبحها ٣٨٦
٥- عدم تعذيبها ٣٨٧
٦- يجوز لك قتل المؤذى من الحيوانات ٣٨٧

٧- اعرفي حق الله في الحيوانات بأداء زكاتها ٣٨٧
٨- جواز صيد الحلال منها ٣٨٨
٩- معرفة الطاهر من النجس.. ٣٨٨
١٠- معرفة الحل والحرام منها.. ٣٨٩
١١- معرفة كيفية ذبحها.. ٣٩٠
١٢- اعلمي أنها أطوع لله منك ٣٩١
الفهرس.. ٣٩٧

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٠٤١٧٥ ٥٩٢٢٤١٠